دولة الإسلام في الأندلس

تأليف
محمد عبد الله عنان

العصر الثالث

عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس

القسم الأول

عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الثانية

١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٩٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

حينما عولت على كتابة تلك السيرة المشجية ، الحافلة بالعبر – تاريخ الأندلس– لم يكن يجول بخاطرى ، أن المهمة تقتضى حياة بأسرها ، وأن الأعوام سوف تمر تباعا ، دون أن تصل إلى غايتها . وقد مضى الآن مذ أصدرت القسم الأول من « دولة الإسلام فى الأندلس » فى سنة ١٩٤٢ ، عشرون عاما ، كرست خلالها ، معظم أوقاتى وجهودى ، لإتمام هذه المهمة . ومنذ اثنى عشر عاما ، ، وأنا دائب التردد على اسبانيا والمغرب ، أنقب باستمرار فى مكتباتهما ، ودور محفوظاتهما ، عن كل ما يتعلق بهذه السيرة من مصادر ، ووثائق مخطوطة ، وغير مخطوطة . عربية أوقشتالية ، حتى أضحت هذه المهمة ، مهمة حياتى ، لا أدخر فى تحقيقها وسيلة ولا جهداً .

وقد استطعت خلال هذه الحقبة الطويلة ، أن أكتب تاريخ الأندلس منذ الفتح إلى نهاية دول الطوائف ، فى ثلاثة مجلدات ، وأن أكتب فى نفس الوقت تاريخ المرحلة الأخيرة من دولة الإسلام فى الأندلس ، أعنى تاريخ مملكة غرناطة حتى سقوطها ، ثم تاريخ الأمة الأندلسية المغلوبة واستشهادها المؤسى ، ومحنتها الأخيرة ، بإخراج بقاياها المتنصرة من أوطانها القديمة ، وذلك فى مجلد كبير ، هو « نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين » . .

وكانت الثغرة التى بقيت بين نهاية عهد الطوائف ، وقيام مملكة غرناطة ، وهى عصر المرابطين والموحدين ، وهى ثغرة تستغرق من الزمن نحو مائة وخمسين عاما – كانت تروعنى دائماً بطول مداها ، وتشعب آفاقها ، وخصوصاً بالمغرب . ولكن، كان لابد لإتمام المهمة التى كرست لها بقية حياتى ، وهى تسطير تاريخ الأندلس منذ الفتح إلى النهاية ، أن أقتحم هذا الميدان الوعر ، وأن أعكف على كتابة تاريخ هذا العصر ، بالرغم من كل ما يكتنفه من صعاب وغموض ، حتى تجبر

الثغرة ، وتتصل المراحل ، ويغدو تاريخ الأندلس ، والأمة الأندلسية ، كله ، وقد استكملت حلقاته ، منذ بدايته إلى نهايته .

وأنه ليملأ نفسى اليوم غبطة ، أننى قد استطعت بعون الله ، أن أتمم هذه المهمة ، وأن أكتب تاريخ عصر المرابطين والموحدين ، فى المغرب والأندلس ، بعد أعوام من العمل الشاق ، والجهد المتواصل ، والتنقيب المستمر ، فى مكاتب مدريد ، والإسكوريال ، والرباط ، وفاس ، والقاهرة ، ولندن ، وأكسفورد ، والڤاتيكان . وقد حرصت فضلا عن تقصى المصادر والوثائق ، على دراسة المواطن الجغرافية والإستراتيجية دراسة عملية ، فزرت بالمغرب سائر عواصمه التاريخية ، وزرت منطقة جبال الأطلس ومدينة تينملّل ، مكة المهدى ابن تومَرت ، ودرست طريق مسير الجيوش المرابطية والموحدية ، إلى شبه الجزيرة الإسبانية ، وزرت مواقع العبور إليها من جانبى المضيق . وأما بالأندلس فإنى لم أترك قاعدة أومدينة أندلسية قديمة حتى زرتها ، ودرست معالمها القديمة ، وآثارها الأندلسية الباقية . وقد حرصت بنوع خاص على أن أدرس مواقع المعارك العظيمة ، التى نشبت بين الموحدين وبين اسبانيا النصرانية ، فى شنترين ، وفى شلب ، ثم الأرك ، وفى العقاب . وقد قضيت عدة أيام فى دراسة مواقع هاتين المعركتين العظيمتين الحاسمتين — الأرك والعقاب — وقمت لذلك برحلة خاصة ، طفت فيها بسهل الأرك ، ومواقع قلعة رباح القديمة . ثم قصدت إلى جبال سيرّاموزينا التى تفصل بين الأندلس وبين قشتالة ، وصعدت إلى آكامها ، وتجولت فى هضابها ، وطفت بسائر الأماكن التى وقعت فيها معركة العقاب ، من وعر ومن سهل ، وهى المعركة التى سحقت فيها الجيوش الموحِّدية ، وانتهت بانحلال سلطان الموحدين ، وانحلال الأندلس ، ثم سقوط سائر قواعدها العظيمة ، فيما لايزيد عن ثلاثين عاما . وكانت هذه الدراسات الجغرافية ، والطبوغرافية ، تمدنى بكثير من أسباب الإيضاح والإدراك لظروف هذه المواقع ، والنتائج التى انتهت إليها ، وتعاون على الدقة فى وصف مراحلها وتطوراتها .

وثمة مسألة أخرى جديرة بالتنويه ، وهى أن كتابة تاريخ عصر المرابطين والموحدين ، تعتبر قبل كل شىء تسطيراً لتاريخ المغرب ، ولايشغل فيه تاريخ الإندلس سوى حيز يسير ، فقد كانت الأندلس أو شبه الجزيرة الأندلسية ، فى هذا العصر الذى استطال زهاء قرن ونصف ، ولاية مغربية ، داخل الإمبراطورية

المغربية الكبرى ، المرابطية ، ثم الموحدية . بيد أن حكم المرابطين ، ثم الموحدين لولاية الأندلس ، والظروف العسكرية ، والإدارية ، والاجتماعية ، التى أحاطت بحكم كل من هاتين الدولتين العظيمتين للأمة الأندلسية ، لا يمكن أن تفهم إلاعلى ضوء التفاصيل الكاملة لحكم كل منهما للامبراطورية المغربية الكبرى . ومن ثم فقد كان لزاماً على أن أكتب تاريخ عصر المرابطين والموحدين بالمغرب كاملا ، بالرغم مما يحيق بهذه المهمة من صعاب لا نهاية لها ، سواء من الناحية الجغرافية أو القبلية ، أوناحية الاستيعاب التاريخى . وإنى لأرجو أن أكون قد وفقت إلى بعض ما طمحت إليه ، من عرض تاريخ هذه الفترة الهامة من تاريخ الإمبراطورية المغربية الكبرى ، فى صورته الحقيقية الكاملة .

هذا مع العلم بأنى قد استعرضت فى كتابى « دول الطوائف » ، وهو الذى يتناول العصر الثانى من كتاب « دولة الإسلام فى الأندلس » » نشأة المرابطين ، وفتوحهم فى المغرب ، وقيام الدولة المرابطية الكبرى ، على يد عاهلها العظيم يوسف بن تاشفين ، ثم عبور المرابطين إلى الأندلس ، لإنجاد أمراء الطوائف فى موقة الزلاّقة ، وماتلا ذلك من فتح المرابطين لدول الطوائف ، واستيلائهم على شبه الجزيرة الأندلسية ، ومن ثم فإنى لم أجد موضعاً لتكرار ما سبق أن كتبت فى هذا الشأن . ولهذا فقد بدأت كتابى هذا ، بالتحدث عن خاتمة عهد يوسف بن تاشفين .

وقد رأيت أن أستعرض فى فصل خاص ، أهم المصادر المخطوطة وغير المخطوطة ، التى كانت قبل غيرها ، عمادى فى البحث والدرس . ومن المحقق أن هذه المصادر ، بالرغم مما تقدمه إلينا أحياناً من مواد أصيلة ومعاصرة ، لاشك فى أهميتها ونفاستها ، لا تقدم إلينا سوى القليل ، ولاتعالج إلا بعض نواحى المسائل الكبرى ، التى يعرضها لنا تاريخ الدولتين المرابطية والموحدية ، بيد أنها من جهة أخرى تلقى أضواء كثيرة على النواحى السياسية والإدارية لحكم المرابطين والموحدين ، ولاسيما لشبه جزيرة الأندلس ، فقد كانت لكل من الدولتين فى حكم الأندلس ، أوضاع ومبادىء خاصة .

وأود أن أشير هنا إلى أنى قد جريت فى كتابة تاريخ عصر المرابطين ، والموحدين ، وهو العصر الثالث من كتاب « دولة الإسلام فى الأندلس » — على نفس الأسلوب الذى جريت عليه فى كتابة العصرين الأول والثانى ، ثم الرابع

(نهاية الأندلس) ، وحرصت على أن أستعرض نظم الحكم والأوضاع السياسية والدينية ، لكل من الدولتين ، المرابطية والموحدية ، وسير الحركة الفكرية الأندلسية ، والأحوال الاجتماعية فى ظل كل منهما ، وذلك بقدر ما تمدنا به المصادر والوثائق التى بين أيدينا . كما خصصت لتاريخ اسبانيا النصرانية مكانها المعتاد ، وفقاً لما جريت عليه فى العصور الأخرى .

وكذلك عنيت عناية خاصة بتزويد الكتاب بالخرائط التاريخية ، والرسوم الطبوغرافية ، التى تبين مواقع المعارك الكبرى ، وقد زرتها بنفسى كما تقدم ، وأرجو أن يكون فى ذلك ما يسهل مهمة القارئ والباحث ، فى فهم أوضاع هذه المعارك وظروفها وتطوراتها .

وقد ألحقت بنهاية الكتاب طائفة من الوثائق الهامة المرابطية والموحدية ، والوثائق الأخرى التى رجعت إليها ، ومنها ما لايزال مخطوطاً لم ينشر بعد ، وذلك تسهيلا لمهمة الباحثين فى هذا الميدان ، فى التزود بمعلومات أوفى عن الموضوعات التى تتناولها .

وإنه لا يسعنى فى الختام ، إلا أن أقدم جزيل الشكر والعرفان لسائر الهيئات العلمية والمكتبية ، التى ساهمت فى تسهيل مهمتى ، فى البحث والمراجعة ، والتصوير والنقل ، وفى مقدمتها معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ومكتبة الإسكوريال ، ومكتبة مدريد الوطنية ، وخزانة الرباط ، وخزانة جامع القرويين بفاس ، وقسم المخطوطات بالمتحف البريطانى ، والمكتبة البودلية بأكسفورد ، ودار الكتب المصرية ، فقد كان لى من ذخائر هذه الهيئات ، والمكتبات الجليلة ، خير منهل ، وخير معين لى ، فى تأليف هذا الكتاب .

القاهرة فى رجب سنة ١٣٨٣
الموافق نوفبر سنة ١٩٦٣

محمد عبد الله عنان

بيان عن المصادر

كان عصر المرابطين والموحدين ، من حيث المصادر والوثائق ، من أشق مراحل هذه السلسلة من تاريخ المغرب والأندلس ، التى نضطلع بكتابتها منذ أعوام طويلة ، وذلك نظراً لاستطالة مداه ، وتشعب نواحيه ، وكثرة ثغراته الغامضة . وقد بذلنا خلال الأعوام التى قضيناها فى كتابة تاريخ هذا العصر ، جهوداً مضنية ، فى استيعاب مصادره ، وتقصى الوثائق التى تكشف عن أحداثه وخواصه ، وقمنا فى هذا السبيل بعدة رحلات إلى اسبانيا والمغرب وانجلترا . وقد رأينا أن نستعرض فى هذا البيان الموجز ، أهم المصادر والوثائق المخطوطة والمنشورة ، التى كانت عمادنا فى كتابة هذا التاريخ ، وسوف نعود فى نهاية الكتاب ، فنخص المصادر بثبت عام شامل ، يضمها جميعاً من مخطوط ومنشور ، ومن عربية ، ولاتينية وقشتالية ، وغيرها .

كتاب « المن بالإمامة »

نستطيع أن نقول إن هذا الكتاب ، أو بالحرى القسم الذى وصلنا منه ، هو أهم مصادرنا المخطوطة عن المرحلة الأولى من تاريخ الدولة الموحدية . واسمه الكامل هو حسبما جاء فى الصفحة الأولى ، من المخطوط الوحيد الذى انتهى إلينا ، «كتاب تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الله أئمة ، وجعلهم الوارثين ، وظهور الإمام أمير الموحدين على الملثمين ، وفى مساق ذلك خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين [وأحد] الخلفاء الراشدين » . وأما مؤلفه ، فقد ورد اسمه فى صفحة العنوان على النحو الآتى : « أنهى تأليفه ، وأبدع تحبيره وتصنيفه ، عبد الملك ابن محمد بن صاحب الصلاة الباجى رحمه الله » . ويحفظ هذا المخطوط بمكتبة جامعة أكسفورد المسماة « بالمكتبة البودلية » Bodleian Library ، وهو مسجل فى فهرس المخطوطات الشرقية بها ، المنشور باللاتينية فى سنة ١٧٨٧ فى صفحة ١٦٧ ، برقم DCCLVIII (١٧٥٨) ، فهو بذلك من أقدم مخطوطاتها الشرقية .

وهذا المخطوط عبارة عن مجلد ضخم ، يقع فى ١٩٤ لوحة مزدوجة ، أعنى

فى ٣٨٨ صفحة كبيرة الحجم (نحو ٣٠ فى ٢٠ سم) فى كل منها ١٩ سطراً ، وفى كل سطر نحو تسع كلمات ، ومكتوب بخط أندلسى كبير واضح ، وهو سليم جيد الحفظ ، ما عدا ورقة الأولى فهى قديمة باهتة ، ومجلد بجلد متين . وليس فى بداية المخطوط أو نهايته ما يدل على تاريخ كتابته ، ولكن يبدو من كتابته وحالته ، أنه ربما يرجع إلى القرن الثامن أو التاسع الهجرى (الرابع عشر أو الخامس عشر) .

ولا يضم هذا المخطوط من كتاب « المن بالإمامة » سوى « السفر الثانى » وذلك حسبما سجل فى صفحة العنوان ، وحسبما ورد فى ختام المخطوط على النحو الآتى : « كمل السفر الثانى من كتاب تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وصلى الله على محمد وآله ، يتلوه الثالث بحول الله سنة تسع وستين وخمسماية ، خبر وصول العلج الطاغية » .

ويبدو من عنوان الكتاب الذى تقدم ذكره ، أن السفر الأول منه ، يتضمن تاريخ قيام الموحدين ، وظفرهم بالتغلب على المرابطين ، وتاريخ أول خلفاء الموحدين عبد المؤمن بن على ، وهذا السفر الأول من الكتاب لم يصل إلينا ، كما لم يصل إلينا سفره الثالث الذى أشير إليه فى ختام المخطوط . وأما السفر الثانى وهو الوحيد الذى انتهى إلينا ، فيبدأ بحوادث سنة ٥٥٤ هـ ، وينتهى بحوادث سنة ٥٦٨ هـ ، وهى فترة قصيرة من الناحية الزمنية ، ولكنها حافلة بالحوادث الهامة ، التى يعرضها لنا ابن صاحب الصلاة ، وقد كان شاهد عيان لكثير منها ، فى تفصيل شاف ؛ على أن الأحداث التاريخية ليست أهم ما يتضمنه كتاب «المن بالإمامة» . ذلك أن أهم وأنفس ما يتضمنه الكتاب ، هو تلك المجموعة من الرسائل والوثائق الموحدية الصادرة عن الخلفاء والأمراء الموحدين ، التى ينقلها إلينا ابن صاحب الصلاة ، وتلك التفاصيل الدقيقة التى يقدمها إلينا عن نظم الحكم الموحدية ، وعن الشئون الإدارية والمالية ، وهذه الوثائق والتفاصيل تلقى أكبر ضوء على خواص الحكم الموحدى ، والدولة الموحدية .

وبالرغم من أن السفر الثانى الذى انتهى إلينا من كتاب « المن بالإمامة » ينتهى كما تقدم بحوادث سنة ٥٦٨ هـ ، وبالرغم من أن البحث لم يظفر حتى يومنا ، بالحصول على نص السفر الثالث من الكتاب ، فإنا نستطيع مع ذلك أن نعثر بكثير من النبذ والشذور التى يتضمنها هذا السفر المفقود من الكتاب ، وقد نقلها إلينا مؤرخ متأخر هو ابن عذارى المراكشى فى كتابه الجامع « البيان المغرب»

الذى سوف نتحدث عنه فيما بعد ، وهذه الشذور تمتد حتى معركة الأرك فى سنة ٥٩١ هـ ، وحتى وفاة الخليفة يعقوب المنصور فى سنة ٥٩٥ هـ .

ولابن صاحب الصلاة فى عرض الحوادث والشئون أسلوب خاص ، جزل نوعا ، وإن كان يلجأ أحياناً إلى السجع الركيك ، والتنميق المتكلف ، وهو يبدو سواء بأسلوبه ، أوطريقة عرضه للحوادث ، وتقدمه للأشخاص ، مؤرخ بلاط أثير ، يحرص كل الحرص على الإشادة بسادته وبأعمالهم ، يغمرهم خلال حديثه بالألقاب الفخمة ، والدعوات الرنانة ، ولايفوته كلما ذكر اسم الموحدين أن يقرنه بقوله «أعزهم الله» ، ثم هو يلجأ أحياناً فى وصف الخلفاء والأمراء إلى عبارات من المديح المسجع والملق المغرق . بيد أنه مع ذلك لا يحجم فى بعض الأحيان عن النقد ، والتنديد بأعمال وتصرفات يراها جديرة بذلك[1] .

وقد كان مؤلف كتاب « المن بالإمامة » من أدباء عصره وكتّابه . وهو عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الباجى ، ويكنى أبا مروان وأبا محمد ، ويعرف بابن صاحب الصلاة وبصاحب التاريخ[2] . وهو كما يبدو من اسمه أندلسى من أهل باجة . وفد على إشبيلية مذ نزل بها الموحدون ، واتخذوها عاصمة لولاية الأندلس ، واتصل بالبلاط الموحدى منذ البداية ، وخدم فيه كاتبا وشاعراً ، وكان ضمن الوفود التى لقيت الخليفة عبد المؤمن حين زيارته لجبل طارق فى سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) . وقد عنى ، وهو من أهل باجة ، وهى المنطقة التى قامت بها ثورة ابن قسىّ وأنصاره المريدين ، بأن يؤلف كتابا عن « ثورة المريدين » ، وهو كتاب يشير إليه فى غير موضع من « المن بالإمامة » ولكنه لم يصل إلينا . وقد وصفه ابن عبد الملك فى « الذيل والتكملة » بقوله : « وكان أديباً محسناً ، عنى بحفظ التواريخ وتقييدها ، وصنف « تاريخ ثورة المريدين بالأندلس » و« دولة بنى عبد المؤمن ، ومن أدرك بحياته من بنيه »[3] ، ومن الواضح أنه يعنى بذلك كتاب « المن بالإمامة » . ولم يقدم لنا أحد ممن تعرض

---

(١) مثال ذلك ما ورد فى حديثه عن غزوة وبذة التى قام بها الخليفة أبو يعقوب يوسف ، ثم عن غزوة شنترين التى انتهت بمصرع الخليفة المذكور (ص ٩٧ و ١٣٤ و ١٣٥ من القسم الثالث من البيان المغرب) .

(٢) كتاب التكلة لابن الأبار (المكتبة الأندلسية) رقم ١٧٢٦ .

(٣) كتاب « الذيل والتكلة » لا بن عبد الملك المراكشى ، الجزء الرابع من مخطوط المكتبة الوطنية بباريس .

لترجمة ابن صاحب الصلاة ، تاريخ مولده أو وفاته . وقد ذكر المستشرق الإسبانى پونس بويجس فى معجمه نقلا عن المستشرق أمارى أنه توفى سنة٥٧٨هـ (١١٨٢م)[1] ، وتابعه فى ذلك الأستاذ بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى[2] ، وهو تاريخ خاطىء ، لايتفق مع سياق كتاب « المن بالإمامة . ذلك أن ابن صاحب الصلاة ، يذكر لنا فى مؤلفه حوادث شهدها ترجع إلى سنة ٥٩٤ هـ ، مثل الاحتفال بإتمام بناء صومعة جامع إشبيلية الأعظم ، ورفع التفافيح الذهبية إلى قمتها ، بحضرة الخليفة يعقوب المنصور ، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ٥٩٤هـ ، عقب عوده ظافرا من معركة الأرك الشهيرة (Fol. 171. v.) ، بل يبدو مما ينقله ابن عذارى فى « البيان المغرب » من شذور عن وفاة المنصور فى سنة ٥٩٥ هـ ، ثم عن حوادث الأعوام الأولى من خلافة ابنه الناصر ، وهى شذور يبدو فيها أسلوب ابن صاحب الصلاة واضحاً ، أن مؤلف كتاب « المن بالإمامة » قد عاش حتى أواخر القرن السادس ، بل والى أوائل القرن السابع ، وأنه قد توفى على الأرجح حوالى سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ م)[3] . وأما مولده فيمكن أن نضعه بين سنتى ٥٢٠ و٥٣٠ هـ (١١٢٦ — ١١٣٥ م) .

كتاب نظم الجمان

ومن أهم مصادرنا المخطوطة عن أواخر عهد المرابطين ، وأوائل عهد الموحدين قطعة كبيرة مخطوطة من كتاب نظم الجمان لابن القطان ، تتضمن السفر الثالث عشر من هذا الكتاب . وعنوانه على النحو الآتى : « السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان » . وفى داخل المخطوط ، توصف القطعة بأنها « الجزء السادس ، من هذا الكتاب . فى ذكر ما انتهى إلينا من أخبار القرن السادس ، وهو المائة السادسة من الهجرة الكريمة » . ويحتوى هذا المخطوط على ثمانية وستين لوحة مزدوجة كبيرة الحجم (١٣٦ صفحة) فى كل صفحة منها

---

(١) Pons Boigues : Ensayo Bio - Bibliografico sobre los Historiadores y Geograficos Arabigo - Espanoles, p. 246.

(٢) C. Brockelmann : Geschichte der Arabischen Litteratur, Supp. 1. p 554.

(٣) راجع بعض هذه الشذور التى ينقلها ابن عذارى فى البيان المغرب : القسم الثالث الذى يجرى نشره الآن بعناية الأستاذة : هويثى ميرانده ومحمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتانى عن معهد مولاى الحسن بتطوان : ص ٢٠٧ — ٢١١ و٢١٣ ، و٢١٩ و٢٢٠ و٢٢٣ و٢٢٥ .

تسعة عشر سطراً بخط مغربى كبير ، والنص كله مشكول بالمداد الأحمر ، وأحياناً بخط مذهب ، والمخطوط قديم مبتور الآخر ، وليس هناك ما يدل على تاريخ كتابته . بيد أنه يمكن أن نرجعه إلى القرن الثامن الهجرى . ويبدو من خطه المنمق وعناوينه المذهبة ، أنه ربما كتب برسم أحد الأمراء أو الكبراء .

وأما عن مؤلف الكتاب ، ابن القطان ، فليس لدينا عنه تفاصيل شافية ، وقد ذكر اسم المؤلف فى صفحة العنوان بأنه « الإمام العالم أبو النجوم الباجى » وذكر فى رأس الصفحة الأولى أنه « ابن القطان »[1] . وقد ورد فى لوحة ٦٧ ا من المخطوط ما يدل على أن المؤلف كان حياً ، فى عهد الخليفة الموحدى المرتضى (٦٤٦ — ٦٦٥ هـ) وهو الذى حكم قبل آخر الخلفاء الموحدين .

ويتناول المخطوط أخبار المرحلة الأخيرة من حكم المرابطين منذ سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤م) ، وأخبار بداية ظهور المهدى ابن تومرت ، وتقدم دعوته ، وتصنيف أصحابه ، ومرحلة الصراع الأولى بين الموحدين والمرابطين ، وأخبار الأندلس خلال هذه الفترة ، وذلك حتى أخبار سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) . وأهم ما يتميز به هذا القسم من مؤلف ابن القطان أنه ينفرد بإيراد رسالتين هامتين لم تذكرا فى غيره وهما ، رسالة « الكافية فى براهين الإمام المهدى » ، وهى رسالة خاطب بها أبو عبد الرحمن بن طاهر عميد مرسية ، الخليفة عبد المؤمن بن على ، ورسالة وجهها عبد المؤمن إلى الطلبة والمشيخة والأعيان بالأندلس (سنة ٥٤٣هـ) ، يشرح فيها

---

(١) وردت فى التكملة لابن الأبار (المكتبة الأندلسية) رقم ١٩٢٠ ، ترجمة « لعلى بن محمد ابن عبد الملك بن يحيى بن ابراهيم الكتامى الحميرى الفاسى ، أبى الحسن بن القطان » جاء فيها أنه « كان من أبصر الناس بصناعة الحديث ، وأحفظهم لأسماء رجاله ، وأشدهم عناية بالرواية ، ورأس طلبة العلم بمراكش . ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة . وله تواليف ، ودرس وحدث . وتوفى على قضاء سجلماسة فى ربيع الأول سنة ثمان وعشرين (أى وستمائة) » .

وعثرنا أيضاً فى « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشى على ترجمة طويلة للمذكور ، جاء فيها انه « فاسى سكن مراكش ، وكان ذاكراً للحديث ، مبحرا فى علومه ، وكان معظما عند الخاصة والعامة من آل عبد المؤمن ، حظى كثيراً عند المنصور منهم ، فابنه الناصر ، فالمستنصر بن الناصر ، فأبى محمد عبد الواحد أخى المنصور ، ثم أبى زكريا المعتصم بن الناصر ، وكان المنصور يؤثره على غيره من أهل طبقته . وكان مرجوعاً إليه فى الفتاوى » (الجزء الخامس من مخطوط المتحف البريطانى لوحة ١٣) .

على أن ما ورد فى المخطوط ، مما يدل على أن ابن القطان كان حياً فى عهد الخليفة المرتضى ؛ يجعلنا نتردد فى الاعتقاد بأنه هو صاحب الترجمة التى أوردها ابن الأبار ، ثم ابن عبد الملك ، لما هنالك من الفارق الزمنى الملحوظ . وربما كان المترجم هو أبو المؤرخ .

قواعد السياسة الشرعية الموحدية ، ولا سيما فى مطاردة المنكر ، وفى شئون المكوس والمغارم .

ويبدى ابن القطان فيما يورده من أخبار الموحدين ، حماسة ظاهرة فى تأييد المذهب الموحدى ، والدولة الموحدية ، ويذكر الإمام المهدى ، وخلفاءه الموحدين بمنتهى الخشوع والإجلال[1] .

القسم الثالث
من كتاب البيان المغرب

كان كتاب « البيان المغرب » لابن عذارى المراكشى ، منذ البداية من أهم مصادرنا فى كتابة تاريخ الأندلس . ولقد انتفعنا خلال كتابة العصرين الأول والثانى من هذا التاريخ ، فى كتابينا « دولة الإسلام فى الأندلس » و « دول الطوائف » ، بجزئيه الأول والثانى ، اللذين نشرا منذ أكثر من قرن بعناية العلامة دوزى ، ثم بجزئه الثالث الذى نشر بعناية الأستاذ ليڤى بروڤنسال . وقد كان من المفروض أن ننتفع بجزئه الرابع الذى صدر بعد ذلك بمدينة تطوان فى سنة ١٩٥٦ ، وهو الذى يتناول بقية عهد المرابطين ، وعهد الموحدين . ولكن اكتشافا جديداً فى منتهى الأهمية غير هذا الاتجاه ، وهو العثور فى الخزانة الناصرية بتامجروت على مقربة من زاكوره بالمغرب ، على مخطوط جديد موسوم « بالجزء الثالث » من « البيان المغرب » ، وهو عبارة عن مجلد كبير يحتوى على ٤٦٣ صفحة كبيرة . فى كل منها واحد وعشرون سطراً . ويبدأ بحوادث سنة ٥٣٣ هـ فى أواخر عهد الدولة المرابطية ، بحملة تاشفين بن على بن يوسف لمقاتلة الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن على . وينتهى بحوادث سنة ٦٦٥ هـ ، بخلافة إدريس أبى دبوس الواثق بالله آخر الخلفاء الموحدين ، وحملته إلى السوس ، ويزيد فى البداية ستين صفحة ، وفى النهاية ست وستين صفحة عن الجزء الرابع المطبوع ، هذا فضلا عما يمتاز به فى مواطن كثيرة ، من زيادات فى النص ، وفى الشعر ، ومن تصحيحات كثيرة أخرى .

ولقد اغتبطنا أيما غبطة باكتشاف هذا المرجع النفيس من مراجع عصر الدولة

---

(١) ان هذا الجزء المخطوط من كتاب « نظم الجمان » يوجد اليوم فى حوزة معهدنا المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، وهو الذى سهل لى مشكوراً سبيل مراجعته ودراسته . وقد علمت أن هذا المخطوط قد أعد للنشر محققاً بعناية صديقى الدكتور محمود على مكى وكيل المعهد المذكور .

الموحدية . ويجرى فيه ابن عذارى على طريقته أحياناً من تصنيف روايته إلى فصول ، وأحياناً إلى حوليات سنوية . ثم هو يجرى أيضاً فى أسلوبه على طريقته من إلتزام الحيدة فى إيراد الحوادث وتقديم الأشخاص ، وعدم التورط فى المديح أو الذم ، ويترك هذه المهمة فى الإشادة أو الانتقاص ، لمن ينقل عنهم من مؤرخى الدولة الموحدية . ومن أهم مميزات هذا القسم من « البيان المغرب » ماينقله إلينا ابن عذارى خلال روايته ،من شذور عديدة من المعاصرين من مؤرخى الدولة الموحدية ، ولاسيما ابن صاحب الصلاة ، حيث ينقل إلينا الكثير من « السفر الثالث » من كتاب « المن بالإمامة » . وهو الجزء المفقود من هذا المؤلف حسبما أشرنا إلى ذلك من قبل[1] .

هذا ، وفضلا عن ذلك ، فقد انتفعنا من تراث ابن عذارى بقطعة مخطوطة من أربع وخمسين لوحة ، عن أصل دولة المرابطين ، وولاية يوسف بن تاشفين وفتوحه فى المغرب ، ودخول المرابطين بلنسية ، وأخبار على بن يوسف ، وقصة إحراق كتاب الإحياء ، وولاية تاشفين بن على ، وغزوة ألفونسو المحارب ، وغير ذلك . وكان المرحوم الأستاذ ليڤى بروڤنسال قد عثر بهذه القطعة بين أضابير مكتبة جامعة القرويين بفاس ، ونشر منها بعض شذور ، عن بعض الوقائع الهامة التى وردت فيها ، ثم نشرها أخيراً بنصها الكامل الأستاذ هويثى ميرانده فى مجلة هسپيرس تمودا فى عدد سنة ١٩٦١ .

وكان من حسن الحظ أننا عثرنا خلال بحثنا فى « خروم » (دشت) مكتبة جامع القرويين بفاس ، بأربع صفحات كبيرة من كتاب « البيان المغرب » تتناول حوادث سنى ٥١١ هـ إلى ٥١٤ هـ ، وفيها تفاصيل هامة عن سقوط سرقسطة فى يد ألفونسو الأرجونى (٥١٢هـ) ، وعن موقعة كتندة ، وعن ثورة قرطبة ضد المرابطين (٥١٤هـ) ، وتفاصيل أخرى . وكان اختفاء هذه الصفحات يكون ثغرة فى مجموعة الأوراق المخطوطة المتقدمة ، التى عثر بها الأستاذ بروڤنسال ، فجاء عثورنا عليها متمما لهذه المجموعة المتناثرة من كتاب البيان المغرب .

---

(١) سبق أن أشرنا إلى أنه يجرى الآن نشر هذا القسم الثالث من البيان المغرب برعاية معهد مولاى الحسن بتطوان ، وتحقيق الأساتذة أمبروسيو هويثى ميرانده ، ومحمد بن تاويت ، ومحمد ابراهيم الكتانى ، وقد أنجز منه حتى اليوم معظمه .

وانتفعنا كذلك ببضعة أوراق مخطوطة من كتاب « صلة الصلة » لابن الزبير ؛ وهى أيضاً من محتويات « خروم » مكتبة القرويين .

أما عن حياة ابن عذارى ، وأصله ونشأته ، فلسنا نعرف الكثير ، وكل ما نعرفه أنه يسمى أبو عبد الله محمد المراكشى ، وأنه قد عاش فى أواخر القرن السابع الهجرى ، فى بداية دولة بنى مرين ، وفى بداية القرن الثامن ، وقد كان لهذا الظرف الزمنى بلا ريب تأثير كبير ، فيما يلتزمه فى روايته عن تاريخ الموحدين ، من الحيدة ، وضبط النفس ، وعدم التورط فى عبارات الملق ، التى يكثر منها مؤرخون مثل ابن صاحب الصلاة ، وابن القطان .

الرسائل المرابطية

إن مصادر العصر المرابطى التى بين أيدينا ، وفى مقدمتها البيان المغرب ، وروض القرطاس ، والحلل الموشية ، ينقصها الكثير مما يلقى ضياء حقيقياً على أحوال الدولة المرابطية ونظمها وخواصها ، وعلى اتجاهات السياسة المرابطية الدينية والسياسية ، سواء بالمغرب ، أوالأندلس . بيد أنه كان من حسن الطالع ، أننا وقفنا خلال بحوثنا بمكتبة الإسكوريال على طائفة عديدة من الرسائل والوثائق المرابطية ، التى تسد فراغاً كبيراً فى هذا الميدان ، وتلقى أضواء كثيرة على خواص الدولة المرابطية ونظمها وسياستها ، هذا فضلا عما تلقيه من أضواء على طائفة كبيرة من الأحداث العسكرية الأندلسية الهامة التى وقعت خلال العصر المرابطى .

وتجتمع هذه الرسائل أولا فى المخطوطين رقم ٤٨٨ ورقم ٥٣٨ ، من فهرس الغزيرى ، وثانيا فى المخطوط رقم ٥١٩ الغزيرى ، وثالثا فى مجموعة أخرى يضمها مخطوط معهد الدراسات الإسلامية بمدريد .

وأهم هذه الرسائل فيما يختص بالعصر المرابطى ، هو المجموعة التى يضمها المخطوط الأول ، وهو رقم ٤٨٨ ، وهو مخطوط قديم مبتور الآخر وليس له عنوان معين ، ولكن جاء فى الورقة الأولى منه ما يأتى : « جمع هذا الكتاب قصائد كثيرة لعلماء يطول تفسير أسمائهم ، للفتح بن خاقان ، ولابن عبد الصمد ، وللبستى ، ولابن عمار ، وابن اللبانة ، وابن زيدون ، وابن حبيب .. ورسائل شتى ورحلة ابن جبير ، ونسخة بيعة والسلام » . على أن أهم ما يحتويه المخطوط هو خمس رسائل ، كتبت عن أهم الأحداث العسكرية التى وقعت بالأندلس أيام

المرابطين ، الأولى رسالة يوسف بن تاشفين عن موقعة الزلاّقة ، والثانية رسالة ابن شرف عن فتح أقليش . والثالثة رسالة أهل سرقسطة حينما حاصرها النصارى إلى الأمير أبي الطاهر تميم بن يوسف ، والرابعة رسالة لعلى بن يوسف عن هزيمة القلعة . والخامسة رسالة أهل بلنسية إلى على بن يوسف عند نزول ألفونسو المحارب عليها ، وهذا عدا وثيقة موحدية هامة هى بيعة أهل قرطبة بولاية العهد ، لمحمد الناصر ولد الخليفة الموحدى يعقوب المنصور .

ويضم المخطوط الثانى ، وهو رقم ٥٣٨ ، عدة رسائل مرابطية ، أخرى، عن أواخر العهد المرابطى بالأندلس ؛ أهمها رسالة وجهها تاشفين بن على بن يوسف إلى الفقهاء والوزراء والكافة ببلنسية يحثهم على التزام الجهاد والسنن الرفيعة ، وأداء الصلاة ، ومجانبة الخمر ، والرفق بالرعية ، والتزام مذهب مالك فى الأحكام ، ومطاردة كتب الغزالى . وتعتبر هذه الرسالة من أهم الوثائق المرابطية الدستورية ، هذا إلى عدة رسائل ثانوية أخرى تلقى أضواء مختلفة على جوانب من أواخر العصر المرابطى بالأندلس[1] .

ويضم المخطوط الثالث . وهو رقم ٥١٩ . وهو خاص « بترسيل الفقيه الكاتب أبى عبد الله بن أبى الخصال ومقاماته ومعارضته » ، عدة رسائل مرابطية وجهت إلى على ابن يوسف ، ورسائل أخرى أدبية ، متبادلة بين أكابر كتاب ذلك العصر ، وبين ابن أبى الخصال . تلقى ضوءاً على بعض جوانب أدبية واجتماعية من ذلك العصر .

أما المجموعة الثالثة ، فيضمها مخطوط حصل عليه معهد الدراسات الإسلامية من تركة المرحوم الأستاذ ليڤى پروڤنسال ، وهو نفس المخطوط الذى يضم مجموعة الرسائل الموحدية التى نشرها (سنة ١٩٤١) تحت عنوان « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » . وقد نشرت هذه الرسائل أخيراً ، وعددها إحدى وعشرون رسالة بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد[2] ، وهى تلقى أضواء كثيرة على نواح مختلفة من العصر المرابطى ، سياسية وعسكرية وإدارية .

---

(١) نشرت معظم الرسائل المشار إليها فى المخطوطين السابقين بعناية صديقى الدكتور حسين مؤنس مدير معهد الدراسات الإسلامية بمدريد خلال الأعوام الأخيرة فى فترات مختلفة ، وذلك بمجلة معهد الدراسات الإسلامية (سنة ١٩٥٤ و ١٩٥٥) .

(٢) قام على نشر هذه الرسائل وتحقيقها والتمهيد لها صديقى الدكتور محمود على مكى وكيل معهد الدراسات الإسلامية ، ونشرت بالمجلدين السابع والثامن من مجلة المعهد (سنة ١٩٥٩ — ١٩٦١) .

ويمكننا أن نشير فى هذا الموطن أيضاً . إلى وثيقة مرابطية هامة . أوردها لنا ابن الخطيب فى الإحاطة . وهى كتاب تولية العهد الصادر من يوسف بن تاشفين لولده على .

الرسائل الموحدية

حسبنا أن نشير فى هذا الموطن . أولا إلى مجموعة الرسائل الموحدية التى نشرت بعناية الأستاذ پروڤنسال والتى سبقت الإشارة إليها ، وهى من أهم الوثائق التى تلقى كثيراً من الضوء ، على معظم الأحداث الهامة ، التى وقعت فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على ، وولده الخليفة أبى يعقوب يوسف . فولده الخليفة يعقوب المنصور ، فولده الخليفة محمد الناصر .

وقد وقفنا إلى جانب ذلك على مجموعة من الرسائل المخطوطة . وردت فى مخطوط الإسكوريال رقم ٥١٨ الغزيرى (ديرنبور ٥٢٠) وهو كتاب « زواهر الفكر وجواهر الفكر » لمحمد بن على بن عبد الرحمن المرادى المكنى بابن المرابط ، وهو حسبما ورد فى آخره مكتوب فى سنة ٧٢١ هـ . وهو عبارة عن مجموعة كبيرة من الرسائل الأندلسية ، ومنها عدة رسائل بقلم القاضى الكاتب أبى المطرف بن عميرة عن حوادث بلنسية أيام الفتنة الأخيرة ، التى انتهت بسقوطها فى أيدى النصارى . ورسالة كتب بها عن أهل شاطبة إلى ابن هود ، وظهير موحدى صادر عن الخليفة الرشيد إلى المتوطنين من أهل شرقى الأندلس برباط الفتح ، ورسائل وقصائد لابن الأبار ، وغيرها . وهذه الرسائل تكشف عن كثير من الظروف والأحداث التى وقعت فى شرقى الأندلس ، فى أواخر عهد الموحدين . وأواخر عهد الإسلام به .

التراجم المخطوطة

كان من أهم مصادرنا المخطوطة طائفة كبيرة من التراجم وردت فى موسوعتين هامتين ، الأولى ، «كتاب الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة » لقاضى الجماعة أبى عبد الله محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصارى الأوسى المراكشى المتوفى فيما يرجح فى أواخر القرن السابع الهجرى ، والثانية كتاب « الإحاطة فى أخبار غرناطة » للوزير لسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) .

وكتاب التكملة موسوعة جليلة من التراجم ، وبها عدد كبير من تراجم أعلام العصرين المرابطى والموحدى ، من فقهاء وكتاب وأدباء وشعراء . وقد رجعنا

إلى أجزائها المخطوطة الموجودة فى دار الكتب المصرية (الجزء المخطوط الموسوم بالسفر الخامس ، والأجزاء المصورة ، وبها تراجم حرف الميم حتى الياء) ، وفى المتحف البريطانى (الرابع والخامس رقم ٧٩٤٠) وخزانة الرباط (الأول مصور مخطوط باريس) ، والإسكوريال (قطعة فقط رقم ١٦٨٢ الغزيرى وبها تراجم حرف السين حتى أوائل حرف ع) ، ونقلنا منها عدداً كبيراً من التراجم . وقد كان من أهم ما انتفعنا به من هذه التراجم ، هو الشذور والنبذ التاريخية العديدة ، التى وردت خلالها عن أحداث العصرين المرابطى والموحدى ، ومنها أحياناً روايات هامة وحيدة لم ترد فى أية مصادر أخرى ، هذا فضلا عن التعريف بكثير من الأعلام الذين تنفرد هذه الموسوعة النفيسة بإيراد تراجمهم .

وكذلك الشأن فى كتاب الإحاطة لابن الخطيب ، فقد وردت به تراجم عديدة لأمراء وزعماء من المرابطين والموحدين ، وكذلك لكثير من أعلام هذا العصر من فقهاء وكتاب وشعراء ، وكان انتفاعنا عظيما بهذه التراجم ، ولاسيما التى وردت منها بالقسم المخطوط من الإحاطة (الإسكوريال رقم ١٦٧٣ و١٦٧٤ الغزيرى) ، وقد ورد خلالها كثير من الشذور التاريخية الهامة ، منقولة عن مصادر ضاعت مثل كتاب « الأنوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية » وغيره .

أما عن كتب التراجم المطبوعة ، فحسبنا أن نشير هنا إلى وفيات الأعيان لابن خلكان ، والصلة لابن بشكوال ، وصلة الصلة لابن الزبير ، وبغية الملتمس للضبى ، والتكملة والحلة السيراء لابن الأبار ، والأخيران يضمان كثيراً من التراجم والنبذ التاريخية الهامة المتعلقة بعصرى المرابطين والموحدين .

وثائق ومصادر أخرى

وليس فى نيتنا أن نتحدث فى هذا البيان الموجز عن المصادر المخطوطة ، عن المصادر المطبوعة ، وهى كثيرة يتعذر حصرها . بيد أنه يجدر بنا أن نشير فقط إلى طائفة من هذه المصادر التى تعتبر إلى جانب المصادر المخطوطة ، من أهم المراجع الرئيسية عن عصر المرابطين والموحدين .

فمنها كتاب «المعجب» لعبدالواحد المراكشى ، و«الحلل الموشية» ، لمؤلف مجهول ، و« روض القرطاس » لابن أبى زرع الفاسى ، وهذه المراجع الثلاثة تتناول عصر المرابطين والموحدين معا ، وهى لمؤلفين عاشوا فى عصر الموحدين أو قريباً منه .

ومنها ما يختص بالموحدين وعصرهم ، وفى مقدمتها مؤلفا المهدى محمد بن تومرت ، وهما « أعز ما يطلب» و«الموطأ» ، وأولهما يضم خلاصة مذهبه وتعاليمه ، والثانى يضم شروحه لأحكام مذهب مالك . ويليهما كتاب « أخبار المهدى ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين » وهو من تصنيف أبى بكر الصنهاجى المكنى بالبيذق أحد أصحاب المهدى ، وهو أهم وأقيم مصادرنا عن نشأة المهدى ونسبه وأصحابه ، وحركاته الأولى ، ثم غزوات خليفته عبد المؤمن .

وهناك مصدر هام آخر جدير بالذكر ، وهو « رحلة التجّانى » وهى رحلة قصيرة قام بها أبو محمد عبد الله بن محمد التجّانى بين سنتى ٧٠٦ و ٧٠٨هـ ، فى أنحاء تونس وطرابلس ، وهى تتضمن طائفة كبيرة من النبذ والشذور التاريخية القيمة عن الأحداث والمعارك التى وقعت فى أنحاء إفريقية وبلاد الجريد ، بين بنى غانية والموحدين ، وهى من أدق وأوفى الروايات التى انتهت إلينا عن هذه الفترة .

وكذلك رحلة ابن جُبير الأندلسى ، ففيها إشارات ونبذ هامة ، تتعلق بالموحدين ؛ أما عن المصادر الجغرافية المتعلقة بالمغرب والأندلس ، فلدينا ثلاثة من أهمها وأقيمها ، هى كتاب «المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب» ، المستخرج من كتاب « المسالك والممالك » (لأبى عبيد البكرى) ، و« وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس » المستخرج من كتاب « نزهة المشتاق » للإدريسى ، وكتاب « الإستبصار» (لمؤلف مجهول) وهو أحدثها من الناحية التاريخية :

وهذا كله إلى المصادر النصرانية من لاتينية وقشتالية وغيرها ، معاصرة أو محدثة ، وقد ذكرت تباعاً فى مواطنها ، ولا داعى للتحدث عنها هنا .

صفحة من الأوراق المخطوطة التى عثرنا عليها من كتاب « البيان المغرب » لابن عذارى بخزانة جامع القرويين بفاس ، وهى من أوراق الجزء الخاص بعصر المرابطين



وفهم الله انما افضل بركم المكان الذي يتوليه ومن يرى عاره

وعزل نفسانه فليعرفه أولا تسير بأمرهما وليبكرا في إصلاح

انفسهما قبل إصلاح غيرهما فمن لا يصلح أمر نفسه لا يصلح سواه

ومن لا يسرع أمره لا يسرع أمر من تولاه، وعليكم اجمعين بتقوى الله في

السر والإعلان والتمسك بعصم الدين والاستعانة على

حوائج بالكتمان والتنزه عن طلب البر والصلاح ولم تخل الغفة من

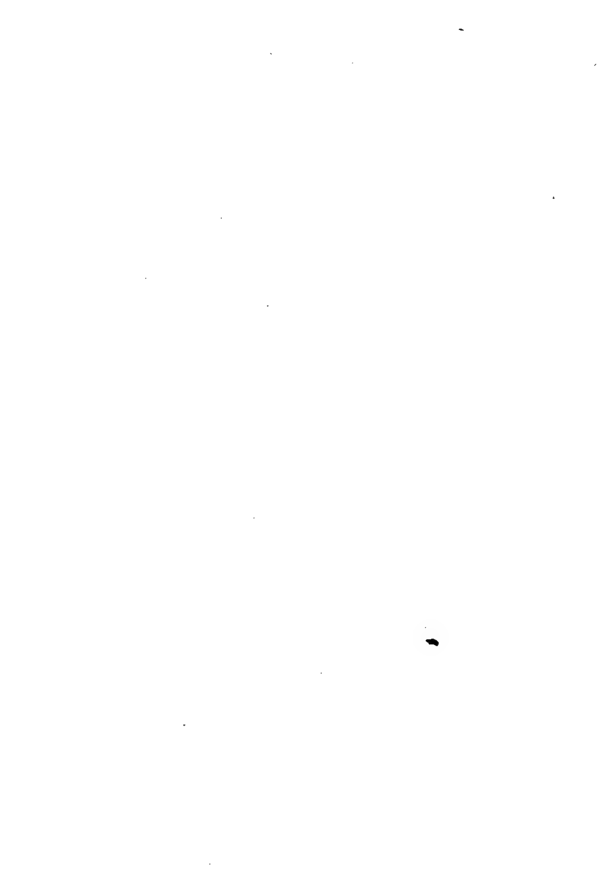
[illegible] وصدق [illegible] العامل الحلم والفقه الصحيح

القوم ولقد [illegible] الناس [illegible] منهم يتساووا اذا [illegible]

واعلموا أمركم الصلاة التي هي [illegible] النجاة [illegible] ولا [illegible]

[illegible] والزموها [illegible] ولا تخلوا بشيء من [illegible] فيما

واخلصوا لله الذي [illegible] واعلموا انما كما قال [illegible] الصلاة



[illegible] كتاب الشفا [illegible]

[illegible]

[illegible] على الصلاة في أوقاتها [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

رضي الله عنه

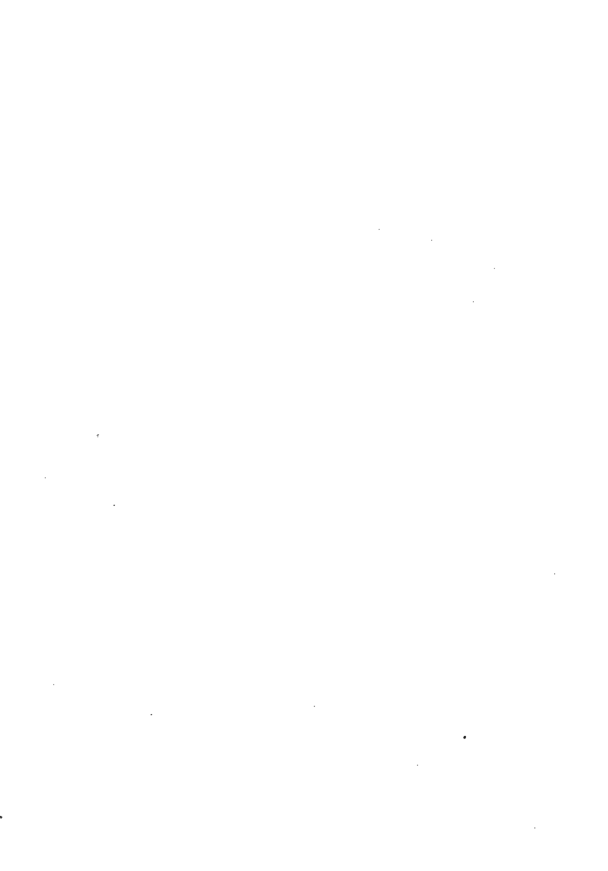
[illegible] رضي الله تعالى عنه [illegible]

[illegible]

[illegible] رضي الله تعالى عنه [illegible] رحمهما الله تعالى

خاتمة [illegible] رضي الله تعالى عنه

[illegible]



لال ، ويقضم أسسها الترف والخور ،
رسواء أكان هذا القرار قد أملته شهوة
لخضراء الغنية الساحرة ، أم كان بقصد
سلامة المغرب ، بصون جناحه الدفاعى
ى المرابطين قراره ، واستولت جيوشه
حاوز عشرين عاما ، فيما بين سنتى ٤٨٣
ذلك حسبما فصلناه من قبل فى كتابنا

ولاية مغربية ، تخضع لحكومة مرّاكش،
. أن كان المغرب قبل ذلك بنحو قرن
طبة الأموية . ونحن نعرف أن البربر قد
ولكنهم لم ينالوا نصيبهم الحق ، فى حكم
ب سادة البربر عند الفتح . وعلى الرغم
رى ، فى ظل الدولة الأموية ، بعض

كلتا الدولتين ، المرابطية والموحدية ، فى
ما على نسق واحد ، فكلتاهما قامت على
عصب ؛ فكان داعية الدولة المرابطية ،
ولة الموحدية ، المهدى محمد بن تومرت ،
زعيم موهوب وقائد بارع ، فكان زعيم
اد ملكها السياسى ، يوسف بن تاشفين ،
ى وضع أسس الدولة الموحدية ، ووطد
بعد أن قضت على الدولة المرابطية ، أن
ة ، التى كانت تحتلها ، سواء فى المغرب
لص للموحدين إلا بعد فترة من الصراع
ندلس .

بين الدولتين ، بالنسبة للأندلس ، إذا
، التى كانت تحرك هاتين الدولتين ، إلى
حر — كانت تجمع بينهما فكرة الجهاد ،

تحدوهم مثل الروح ، التى كانت تحدو
والذود عن الأندلس ، فإنهم لم يحرزوا
الكفاح . وقد بذل الموحدون بالفعل
الجهاد بالأندلس ، وصد عدوان اسبانيا
لحرارة مراراً إلى شبه الجزيرة ، مزودة
م وهم فى إبان قوتهم ، لم يحرزوا توفيقاً
مت حملة الخليفة أبى يعقوب يوسف بن
وبذة (٥٦٧ هـ ـ ١١٧٢م) ، وتحطمت
شنترين (٥٨٠هـ ـ ١١٨٤ م) ، ومنيت
الخليفة نفسه فى الموقعة . ويرجع هذا
م الجيوش الموحدية ، وضعف قيادتها ،
شتداد ساعد مملكة البرتغال ، واستغراقها
الأندلسية ؛ ولم تبرز الجيوش الموحدية
الأرك العظيمة ، التى أحرز فيها الخليفة
القشتاليين ، فى شهر رجب سنة ٥٩١ هـ

اد فى صدورهم طوال الوقت الذى كانت
وبين اسبانيا النصرانية ، وكثيراً ما غزت
اسبانيا النصرانية من تلقاء نفسها ، طلباً
حدون إلى الأندلس فى جيوشهم الحرارة
شعارهم دائماً فى محاربة النصارى فى شبه

* *

المرابطين والموحدين، وهم سادة الأندلس
معركة السلطان والملك . ولقد كانت هذه
نة الأندلس الحقيقية ، وكانت تتجدد من
أثخنت الأندلس أيام الطوائف بجراحها
لأسف والأسى ، التى تقترن بمثل هذه
أن نحكم عليها ، فإنه يصعب على المؤرخ،
ى تبعتها على فريق بعينه ، وثانيا أن يتجاهل
ى ورائها . وهى فى ذلك تفترق عن معارك

، ويبدد شملنا » وكيف أنه كان ثمة بين
، من لم ترقه هذه الفكرة ، توجساً

-

ذلك المعنى النبيل الذى بثه نصر الزلاّقة
، واستولى المرابطون على دول الطوائف
فى بعض الأحيان بكثير من العنف ،
ف مدافعين عن أنفسهم وملكهم . وكان
حنبات الأندلس ، وأعمق أثر فى نفوس
أساليب الحكام والقادة المرابطين ، فى
لا رفيقة ، وذلك بالرغم مما كان يحدوها
ر المسلمين ، من النيات الطيبة والنصائح
والرفق بالرعية ، وكانت أساليب هؤلاء

، والحلل الموشية ص٢٧ و ٢٨ ، وأعمال الأعلام
لتبيان للأمير عبد الله بن بلقين ص ١٠٣ و ١٠٤ .

وتقلد ابن هود الرياسة الإسمية ، وهو فى
ندلسية ، ولما قتل ابن هود فى موقعة
وابن هود ، وبين القشتاليين وذلك فى
س لنفسه ، وغلب على شرقى الأندلس
ت بينه وبين القشتاليين فى سنة ٥٤٢ هـ
نائبه وصهره محمد بن سعد بن مردنيش ،
نه القوى على سائر القواعد الشرقية من
نيش يمثل الفكرة القومية الأندلسية فى
د الموحدين أعواما طويلة ، حتى تبددت
كله حسبما نفصل بعد فى مواضعه . وكان
الأندلس ، قبل ثورة ابن مردنيش بعدة
ى بذلها قائد المرابطين القوى ابن غانية ،
بية لفترة قصيرة أخرى .

انية — من جراء تغلب القبائل البربرية
ست هذه الظاهرة فيما بعد أيام الموحدين ،
مردنيش ، وفى تحالفه المستمر الوثيق

*

ورة ابن مردنيش فى شرق الأندلس
استولى الموحدون على مملكة مرسية ،
وغاضت النزعة القومية الأندلسية ،
راء البحر ، واستطاع الموحدون أن
رن آخر ، وسطع البلاط الموحدى فى
الأندلس ، وخصوها بمنتهى الرعاية ،
الصروح الفخمة ، وقامت منشآتهم
واعد الأندلس ، من قصور ومساجد
وقوة سلطانهم ، وفخامة دولتهم .
أوالمغرب ، أعلام الأندلس من كل

س الوقت أن أخذت بوادر الثورة تتحرك
رمية القديمة ، ضد حكم وهنت دعائمه .
ق الأندلس ، وكان على رأسها زعيمان ينتمى
ة ، أولهما زيان بن مردنيش ، والثانى أبو عبدالله
صرت حركة زيان ببلنسية ، إذا بدعوة
ومالقة ، وكانت حركة ابن هود تمثل فكرة
ى إلى تحرير الأندلس من نير الموحدين ،
ه ، لم تكن تسمح له بأن يضطلع بمثل تلك
قد نهض النصارى لانتهاز الفرصة السانحة ،
خلال تلك الغمار المضطرمة ، فقام ألفونسو
ية ، ماردة وبطليوس وغيرها (٦٢٧هـ)
اصمة الخلافة القديمة (شوال سنة ٦٣٣هـ —
ذى تخلى فيه ابن هود عن إنجادها ، وشغل
دلس . وكان لسقوط قرطبة أعمق وقع فى
، ولكنه كان أمراً محتوماً لاسبيل إلى اتقائه .

ية ، وشاطبة ، ودانية ، وجيان ، وإشبيلية
ها وغيرها — وأضحت أنقاضاً متناثرة ،
فيما وراء نهر الوادى الكبير ، ولاح من
لأخيرة قد دنت ، وأنه لم يبق على اسبانيا
زق ، وأن تختتم هذه السلسلة من معارك
عظيمة بضربة أخيرة ، تكون هى القاضية
القدر أن تلتئم هذه الأنقاض المتناثرة من
من بينها قوة فتية جديدة ، تتمثل فى قيام
الأندلس .

العصر ، الذى نحاول أن نضطلع باستعراض
— عصر المرابطين والموحدين .



ـلطانها



تاريخ دول الطوائف ، أن نتحدث عن
ب ، والتجاء أمراء الطوائف ، حينما لاح
ضى والقواعد الإسلامية فى شبه الجزيرة ،
ر سنة ٤٧٨ ﻫ (مايو سنة ١٠٨٥م) نذيراً
حوانهم فيما وراء البحر ، إلى المرابطين ،
ن عبور بطل المرابطين يوسف بن تاشفين
ن ، وخوض الجيوش الإسلامية المتحدة —
ضد الجيوش النصرانية المتحدة ، فى رجب
م ، وإحرازها لانتصارها الباهر الذى قمع
خيراً عن انقلاب المرابطين من منقذين إلى
لوائف تباعا ، وضم الأندلس إلى الدولة

زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين ، منذ

أنشأ الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى ،
وصديقه يحيي بن إبراهيم الكدالى ،ولما
ن مكانه للرياسة الأمير يحيي بن عمر بن
والجهاد . وكانت هذه أول مرحلة فى
لما توفى الأمير يحيي فى سنة ٤٤٧ ه ،
. ولما وضع المرابطون خططهم لافتتاح
ير أبو بكر ابن عمه يوسف بن تاشفين
ذه هى أول مناسبة تاريخية ، يذكر فيها
من الرياسة ، سوى صفة القيادة لجناح
رت براعته العسكرية ، فيما اضطلع به
أنحاء المغرب، وهى التى فصلنا أطوارها
لا فى بعض المعارك التى نشبت فى أراضى
استأثر الأمير أبو بكر اللمتونى بزعامة
ت بذلك رياسة لمتونة ، وبدأت الدولة
تم يومئذ من فتوح المغرب .

ى فقد عنى من جانبه بإتمام فتوح المغرب
ا مدينة مرّاكُش (٤٦٢ هـ — ١٠٦٩م)
المغربية المترامية التى تم له افتتاحها[٢] .

ب الملك السياسى والإمارة الفعلية . وقد
وتوالت على يديه فتوح المغرب ، يتشح
ختلف الرواية فى أصل ألقابه الملوكية ،
اشفين « بأمير المسلمين ، وناصرالدين» .
وف وقع ذلك ؟

انشاء مرا كش فى البيان المغرب (من أوراق مخطوطة
راً بعناية الأستاذ هويثى ميرانده فى مجلة **Hespéris**
وشية فيضع تأسيسها فى نفس التاريخ (الحلل الموشية
مراكش فى سنة ٤٧٠ ه (راجع المغرب وأرض
٦) . ويضع صاحب كتاب « الاستبصار » تاريخ
روض القرطاس تاريخ إنشائها فى سنة ٤٥٤ ه ،
خلدون (كتاب العبر ج ٦ ص ١٨٤) .

صلى الله عليه أفضل السلام ، وأتم التسليم ،
تاز به على سائر أمراء القبائل ، وهو أمير
طبة العلية السامية ، فليخطبها بهذا الاسم
نه وكرمه ، والسلام »[1]

أخرى ربما كانت أكثر قبولا . ذلك أنه
بأن تلقب يوسف بن تاشفين بهذا اللقب ،
، وهذا ما يوضحه لنا صاحب « روض
، يُدعى أولا بالأمير ، فلما فتح الأندلس
ملك الروم ، بايعه فى ذلك اليوم أى عقب
شهدوا معه تلك الغزاة ، وكانوا ثلاثة عشر
. وخرجت كتبه مصدرة عنه بذلك إلى

ص ١٦ و ١٧ ، وكذلك ابن عذارى فى البيان المغرب
٦) . وفى بعض الروايات المتأخرة أن يوسف بن
ذا الاسم ولبنيه من بعده (المؤنس فى أخبار إفريقية
فة .

لسلمين وناصر الدين . ومعنى ذلك ان
أنها خلعت عليه فقط حينما أتاه المرسوم
رواية ابن الأثير عن باقى الروايات[3].
قد وقع قبل سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م)
الله . ويبدو من كلام صاحب « روض
أن صدور هذا التقليد العباسى ليوسف
، وأن يوسف قد ضرب السكّة عقب
فى أحد وجهيه « لا إله إلا الله ، محمد
وسف بن تاشفين » ، ونقش فى مداره :
منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين »
مير المؤمنين العباسى »[4] .

وفيات الأعيان لابن خلكان (بولاق) ج ٢

سكوريال (رقم ١٦٧٣ الغزيرى) لوحة ٣٩٣
. ١

ب فى مخطوط الإحاطة السالف الذكر لوحة ٣٩٣

إلى يوسف بن تاشفين ، وحمله الفقيه

ن وولده أبا بكر ، قد رحلا إلى المشرق
ل سنة ٤٨٥هـ ، وان كانت رحلتهما قد
وكان يوسف قد اشترك بعد الزلاّقة ،
ط Alédo فى سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م)
جنوحهم إلى ممالأة النصارى ، ما أحفظه
س فى سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠م) ، وكان
طوائف ، وأخذ يستولى عليها تباعا ،
رم الخلافى ، أن يحصل على سند شرعى
مل الفقيه أبومحمد العربى وولده أبوبكر
قطب فقهاء المشرق يومئذ ، وشرح له

١٨٨ . وقد ورد فى هذا النص أن يوسف خاطب
من الناسخ ، وأن المقصود هو الخليفة المستظهر .
ن العربى رقم ١٢٩٧ .

لئمة للإمام ، وكل من تمرد واستعصى ،
يرده بالسيف ، وأن يقاتل الفئة المتمردة
ى ، وهم أعداء الله ، فى مقاتلة المسلمين ،
يعودوا إلى طاعة الأمير العادل ، المتمسك
خالفة ، وجب الكف عنهم ، وذلك عن
يظفر به من أموالهم فمردود عليهم وعلى
ريهم فى القتال مهدورة لاضمان فيها ،
المتمسك بطاعة الخلافة ، المستولى على
فى على نايب الإمام ، فإنه وإن تأخر عنه
، من وصول المنشور بالتقليد ، فهو نايب
لمصر أن يأذن لكل مسلم عادل ، استولى

لى نص فتوى الإمام الغزالى فى المخطوط رقم ١٢٧٥ لك
«مجموع أوله كتاب الأنساب» (لوحة ١٢٨ و ١٢٩) ،
ف بن تاشفين . ويبدو من ذكر الخليفة المستظهر فى
إلى سنة ٤٨٧ ﻫ ، وقد تولى المستظهر الخلافة بعد

تاباً يعرض فيه بالتفصيل إلى قصة ملوك
، وإلى ما كانت عليه الأندلس فى ظل
الهوان ، وإلى استطالة النصارى عليها ،
لاف الرأى ، حتى انتهى النصارى بأن
ب صريخ الطوائف إلى يوسف ، وإلى
من دحض شوكة النصارى ، وأنه حينما
عوا المظالم عن المسلمين ، عادوا فجنحوا
ذ إنزالهم عن البلاد ، فاستجاب لرغبتهم ،
اه يوسف من العمل بأحكام الله ، ومن
يه من الأحكام ، ثم يشير بعد ذلك إلى
ائف ، وإلى ما كان ابن العربى بصدده
بولاية يوسف على جميع بلاد المغرب ،
ن من دعاية واسعة للإشادة بحكم يوسف
كريمة بأرض الحجاز . ولم يثبت الغزالى
نصه أنه كتبه قبل « مسيره إلى سفر

لافة العباسية وأنه كان يُدعى حتى قبل
الدعاء للخليفة العباسى ، فى سائر نواحى
أن هذه الرعاية الأدبية العباسية للدولة
وأن الخليفة العباسى يسبغ فى مراسلاته
ة .

—

رب إلى يوسف بن تاشفين ، مذ عهد
فى سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م) ، وكيف
توفى ، وخلصت إمارة المغرب نهائياً
رى ، بالمغرب والأندلس ، فى ظل

كتبة الكتانية المشار إليه (لوحات ١٣٠ –١٣٣)

ط المشار إليه (لوحة ١٣٣ و١٣٤)

كنه آثر عليا لما آنسه فيه من الورع والنباهة
لعهده فى نفس العام ، وإليك نص هذا
ء الوزير الفقيه أبى محمد بن عبد الغفور ،
صر :
هر الدين ، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين ،
نين ، خاف أن يسأله الله غدا عما استرعاه ،
وقد أمر الله بالوصية فيما دون هذه العظيمة ،
ف فى هذه الأمور العائدة بمصلحة الخاصة
مه من هذه الوظيفة ، وخصه الله بها من

تاشفين تشتهر بجمالها ، ورجاحة عقلها ، وأدبها ،
ن الأبار فى التكملة ، وجذوة الاقتباس فيمن حل من

F. Codera : Decadencia y Disparición d
(Zaragoza 1899) p. 2

لى مختلف القواعد ، فيرابط منها بإشبيلية
ألف ، وفى شرقى الأندلس أربعة آلاف ،
ور والحصون المتاخمة لأراضى العدو .
اسة الحدود النصرانية ، فهم أكثر خبرة
تالهم من المرابطين . وفى سنة ٤٩٦ هـ ،
لى الأندلس جوازه الرابع والأخير ، ومعه
. وكان يوسف يقصد بهذا الجواز النظر
يقصد بالأخص أن ينظم البيعة لولده على
احب روض القرطاس ، إن علياً لم يكن
س كان يقيم عندئذ فى سبتة التى ولد بها

ل الموشية (ص ٥٦ و ٥٧) .
. وقع فى سنة ٤٩٧ هـ (ابن خلدون – كتاب العبر
ب التولية وهو ذو الحجة سنة ٤٩٦ هـ ، يؤكد صحة

ى فى حجر تقويمه وتأديبه ، المنصرف
ه وتوفيقه ، ونهج إلى كل صالح من
عصاه من المسلمين ، وهدى فى انتقاء
عد سدى غير مدينين ، واعتام فى النصاب
والدين ، واستشار فلم يوقع بعد طول
ختيار من فاوضه فى ذلك من أولى التقوى
ر بدونهم الارتياد والاجتهاد إلا إليه ،
، فولاه عن استحكام بصيرة ، وبعد
لأمر والنهى والقبض والبسط بعده ،
وأوطأ عقبه جماهير الرجال ، وناط به
يتقى الله ما استطاع ، ولا يعدل عن سمت
صا أو أطاع ، ولا ينام عن حماة الحدب
علن بشكوى ، ولا يتصام عن مستصرخ
دناها فى سلك تدبيره ، ولا يكون بين

ه طائفاً متبرعا ، وبالله التوفيق ، وكتب
وتسعين وأربعمائة »[1].

٣ —

كتاب « دول الطوائف » إلى لمحة من خلال
ط القول فى ذلك .

تنطوى على كثير من الصفات اللامعة ،
نموذجا مثالياً لهذا النوع من البطولة الساذجة
ته ، تلك الهالةالوضاءة من البساطة المؤثرة ،
لم تتأثر بتطورات الأحداث السياسية التى

يقة فى « الإحاطة » فى ترجمته لأبى بكر بن القصيرة
و ٧٢) . وفى بعض الروايات أن البيعة عقدت لعلى
لابن الكردبوس ، مخطوط أكاديمية التاريخ بمدريد
.
و ٣٠٣ .

– يكفى أن نتأمل ذلك ، لنرتفع بحياة البطل
ل والإعجاب .

ى طبعت حياة يوسف بن تاشفين ، تقترن
عنوية النبيلة ، التى تجعل من صاحبها عماداً
ولة العظيمة . فقد كان يوسف يتمتع بكثير
ة والحزم ، والكرم والجود ، وكان فضلا
ن يشير ابن الصيرفى مؤرخ الدولة المرابطية
كتوما لسره ، كثير الدعاء والاستخارة ،
[٢] . ويلحق بذلك شغف يوسف بالجهاد ،
ق من عمره أعواماً طويلة فى الجهاد فى
أبو بكر اللمتونى لقيادة المرابطين . وقد
رة زائعة ، فى استجابته لصريخ الطوائف ،
خاضته الجيوش المرابطية ، فى مختلف

اطة (مخطوط الإسكوريال السالف الذكر لوحة ٣٩٣).

ن هذه الموقعة ، يرجع بالأخص إلى
وقد كان من حسن طالع يوسف ، أنه
سكرية ، على معاونة طائفة من أقدر
، وداود بن عائشة ،والأمير مزدلى ،
رهم فى مختلف المواطن والحوادث .

يوسف يمتاز بمقدرة إدارية فائقة ،
حكم الإمبراطورية المرابطية الضخمة ،
، إلى جانب ورعه وتقواه ، صارماً
ام والأمن ، دائباً على تفقد بلاده
ريقة يوسف وصرامته فى قمع المعارضين
به لمن تجرأ أو تعرض لانتقامه الاعتقال
إلا من انتزى أو شق العصا ، فالسيف
ن يوسف لم يكن يلجأ إلى تطبيق عقوبة

الإحاطة (مخطوط الإسكوريال السالف الذكر
بن عذارى فى البيان المغرب (الأوراق المخطوطة

طرطوشي (٢) . ومما يروى فى ذلك أن
وجميل صفاته ، وميله إلى أهل العلم ،
هذا الأمير الأمثل . ولكنه لما وصل
المغرب ، ورد إليه الخبر بوفاة أمير
أتى (٣) . وكان من أبرز مظاهر تمسك
موقفه من الضرائب والمغارم التى يسوغ
ضرائب والمكوس ، التى لم يجز الدين
ن ذلك ، مثل الزكاة والأعشار وأخماس
ه السياسة الضريبية الرفيقة ، بالأخص فى
طوائف يرهقون رعيتهم بالفروض ،

لإحاطة (مخطوط الإسكوريال) . وراجع الحلل

ريلاحظ أن الطرطوشى كان فى الأصل من فقهاء
لطوائف ص ٢٨٤) .
٤٨ ، وكتاب المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس

يهود والنصارى من آن لآخر ، لظروف
الحلل الموشية طرفاً من ذلك[٢] .

بكثير من الإستقرار والأمن والرخاء ،
لبثت قبل الفتح المرابطى ، زهاء نصف
وسلامه . ولما تم استيلاء المرابطين على
ها أصبحت فى مأمن من عدوان اسبانيا
ء من الاستقرار والسكينة ، وذلك بالرغم
رابطى ، وجفاء أساليبه ، وخشونة حكامها
تلك الكياسة التى كان يمتاز بها الأمراء
فقد عرفت الأندلس فى الأعوام الأخيرة
ضغط النير المرابطى ، وتستيقظ مشاعرها
والاستقرار ، يصفها لنا المؤرخ فيما يلى :
ة يوسف) سعيدة حميدة فى رفاهة عيش ،

ستقصاء للسلاوى (طبعة القاهرة) ج ١ ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

. وكان ابن أسباط يجيد اللغة البربرية التي
أسباب حظوته . ولما توفى ابن أسباط فى
بعده ، كاتب من أعظم كتاب الأندلس
لمعروف بأبى بكر بن القصيرة ، وهو الذى
الناظم الناثر القائم بعمود الكتابة ، والحامل
لاتخمد أنواره ، اجتمع له براعة النثر ،
وسف حين مثوله بقرطبة فى سنة٤٩٦هـ ،
تقدم . ولما توفى يوسف استمر أبوبكر
٥هـ (١١١٤م) ، وفى استخدام يوسف
رغم من عدم معرفته بالعربية ، ما يدل
لأهمية الأساليب العالية فى الترسل ، وقد

طة (مخطوطة الإسكوريال السالفة الذكر) .

ـمها وقوتها .

ـب والأندلس ، ورثاه جماعة من شعراء
ـد أنشد على قبره مرثية مؤثرة جاء فيها :

عملا من التقوى يشارك فيه

والكل يعقوب بما تطويه

لدين الذى بنفوسنا نفـديه

لم ترض فيها غير ما يرضيـه

حتم القضاء بكل ما تقضيه

فكأن كل مغيّب تدريـــه

فى كل ما يبديه ويخفيـــه(٢)

ـن تاشفين عند وفاته إمبراطورية من أعظم
تشتمل على قطرين من أعظم وأهم الأقطار

المخطوطة المشار إليها ، هسبيرس ص٦٤ و ٦٥ و ٦٦ .

عاصمتها العظيمة مراكش ، وتوطدت دعائم
من النظام والأمن ، لم يكن له به عهد منذ
ى أن ينعموا بكثير من الاستقرار والهدوء .
، فبعد أن لبثت زهاء نصف قرن ، تعانى
دولهم الضعيفة المتنابذة ، مصائب التفرق ،
أن استطال عليها النصارى ومالوا على دول
ا ، واستصفوا أموالها ، وبدأوا بانتزاع
لس أن الآخرة قد دنت ، وأنه لن يمضى
نصرانية على دول الطوائف كلها ، وتنتزع
لأندلس كلها فى يد العدو الخالد ، وينطفئ
، بعد ذلك كله جاء جواز يوسف بن تاشفين
ر الإنقاذ ، وانقشاع الخطر الداهم ، وكُتبت
، افتتاح المرابطين لدول الطوائف ، وبسط
وحدتها الإقليمية القديمة ، وبالرغم مما اقترن

المرابطية أعظم قادتها وحماتها : فقدت
ردها دائماً نحو التوطد والظفر ، وتلك
لحوادث البعيدة من خلال الحجب ،
المرغوبة .

فى ترجمة على بن يوسف (مخطوط الإسكوريال

إشبيلية . الشريف بشير ومرداس . نشاط المرابطين عليها . إنتهاء ملك بنى هود . ابن الحاج
لة بن هود . غزو ابن الحاج وابن عائشة لإمارة
ال الجزائر الشرقية . افتتاح النصارى لها . أهبة على
المرابطين عليها . إحراق كتاب الإحياء فى قرطبة .
الأندلس للمرة الثالثة . غزوه لأراضى البرتغال
إلى الأندلس للمرة الرابعة . الثورة فى قرطبة .
وأسبابها . موقف على منها . النقاش بينه
لحادث وعودة على .

نفين ، فى يوم الاثنين مستهل شهر المحرم
، بقصره بمراكش ، خلفه فى نفس
د اختاره كما تقدم لولاية عهده ، منذ
طبة فى شهر ذى الحجة سنة ٤٩٦هـ ،
هر تميم . وعقدت البيعة لعلى فى نفس
حل ، وكان أول من بايعه بمحضر من
ر والقادة ، أخوه تميم معلناً بذلك طاعته

ة ، وأن يتركهم حائلا بينه وبين النصارى ،
ل قرطبة ، وأن يتجاوز عمن أساء منهم[٣] ،
ه بولاية عهده ، من الأمور المتعلقة بشئون
شرنا إليه فيما تقدم .

ر الهمة والذكاء والعزم ، وكانت تحدوه
بيه فى الحكم ، وفى متابعة الجهاد ، وهوقد
فى ظله طائفة من جلائل الأعمال ، وهو
بيه ، وسلك سبيله فى عضد الحق ، وإنصاف
لم ، وسد الثغور ، ونكاية العدو ، فلم يعدم
أفعاله »[٤].

اق المخطوطة – هسبيرس ص ٦٧) ، ونقله ابن الخطيب
الإسكوريال السالف الذكر لوحة ٢٩٢) .

، واستدل تماعينا في سكنى مراكش،
بوادر مريبة ، فخشى على من نياته ،
لخضراء ، فاعتقل بها حتى توفى[1] .

في فاس ، حتى أزمع الجواز إلى الأندلس
ج من مراكش في جيش من المرابطين
الجزيرة الخضراء في منتصف سنة ٥٠٠ هـ
ه زعماء الأندلس ورؤساؤها ، وقضاتها ،
ا إليه بيعتهم وطاعتهم ، وأنشده الشعراء
غمر الجميع بعطفه وصلاته[2] .

اء طائفة من التغييرات الإدارية الهامة ،
رب ، وعينه لولاية غرناطة بالأندلس ،
راء البحر. وعين لولاية قرطبة أبا عبدالله

في البيان المغرب (الأوراق المخطوطة – هسبير س

و والجهاد عفواً ، فقد كان ثمة ما يبرره
مين يوسف بن تاشفين فى سنة ٤٩٨هـ ،
عن الأحوال فى المغرب والأندلس إلى
ونسو السادس ملك قشتالة الشيخ ، أن
أراضى المسلمين ، فبعث حملة من نحو
أحواز إشبيلية ، وعاثت فيها ، واستولت
ير سير بن أبى بكر والى إشبيلية فى قواته
بقيادة أبى عبد الله بن الحاج واليها يومئذ ،
م على أعقابهم ، وقتلوا منهم نحو ألف
الملك بعد ذلك بقليل ، لم ينس أمر هذا

ان المغرب (الأوراق المخطوطة هسبيرس ص ٦٧ ؛

لمشار إليها — هسبيرس ص ٦٤ و ٦٥) .

وجنوب غرنى وبذة ، أنشأها الفتح بن
الثالث الهجرى أيام الأمير عبد الله (١)
ى ذى النون ، حتى ظهروا أيام المنصور
الخلافة ، ثم انتقلوا منها إلى حكم طليطلة
ائة الخامسة . ولما سقطت طليطلة فى أيدى
م) وانتهى سلطان بنى ذى النون فى تلك
والحصون العديدة ، التى استولى عليها

لى أقليش حتى طوقتها ، وهاجمتها بعنف ،
يثبتوا طويلا أمام شدة المهاجمين ، فسقطت
س ١٥ شوال (٢٨ مايو) ، وفى الحال

الأندلس) ص٢٨ ، أن أقليش بناها الفتح بن موسى
ه ، وفى ذلك تحريف واضح ، لأن ثورة الفتح
د سنة ٣٠٠ ه ، وإذاً فإن الصحيح والمعول عليه
:

ة طليطلة من قلعة النسور ، وقلعة النهر أو
وغيرهما . بيد أن أهم شخصية مثلت فى
الإنفانت) سانشو ولد ألفونسو السادس
ئدة » حظيته أوزوجته المسلمة المتنصرة،
د ، والتى فصلنا قصتها فى موضعها من
صبياً فى الحادية عشرة من عمره . وكان
نصحوا بإرساله على رأس الجيش لكى
عند رأيهم ، وبعثه مع مؤدبه غرسيه
حب روض القرطاس إلى تلك الواقعة ،
شارت عليه زوجته (أى ألفونسو) أن
، لأن تميم ابن ملك المسلمين ، وشانجه

ر تميم التى سبقت الإشارة إليها والتى سوف ننشر

. ٣٣

القشتاليين ، استدعى إليه « القائدين
حة ، أبا عبد الله محمد بن عائشة ،
المشاورة ، اجتمعوا على كلمة الله
ن » ثم يقول : « ونهضنا بجملتنا ،
يبلغ إلينا سلامه ، وتوجهنا إلى الله
كانت الموقعة .

د الجيشين المتحاربين . بيد أنه يستفاد
ن يتكون من حشود غرناطة وقرطبة
عة المجاهدين خلال مسيره ، أنه كان
ية غرناطة تتكون من ألف فارس ،
طية بشرق الأندلس تتكون من أربعة
للنجدة ، فمن المرجح أنه كان متفوقاً
ام تميم فى البداية عن لقائه ، وتوجسه

، فارتد إلى الوراء . وعندئذ تقدمت قوات
ه إلى قلب المعركة ، ونشب بين الفريقين
لته عن الموقعة فى عبارات حماسية مضطرمة .
الخيل ، بل سال السيل ، وأظلم الليل ،
ن ، ودحا ليل القتام ، وضاق مجال الجيش
الأرماح بالأشباح ، ودارت رحى الحرب
ضرب تفتك بأبطالها » . وتجمع الروايات
وقعة كانت مضطرمة رائعة ، وأن الفريقين
ت والشدة . وبينما القتال على أشده إذ وقع

تيب ما سلف من أخبار الزمان » . وتوجد منه قطعة
حفوظة بالمعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد (وقد
قل إلينا رواية ابن القطان هذه عن الموقعة الأستاذ هويثى
Las Grandes Batallas de la
السالفة الذكر – هسبيرس ص ٦٨) . وراجع كتاب:

ة إلى الكونتات السبعة الذين كانوا حاشية
ت الإسلامية خسائر القشتاليين فيها بنيف
لك بعض الروايات النصرانية ، فتقدر
يبدو مما سبق أن ذكرناه عن عدد الجيشين
سالته عن الموقعة ، أن خسائر النصارى لم
لاريب فيه أنها كانت فادحة . ويقول لنا
قعة بجمع رؤوس القتلى من النصارى ،
فبلغ ما جمع منها أكثر من ثلاثة آلاف
نيث (أردونش) أو الكونت دى قبره ،
فها المؤذنون وفقاً للتقليد المأثور . واستولى

ى مصرع « الإنفانت » سانشو ، فيقول إنه أفلت
ى حصن بلشون (بلنشون) ، وكان فيه رعية لهم
القتل ، فلحق بهم المسلمون وقتلوهم وقتل معهم
ب) .

M. Lafuente : Historia General de Esp

لعة ، فانقض عليهم المسلمون ، وامعنوا
ذلك تم استيلاؤهم على أقليش ، وترتب
المنيعة ، أن سقطت فى أيديهم عدة من
ونقة وأقونية وكونسوبجرا ، وغيرها[٢].
عركة أقليش عناية خاصة ، وهى لاتخرج
سلامية من التفاصيل ، ولاسيما ما أورده
. بيد أن الروايات النصرانية تفيض بنوع

قطان فى المخطوط السالف الذكر (لوحة ٧ ب) .
س القرطاس ص١٠٣و ١٠٤ ، وابن عذارى فى البيان
) ، وابن القطان فى نظم الجمان (المخطوط المشار
ة عن المعركة وهى التى أنشأها الكاتب ابن شرف ،
الإسكوريال رقم ٤٨٨ الغزيرى لوحات ٥٤ —
—١٢٠ ص Las grandes Batallas de la Re
ة (ج ٦ ص ١٨٨) . وأورد عنها ابن الكردبوس
مية التاريخ السالف الذكر) ، ولم يذكرها صاحب
F. Codera : Decadencia y Disparición
Almoravides p. 8—10 ; La Fuente: Hist. (

حيرا استطاع أن يرغم عليا أمير المؤمنين
ة لقشتالة[1] .

قة (٤٧٩ هـ) ، واستيلاء المرابطين على
حرزه المرابطون على قوات قشتالة ، وهو
طين في المناطق الوسطى والشرقية في شبه
والدفاعية .

— ٢

ش كانت فاتحة لبرنامج منظم من الغزوات
ه لم يمض سوى عام وشهرين على موقعة
ن يوسف البحر إلى الأندلس للمرة الثانية
بتة ، في الخامس عشر من محرم سنة ٥٠٣هـ
تلك المرة بقصد الجهاد خاصة ، أو حسبما
الجهاد ، ونصر الملة ، وإعزاز الكلمة » .

Primera Crónica General de Espana (

ن جامعاً ؛ وندب لها أمير المسلمين والياً
ن القطان تاريخ اقتحام المرابطين لطلبيرة
كن المرجح أنه وقع بعد ذلك بنحو شهر
إلى شبه الجزيرة حسبما تقدم فى منتصف
ن أحواز طليطلة سبعة وعشرين ، ثم
وقصدوا بعد ذلك إلى طليطلة فضربوا
قدم إلينا تفصيلا آخر للغزوة المرابطية ،
راضى قشتالة الجنوبية ، ساروا أولا إلى
ضراء الواقعة على نهر التاجُه ، وهى التى
ضربوا الحصار حول عاصمة قشتالة ،
يس فى حامية قوية ، ولم يلبث المرابطون
ة سوى ثلاثة أيام . ثم غادروها بعد أن

ى المخطوطة المشار إليها – هسبيرس ص ٧٠) .
ذكر لوحة ١٣ و ١٥) .

ذلك إلى مراكش ، ولكن الغزوات
، فى أنحاء شبه الجزيرة . فى نفس الوقت
أسوار طليطلة ، سار جيش مرابطى زاخر
بيلية صوب الغرب إلى أراضى البرتغال .
الناشئة فى كنف قشتالة ، قد بدأت فى ظل
قشتالة ألفونسو السادس وزوج ابنته غير
اعدها بسرعة ، وكانت قاعدتها يومئذ

رب ، فى الأوراق المخطوطة السالفة الذكر . ولكن
لبثوا على حصار طليطلة مدى شهر (روض القرطاس

المغرب (الأوراق المخطوطة المشار إليها — هسبيرس
لوشية ص٦٢ ، وابن خلدون ج٦ ص١٨٨ . وكتاب
ريخ السالف الذكر لوحة١٦٤). وراجع أيضاً :
F. Codera : Dec. y Dis. de los Almorav
Hist. General de Espana Vol. III. p. 22

لكن بطليوس كانت فى أيدى المرابطين
٤ ه (١٠٩٤ م) . وأما برتقال ،وهى
فهى تقع فى أقصى شمالى البرتغال ،
لم يصلوا فى زحفهم إليها ولم يفتتحوها .

هذه الغزوة ، وفد على مدينة إشبيلية
ماً من أراضى قشتالة ، وكان قد سار
ك قشتالة ألفونسو السادس ، حينما غزا
وقتلوا أباه عمر المتوكل وأخويه . وقيل
إشبيلية ، أخذ إلى حضرة أمير المسلمين

حملة مرابطية جديدة صوب قشتالة ،

مراكشى ص ٩٠ – ٩٣ .

أ على مقاتلته ، وعاد مزدلى على أثر ذلك
زوة أخرى قام بها مزدلى فى منطقة وادى
» حينما سار مزدلى لقتاله ، لجأ إلى الفرار
أمتعته[٣] وهى غزوة لم تشر إليها الرواية
لك أن الأمير مزدلى توفى فى شوال سنة
لحصار طليطلة ، وذلك أثناء غزوة قام
طانية[٤] الواقع فى طريق قرطبة . وكتب
فين ، فأمر بتولية ولده محمد بن مزدلى
لته على غرناطة . ولم يمكث محمد فى ولاية

لاكتفاء» إن الحملة كانت بقيادة الأميرين مزدلى ،
لف الذكر لوحة ١٦٥ ا) .

M. La

احاطة (مخطوط الإسكوريال السالف الذكر لوحة
يرس ص ٧٧) .

١ م) . وهكذا فقد المرابطون فى شبه
، قائدين من أعظم قواد لمتونة وألمعهم .

يولتكان بن الحسن بن محمد بن ترقوت
ة والعصبة الصنهاجية ، وكان من أقارب
ويصفه ابن الخطيب بأنه كان «بطلا ثبتا ،
لد ، أصيل الرأى ، مستحكم الحنكة ،
غاراته ، وعظمت فى العدو وقائعه »[٢]
عه لمدينة بلنسية من أيدى جنود السيد
ذلك فى سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) . وكان

سالفة الذكر – هسبيرس ص ٧٧) . وروض
ب البيان يذكر هنا الأمير محمد بن الحاج ، وهو
ى ، فيما بعد أن هناك رواية أخرى تضع مقتله فى

سكوريال السالف الذكر لوحة ١٨٠) .

شتالة ومحاصرتها غير مرة ، ما وقع فى
سادس دون وارث (١١٠٩ م) ، وقيام
هلية حول السلطان بين أوراكا وزوجها
، وبينها وبين أشراف جليقية أنصار
رى ، وضعف الجبهة الدفاعية النصرانية
رة فى أراضى المسلمين ، وخصوصاً بعد
إحدى هذه المعارك الأهلية ، وقد كان
معاونه ، من أعظم قادة اسبانيا النصرانية

— ٢

ق الأندلس كذلك . ونحن نعرف أن
ج والى بلنسية ، قد استولوا على سرقسطة
ه (١١١٠ م) حسبما سبق أن فصلناه
يوسف بن تاشفين قد أوصى ولده علياً

بضعة أعوام ، وهو يحوطها بحمايته ويرد
الشرق والغرب والشمال ، ويقوم بغزو
سنة ٥٠٤ ﻫ (١١١١ م) زحف ألفونسو
نحو سرقسطة ومعه عماد الدولة عبد الملك
خرج محمد بن الحاج فى قواته لمدافعته ،
عجل يقودها واليها محمد بن عائشة ، فلما
اجه ، وطاردته العساكر المرابطية حيناً ،
ى أراضيه . وسارت قوة منهم بقيادة على
وحاصرت بعض حصون عبد الملك بن
بيه ألفونسو ، وقدمت لمعاونته نجدة من
دهم ابن كنفاط ، وبقى فى أسر عبد الملك

« ابن رذمير » نسبة إلى اسم ابيه «سانشو راميرز »
لفة الذكر – هسبيرس ص ٧٣) .

الأمير أبا بكر بن ابراهيم بن تافلوت
طوشة وسرقسطة ، وأمره بالسير لغزو
ته ، وسار شمالا إلى برشلونة ، وهو
ها . وأقام على حصارها عشرين يوما ؛
ئ قوات برشلونة وأربونة ، ونشبت
من النصارى ، وخسر المسلمون نحو
صوب أراضيهم[1] .

ن أكابر زعماء لمتونة وقوادها ، وكان
شفين ، إذ يرجع نسبه إلى ترقوت أو
ن الحاج ، إذ قام أبوه بأداء الفريضة
الجزيرة مع يوسف بن تاشفين فى سنة
زة ، أولاحين افتتاحه لقرطبة من يد

راجع أيضاً : F. Codera: ibid; p. 20 - 22.
ى بمقتل ابن الحاج ضمن من قتلوا من أمراء لمتونة

خلال ذلك ، تستولى تباعا على قواعد
ية فى سنة ٤٩٥ هـ ، ثم استولت بعد ذلك
٥ هـ) . بيد أن مبشراً لم يفكر بالرغم من
فى ثغور اسبانيا الشرقية ، أن ينضوى
عهم ، واستمر على استقلاله بحكم الجزائر ،

دانية ، من كتابنا « دول الطوائف » قصة
ن أنه لما كثرت غارات البحارة المسلمين
رقية ، وشواطئ قطلونية الإسبانية ،
وإمارة برشلونة حلفا لافتتاح الجزائر ،
ج من مياه جنوة أسطول الغزو ، وقوامه
رية أخرى من برشلونة وفرنسا ، وفرض
حصاراً محكماً صارماً ، وقاسى المسلمون
عام ، وفى أواخر سنة ٥٠٨ (أوائل

حلفاؤهم بمقدم هذا الأسطول الإسلامى
غادروا ميورقة مثقلين بالغنائم والسبى ،
ها ، وأحرقوها وقتلوا معظم أهلها ،
زيرة فى أواخر سنة ٥٠٩ هـ (١١١٦م)
، وعاد إليها الفاورن من سكانها .
ا انصرفت السفن النصرانية ناجية إلى
الية ، فحملت منها أربع سفن صوب
حتى غرقت منها واحدة ، وتمكن من

وانور بن أبى بكر اللمتونى ، وبذلك
اطورية المرابطية الكبرى . ودخلت
بعد ، أى دور خطير تلعبه الجزائر
برة ، التى حمل لواءها بنوغانية حكام

ط أكاديمية التاريخ السالف الذكر لوحة ١٦٥ ب).

ر الفقهاء ومشاورتهم ، فاشتد نفوذالفقهاء
سبح لا يقطع فى أمر من الأمور ، صغيراً
ت مكانتهم ، واشتد نفوذهم ،حتى سيطروا
نفوذاً لدى أمير المسلمين ، قاضى قرطبة
قهاء عندئذ يؤثرن علم الفروع بعنايتهم ،
ون علم الأصول ، أو أصول الدين . وكان
ع فى علم الفروع [4] . فلما وصلت كتب

للجزائر الشرقية واستنقاذها على يد المرابطين ،
اس ص ١٠٥ ، والروض المعطار (صفة جزيرة
وائف » ص ٢٠١ – ٢٠٤ ومن المراجع القشتالية :
A. Campaner y Fuertes : Bosquejo Histo
Isla
P. y Vives :
و١٨٨ ، وأعمال الأعلام لابن الخطيب ص ٢٤٧ .

نس فى أخبار إفريقية وتونس لابن دينار ص ١٠٦ .
. ٩

على كتاب الإحياء ، لم تكن راجعة لأمور
ى ء ، بل كانت ترجع قبل كل شى ء إلى
وع ، والتنويه بجهلهم ، وسخف مجادلاتهم
مجانين » ، وكونهم يجهلون علم الأصول ،
(
.

الذين قاموا بإحراق هذا «الكتاب العظيم» ،
كهم ، واستئصال شأفتهم ، ثم ينقل إلينا
الإمام الغزالى بالمشرق ، ووقوف الغزالى

دين الثائر فيما بعد بمدينة قرطبة .
ط السالف الذكر لوحة ١٦ أ) ، ونقله ابن عذارى
ص ٧٦) ، والحلل الموشية ص ٧٦ ، والمعجب

ص ١٠٦ و ١٠٧ ، وراجع مقدمة العلامة جولدسيهر
Mohamed ibn Toumert et la Théologi
de l'Islam dans le Maghreb au XI eme

صاحب روض القرطاس وابن عذارى
راية الأولى ، أن عليا جاز إلى الأندلس
معه جموع غفيرة من المرابطين والمتطوعة
ئل البربر ، وأنه سار فى قواته صوب
د للسلام عليه ، ووقف منها على أحوال
عزل القاضى أبا الوليد بن رشد (الجد)
ابن حمدين[٢] . ولكن سوف نرى أن
أما ابن عذارى فإنه يقول لنا ، إن علياً
لك لحقت به العساكر العدوية والأندلسية ،
مدين من قرطبة ، وكذلك جموع المتطوعة
ى فى هذا الجواز فيتخلص فى أنه سار فى
رية (ويسميها روض القرطاس سنبرية ،

ب فى أعمال الأعلام ص ١٤٧ ، والبيان المغرب
ص ٧٩) .

بفسر ذلك موقع قلمرية النائى ، وصعوبة
ى من كل صوب .

وة قام بها فى نفس الوقت القائد عبد الله
وهو الذى سبق أن ذكرنا خبر عوده من
حماية أمير المسلمين — فى أرض النصارى ،
بالسبى والغنائم الكثيرة[٣] .

— ٦

، عقب عوده من الأندلس ، بحاضرته
ائل سنة ٥١٥ هـ (ربيع سنة ١١٢١م) ؛
ش عظيم من صنهاجة وزناتة ومصمودة
ده لم تبلغ فى أية عبور سابق ما بلغته هذه

F. Codera : Dec. y Dis

بيرس ص ٧٩) .

فسكنت الثورة ، وأمهل الله القاتل ثم
وقد جاء عيد النحر ، فخرج ثانية عامل
. الأعظم الذى لا يطاق ، بمجمع حضور
حدب وشاهق ، فكثر التدافع والتزاحم ،
قبل لفيف الربض الغربى ، فالتقى بأسهم
مه وخدمه فغلبوا ، واقتحم القصر عليه
اً بنفسه ، وركب القاضى أبو الوليد بن
وقمع السفلة »(٣) .

هذه الثورة تفاصيل أوثق ، ومن نوع
من سنة ٥١٤هـ) ، خرج الناس متفرجين ،
وأمسكها . فاستغاثت فأغاثها الناس ،

المخطوطة التى عثر بها المؤلف فى مكتبة القرويين) .

فرن ، أن يلتئوا فى البلاد المفتوحة نظاما
، تعانى ضغط الحكم العسكرى المرهق ،
هم على الأفكار والعقائد ، سبباً آخر
ن . وكانت الحاميات المرابطية المكونة
بصلف وتعال وجفاء ، وكانت جموع
ا بعين المقت والحفيظة . وهذا إلى ما كان
ألم نفسى عميق لفقد استقلاله وحرياته ،
وا إلى الأندلس باسم إنقاذها ، ثم انتهوا

در المادية لهذه الثورة النفسية . ومن ثم
بالقدوم إلى الأندلس لمعالجة الموقف ،
ا ينم عن توجسه من عواقب هذه الفورة
د الأخرى .

هل قرطبة ، وأن يتجاوز عمن أساء منهم.
كاب أمير المسلمين ، فجعل يعظم الأمر ،
جتراء وعصيان وضلال . وداقع القاضى
أهل المدينة ، وبين أنهم لم يشقوا عصا
لوالى أن يعاقب المذنب من عبيده ، فقال
رشد ليس لنا قدرة على حصرهم ، وإنما
يأمر الصفح عنهم . وانتهت المفاوضات
ريض عما نهب من المرابطين ، وارتضى
ب لموقف ابن رشد وإيضاحاته ، فصرفه
مْدين، وأمر كذلك بصرف الأمير عبدالله
رناطة إلى أخيه الأمير أبى الطاهر تميم ،
ور ، ولبث تميم والياً على غرناطة مدى

الأوراق المخطوطة ، التي عثر بها المؤلف والتي سبقت
وكذلك : F. Codera: ibid; p. 237 & 238

كتنده وهزيمة المسلمين . سقوط قلعة دروقه .

—

طت طليطلة فى يد ألفونسو السادس ملك
ة ، التى تمخضت عن مقدم المرابطين إلى
، وإحرازهم لنصرهم الباهر فى الزلاّقة
ادة فى الأندلس . ثم شاء القدر ، بعد
وغزوة فى أراضى اسبانيا النصرانية ، أن
قاعدة جديدة من قواعدها العظيمة ،

بى من اسمها الرومانى **Caesar Augusta**—
العربية ، والرياسة المحلية ، فى الثغر
خلال القرن الخامس الهجرى ، أولا فى
هود ، حتى وضع مقدم المرابطين حداً

صارى المرتزقة ، ومن هؤلاء أحيانا قادة
أحياناً كانوا يعتمدون على التحالف مع
لكة سرقسطة تُحمل بموقعها وظروفها
فى شبه عزلة عن باقى الإمارات المسلمة .
بطون إلى شبه الجزيرة الإسبانية ، وحينما
قواعد الأندلس الوسطى ، ثم الشرقية .
سبما قدمنا ، فى أواخر سنة ٥٠٣ هـ ،
ا ، وكانت آخر القواعد الأندلسية التى

ذا المركز الدقيق ، الذى تحتله سرقسطة فى
رانية المتوثبة ، وشعروا بفداحة مهمتهم
ة أراجون القوية جارة مملكة سرقسطة من
ن قواعدها الشمالية الهامة مثل مونتشون ،
ل لسرقسطة من قواعدها ، سوى تطيلة
المتوسط طرطوشة .

ت إمرة قائدهم محمد بن الحاج أول
الثغر الأعلى ، تنذر باقتراب الخطر
١٠٩١م (٤٨٤هـ) على ضفة نهر إيبرو
ى قيد أربعة فراسخ فقط منها ، واتخذوه
لآخر ، وكان ألفونسو الأول ملك
، والمسمى « ابن رذمير » فى الرواية
، وسبر غور المدافعين عنها ، وكانت
ة ، واحتلت قلعة تاماريت القريبة منها

إليها ألفونسو فى العام التالى (٥٠٤ هـ —
لقوات المرابطية بقيادة ابن الحاج ومحمد
، بعد ذلك حيناً بالحرب التى نشبت بينه
هز المرابطون ، من جهة أخرى ، تلك
ى أراضى إمارة برشلونة ، وحاصروا
. ولما قتل ابن الحاج حين عودته من

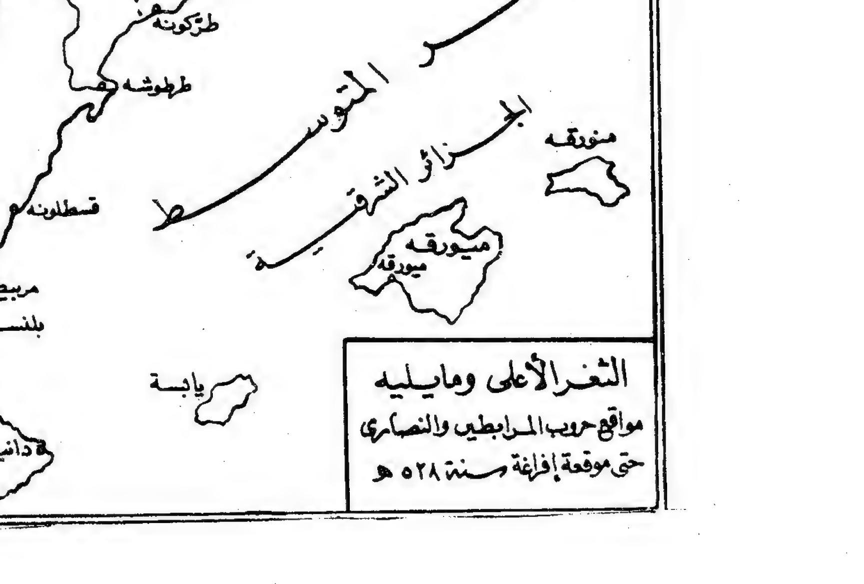
٥١ هـ ، على قول آخر[٢] . ولما اتصل
ف ، أخى أمير المسلمين على بن يوسف ،
لى سرقسطة فنظر فى شئونها ، وضبط
عاذ إلى مرسية مقر ولايته[٣] .

ك الآونة العصيبة ، التى لاح فيها الخطر
لى الفور واليها المتوفى ، خصوصاً وقد كان
تلك الفترة بالذات (٥١١ – ١١١٧م)
ليها . وأعجب من ذلك هو أن على بن
رة العابرة معه ، إلى مواطن الخطر فى
عقيمة فى أراضى البرتغال ، يستولى

بير س ص٧٨) ، والإحاطة لابن الخطيب (القاهرة
ير أبى بكر «توفى بسرقسطة فى سنة عشر وخمسمائة ،
كلكله » .
ش السابق) . ويقول بالثانية ابن عذارى فى البيان
كتبة جامع القرويين بفاس) .
نة الذكر) .

ل ذلك بعشرين عاما فى الشرق باستيلاء
) وازدادت الروح الصليبية اضطراما ،
. عبرت حملة قوية من الفرنج أهل بيارن
و — وكانا قد اشتركا بالمشرق فى الحرب
رك مع الأرجونيين فى افتتاح سرقسطة .
ولوز (تولوشة) مؤتمر من أساقفة آرل ،
وتقرر فيه أن ترسل حملة صليبية أخرى إلى
وحشدت فوق ذلك قوات كبيرة من
ة تحت إمرة سادة هذه المناطق ، وكان بين
[٢]. وتنوه الرواية الإسلامية بضخامة هذه
صار سرقسطة وافتتاحها ، وتصفها إحدى
، أو أنها أقبلت فى عدد لا يحصى أكثره من

رقسطة بقلم الأستاذ J• Mar'a Lacarra نشر بمجلة
Al - A



الثغر الأعلى ومايليه
مواقع حروب المرابطين والنصارى
حتى موقعة إفراغة سنة ٥٢٨ هـ
طرّكونه
طرطوشه
قسطلونه
الجزائر الشرقية
المتوسط
منورقه
ميورقه
ميورقه
يابسة

أن سرقسطة لم تسلم صلحاً ، وإنما أرغمت
لها أهوال الحصار ، وبعد أن هزم أهلها
تصدوا للدفاع عنها .
ل مختلفة عن حوادث الحصار ، والمعارك
احب روض القرطاس ، إن عبد الله بن
سار إليها من غرناطة ، فوجد ابن ردمير
الله فى عدة معارك شديدة حتى هزمه ،
د ذلك عاما آخر فى سرقسطة ثم توفى ،
لها ، وأتى ألفنش أيضاً فى أمم لا تحصى
لحوف ، فاتصل الخبر بأمير المسلمين على

غرب (من الأوراق المخطوطة السالفة الذكر) .
لس) ص ٩٨ .
ص ٨٠ .
ق المخطوطة السالفة الذكر) .
لتاريخ السالف الذكر لوحة ١٦٤ ب) والروض

ر المسلمون بإلقاء النار عليها ، فاحترقت
الربض والمدينة لكانت الحالقة ، وبات
نة ، واتصل الحصار وتواترت الحرب ،
نصف شهر ، فتعاضد العدو ، وقد أمد ،
على قصر . . . بالجعفرية ، وهو قبيل
مزدلى أوان نزول الروم على سرقسطة
عن عدو طليطلة » .

أنه لما توالى تضييق العدو على سرقسطة
نها ، ونزول العدو على قصرها المعروف
دلى ، فسار الجيش إليها ولحق به مدد
سرقسطة ، ولحق الجيش بطرسونة ،

ويلاحظ ما فى هذه الرواية من تناقض أولا فى القول
تميم ، وثانياً فى التفرقة بين ابن رذمير وألفنش
واحد .

رى ، ينفرد بها صاحب روض القرطاس ،
سارت لاستنقاد سرقسطة بقيادة الأمير
ن موقعة شديدة مع ألفونسو المحارب ،
على أثر ذلك إلى مقر ولايته فى بلنسية ،

— ٢

ى مستهل شهر صفر سنة ٥١٢ﻫ (٢٢ مايو
، من الفرنج والأرجونيين ، والبشكنس
فضلا عن حصانتها الطبيعية بموقعها جنوبى
الدفاع على أسوارها العالية القوية ، وهى
ا المنيعة ، وكان قصرها الشهير المسمى
المقتدر بن هود ، يقع خارج الأسوار ،
وعلى مقربة من النهر ، ومن ثم فقد احتله

ى عثر بها المؤلف فى مكتبة جامع القرويين بفاس .

بهر تباعاً والحال تشتد شيئاً فشيئاً ، حتى
رعا »[٣]. ووقع خلال ذلك حادث زاد
دفاع ، هو وفاة واليها عبد الله بن مزدلى ،
م) . والظاهر أنه لم يخلفه فى الرياسة أحد
خذت الخاتمة المروعة تدنو شيئاً فشيئاً .

سرقسطة الإسلامية ، يحق لنا أن نتساءل
ل الحوادث والوقائع ؟ وهل نشبت بين
؟ ثم ماذا كان موقف المرابطين ، وهل
الظروف ؟

برة من الحصار من الحوادث والوقائع ،
ت إزاء ذلك . بيد أنها فى موطن واحد

كر بمجلة الأندلس والمراجع .

نؤيد ما جاء فى الرواية الأولى وتؤكده ،
؛ بل مبكية ، كتبها قاضى سرقسطة ثابت
ر تميم يتضرعون إليه ، فى عبارات مؤثرة ،
أن يتقدم لإنجاد سرقسطة وإنقاذ أهلها ؛
وقد استهلت هذه الرسالة بالتاريخ الذى
ر من شعبان (٥١٢هـ) ؛ أعنى لستة أشهر
لمدينة بثمانية عشر يوماً فقط ؛ وفيها يصف
ال الحصار والجوع ؛ ثم يشير إلى مقدم
امه عن لقاء النصارى فى قوله :

الأبار للفقيه على بن مسعود الخولانى ، وقد نشرت
فى كتاب المشتشرقين الإسبانيين **G. Palencia**,
Miscalanea de Estudios y Textos Arabes (M
الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى (المخطوط
الأول .
السالف الذكر .

، ألكم تبلغون بعدها ريقاً ، وتجدون فى
من النجاة أو طريقاً – كلا والله ليسومنكم
كم منها داراً فداراً ، فسرقسطة حرسها الله
داد ، والبلد الذى إن استبيح لأعداء الله ،
لأمير الأجل ، هذه أبواب الجنة قد فتحت ،
الدنية ، والنار ولا العار ، فأين النفوس
الهمم المرابطية ، فلتقدح عن زنادها ،
جتهادها ، وملاقاة أعداء الله وجهادها ،

الضراعة إلى الأمير أن يقبل على سرقسطة ،

ؤمن ، عذر فى التأخر والارعواء من مناجزة
لأمير الأجل ، اعتذار تقوم لنا به الحجة
إسلامكم إيانا إلى أهل الكفر والإلحاد ،
إلى نصرتنا ، وإعدادك إلى الدفاع عن

وتقول إحدى الروايات النصرانية ما إن
اريا الواقع على بعد ثمانية عشر كيلومتراً
الجيش بالضبط ؟ وهل بذل أية محاولة جدية
فى معركة حاسمة ؟ إنه مع استثناء الرواية
والتى تقول بأن معركة عنيفة وقعت بين

ق . وقد نقلناها عن مخطوط الإسكوريال رقم ٤٨٨
شر هذه الرسالة وانتفع بها من قبل صديق الدكتور
لسى فى عصر المرابطين » (مجلة كلية الآداب بجامعة
ة١٩٤٩) . بيد أنه ذهب فى التمهيد إليها (ص١٣٣)
ها بالمقارنة بالوثيقتين الأخريين المنشورتين بعدها ،
طة بإحدى عشر عاماً . هذا فى حين أن نص الرسالة
صار سرقسطة وقبيل سقوطها بقليل ، فى شهر شعبان
جهة إلى قائد المرابطين يومئذ الأمير أبى الطاهر تميم ،
سطة ، لإنجاد المدينة المحصورة وإنقاذها قبل فوات
ن نص الرسالة ذاته ، هو أن الأمير أبا الطاهر تميم
ص ١٠٦) .
كر ، نقلا عن المؤرخ **Zurita**

ـبر ماهو نه العواقب . وتميم لم يكن من أكابر
ـيش بصفته الأميرية ، ولم يكن انتصاره ،
ـفاته الخاصة ، وإنما كان راجعاً بالأخص
ـئشة ، ومحمد بن فاطمة ، ولولاهما لما
ـان الجيش المرابطى قد فقد إلى ذلك الحين
ـ بكر ، ومزدلى ، وعبد الله بن فاطمة ،
ـاً إن موقع سرقسطة بعيداً عن مراكز تموين
ـسية وقرطبة ، لم يكن مما يشجع على القيام

ـثالها ، لم تكن تكفى لتبرير موقف الجيش
ـاذ مشرف ، واتقائه بذلك صدع هيبته فى
ـجيال . وإنما قد ترجع البواعث الحقيقية
سرقسطة ، إلى أنهم كانوا يشعرون بأن
ـلجزيرة ــ منطقة الثغر الأعلى ــ كان يلقى

، وعلى أن يسكن الروم (الارجونيون
باغين ، وعلى أن كل أسير يفلت للروم
بيل لمالكه إليه ولا اعتراض له عليه .

سرقسطة المتطرفة ، ويقع على ضفة النهر
ذارى التى تقدم ذكرها . وكانت سياسة
السكان المسلمين فى المدن المفتوحة ، هو
ة لمدة سنة أو نحوها ، ثم يلزمون بعد ذلك
المتطرفة أو الضواحى ، وقد منح سكان
تياز بالبقاء فى أحيائهم داخل المدينة مدى
، وغيره من الأرباض الخارجية ، وهذا
وشة وغيرهما من قواعد الثغر المفتوحة .
، أنه ماكاد ملك النصارى يستقر بالمدينة ،
نه لما شهد جموعهم الزاخرة ركب بنفسه
، فأبرز الفارون أموالا لاتحصى ، ولكنه

ن ، وجعل منها مركز لأسقفية ، ومنح
وعن الكونت جاستون دى بيارن
، وأقطع الحى الذى كان يقطنه النصارى
وزيع الغنائم على الجند الفاتحين ، وكوفئ

ن حكمها المسلمون منذ الفتح أكثر من
ع الثغر الأعلى الأندلسى ، أعظم دور ،
و الحضارية .

ودخلها النصارى ، غادرها معظم أعيانها

(مخطوط أكاديمية التاريخ لوحة ١٦٤ ا) .
٢ ، والبيان المغرب (الأوراق المخطوطة السابقة
الرابع من رمضان (نفح الطيب ج ٢ ص ٥٨٥) .
الذكر حيث يشير إلى الروايات النصرانية .
كر .
M. I . وكذلك « تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين
ثانية ، ص ١٤٥ .

ن تصدع وانهيار ، وقد كانت هذه
، ثم أخذت منذ أقايش تخبو شيئاً فشيئاً ،
ضربة حقيقية ، هزت من أركانها فى
سطرم اسانيا النصرانية ضد المرابطين
قة بالنفس .

—

رقسطة وينظم شئونها ، حتى اعتزم أن
ر الأعلى ومعاقله ، وكانت تطيلة قد
و عامين فى سنة ١١١٧م (٥١١ هـ) ،
غربى تطيلة واستولى عليها ، وأعاد بها
ية[1] الواقعة فى جنوب تطيلة ، واستولى
والبلاد الواقعة فى تلك المنطقة ، ومنها
، وتمت هذه الفتوح كلها فى سنة ١١٢٠م

رجه هى Borja

تريثهما فى الهمة والأهبة ، والواقع فى
. انتهى بعد من افتتاح قلعة أيوب ، حينما
ونسو حينما علم بتحرك المرابطين وسيرهم
مع له وفقاً لأقوال الرواية الإسلامية زهاء
اة وهم جموع غفيرة لا تحصى. ووقع اللقاء
غيرة تسمى كَتُندة أو قَتُندة على مقربة
من شهر ربيع الأول — وعلى قول آخر
ه سنة ١١٢٠ م) . ونشبت بين الفريقين
المسلمين ، فهزموا هزيمة شديدة ، أو
كثر القتل فيهم ، وسقط منهم فى ميدان
نحو عشرين ألفاً من المتطوعة ، وتنوه
شهد فى الموقعة من العلماء والفقهاء ، وفى

M. Lafuente : ibid; V. III. p. 2 . ولنقل
فى أيدى النصارى فى سنة ٥٢٤ (١١٣٠ م) وهذا
ة النصرانية من أن سقوط طرسونة وغيرها من معاقل

ير ج ١٠ ص٢٠٨ ، وابن عذارى فى البيان المغرب
الطيب ج ٢ ص٥٨٠ . وكذلك ابن الأبار فى كتابه
المكتبة الأندلسية – المجلد الرابع ص ٧) . ومن
F. Codera: ibid; p. 262 - 267, M.Lafue

٢ و ٤ .

. نشاط المرابطين فى غزو أراضى الثغر . تحفز
كناسة واستيلاؤه عليها . زحفه على مدينة إفراغة .
ميمه على أخذها . وصول الجيوش المرابطية بقيادة
ت أسوار إفراغة . الهزيمة الساحقة على النصارى .
ر المرابطى وآثاره . ألفونسو المحارب وخلاله .
وهود يستقرون فى روطة . عماد الدولة بن هود .
قشتالة . نزوله له عن قاعدة روطة . بعض
نهاية رياسة بنى هود .

الكبرى للأندلس

رقسطة ، حتى وقعت بالأندلس حادثة
النصرانية ، من حيث اتساع نطاقها ،
لك الغزوة الكبرى التى قام بها ألفونسو
بناء على تحريض النصارى المعاهدين .
دول الطوائف» عن أحوال النصارى
كومات الإسلامية المتعاقبة ، منذ عصر
وائف ، وأشرنا إلى ماكانت تتمتع به

سانحة ، وضربنا لذلك عديد الأمثلة
هدين أعمال الحيانة والغدر ، والتآمر مع
(١

صارى ، وتوالت انتصارات ألفونسو
الأعلى ، وظهر التخاذل على الحيوش
لتحفز ، ولاح لها أنها تستطيع أن تعمل
عاهل الثغر الأعلى ، وإمداده بما وسعوا

فى تدبير هذه المؤامرة الكبرى ، نصارى
ف المعاهدين عدداً ، وأغناهم مالا ،
كانت لهم خارج غرناطة ، تجاه باب
عظيمة شامخة ، فريدة فى العمارة والطراز ؛
شفين على غرناطة ، خاطبه الفقهاء فى

« دول الطوائف » ص ٣٩٥ – ٤٠١ .

) [٢] . ولكن سنرى أن هذا الاستدعاء
لاستعداد والتحفز الخطر ، لم يكن كما
ى المعاهدون لضرب الأندلس المسلمة

.

فونسو المحارب ، فى جنبات الأندلس ،
، بعثوا إليه بكتبهم ورسلهم المتوالية ،
ناطة . وقد كانت غرناطة حسبما تقدم
ن لهذه الصفة فيما يبدو أثرها فى قيام
المؤامرة . وبعث أولئك المعاهدون إلى
ر ألفاً من أنجاد مقاتليهم ، على أهبة
ستترة على قدم الأهبة ، وبعثوا إليه فى
ى عليه من الثروات والمحاصيل الجمة ،

(القاهرة ١٩٥٦) ج ١ ص ١١٤ .
Dozy :
F. J. Simonet : Historia de lo

ية ، وهو يعيث فيها ، ثم انحرف جنوبا
ف الزروع ويحرق القرى ، وقاومته فى
ر بن ورقاء (أواخر شهر رمضان) ،
طية للوقوف فى وجهه ، لأنه حرص على
قت متحركاً فى قواته . وفى أثناء ذلك
إليه حيثما وجد ، حتى اجتمعت له إعداد
سالك ، ويكشفون له مواطن الضعف
يمر بها . ولما غادر بلنسية سار منها إلى
إلى دانية ، فعاث فى واديها ، وقاتلها ليلة
ره مخترقاً شرقى الأندلس مرحلة مرحلة ،
شاطبة ، وألش وأوريولة ، حتى وصل
صورة ، فبرشانة ، حيث توقف أياما .
ها وافتتاحها ، لسهولة موقعها ، وضعف

يأخذ بالتقدير الأول . ويأخذ ابن عذارى فى البيان
الذكر — هسبيرس ص ٨٣) .

بلنسية
الجزيرة
شاطبة
دانية
الهش
لقنت
اوريولة
مرسية
المنصورة
البحر المتوسط
خط سير الذهاب والعودة
لغزوة الفونسو المحارب للأندلس
سنة ٥١٩ - ٥٢٠ هـ

، وأمده أخوه أمير المسلمين على بجيش
مير ، قد أمر بإعداده فى العدوة ، وعبوره
مت إليه قوات مرسية وإشبيلية ، وأحاطت
حتى صارت كالدائرة ، وصارت المدينة فى
وادى آش ، ونزل بقرية دحمة غربى وادى
ناطة ، فاشتد القلق بغرناطة ، وصلى الناس
عدوا بالسلاح . ويصف ابن عذارى حال
منبثة . . وانقطعت السابلة والواردة ،

فى فى الإحاطة ، فقال هو « يحيى بن محمد بن يوسف
، من أهل غرناطة ، كان نسيج وحده فى البلاغة
من الأدب والمعرفة باللغة والخبر . قال أبو القاسم
ة واللغة والتاريخ ، ومن الكتاب المجيدين والشعراء
بى محمد تاشفين ، وله فيه نظم حسن . وألف فى تاريخ
لة المرابطية » ضمنه العجائب إلى سنة ثلاثين وخمسمائة ،
« قصص الأنبياء ، وسياسة الرؤساء » . توفى بغرناطة
كتبة الإسكوريال رقم ١٦٧٣ الغزيرى لوحة ٤١٥) .

ب ، ثم انحدر غرباً نحو قبرة واللسانة
فى معارك صغيرة ، وكانت قوات إشبيلية
بكر ابن أمير المسلمين ، وانضمت إلى باقى
أقام ألفونسو بقبرة أياماً ، وسار منها إلى
مون فى أثره حتى قرية شيجة[٥] القريبة
ل[٦] وقعت بينه وبين المسلمين معركة ،
ولما جن الليل وقع فى المعسكر الإسلامى
ن الأمير تميما أمر بنقل خبائه ، من وهدة

لسالفة الذكر – هسبيرس ص ٨٤) .
س وبالإسبانية Beas قريتان من أعمال غرناطة تقع
.
Alcalà la ، وقبرة هى **Cabra** ، واللسانة هى

ليوم **Aguilar**

ربى غرناطة وبالإسبانية **Arinsol** .

أى أنه لم يحقق بغزوته الطويلة المدى : أى
بلاده ، فاتجه شرقاً نحو مرسية ، فشاطبة
نحو عشرة آلاف من النصارى المعاهدين ،
والهلكة ، هذا والعساكر الإسلامية تلاحقه
، حتى وصل إلى بلاده مفلولا ، قد حطمه
ن أنفق فى غزوته خمسة عشر شهراً ، وهو
من هزيمة المسلمين ، وفتكه فى بلادهم

ارب الشاملة ، لأقطار الأندلس الشرقية
ك والمناوشات العديدة ، التى خاضها مع
ملك أراجون من ورائها أية نتيجة عملية .

المحارب للأندلس : الحلل الموشية ص ٦٦ – ٧٠ ؛
ج ١ ص ١١٦ – ١١٩ ؛ وكلاهما ينقل رواية
لمغرب ، وهو يقدم لنا نفس الرواية ، ولكن مزيدة
السالفة الذكر – هسبيرس ص ٨٤ و ٨٥) . وراجع

ما قال الوزير الكاتب عبد الحميد بن
كانت دعوة المعاهدين لألفونسو المحارب ،
هذه الصورة البعيدة المدى ، تمثل بالنسبة
من ثم فقد كان لابد من أن يحدث موقفهم
مة الإسلامية ، وكان لابد أن تتخذ فى
سائسهم وعدوانهم بصورة حاسمة . وهذا
نسو المحارب ، فإن ما حدث على أثرها
توجس من مكائدهم ، حمل كبير الجماعة
على أن يعبر البحر إلى المغرب ، ثم قصد
، وشرح له أحوال الأندلس ، وما منيت
من استدعاء النصارى ، وما يترتب على
ذمة » ، وأفتى بتغريبهم ووجوب إجلائهم
ه فى عقابهم . فأخذ أمير المسلمين بهذه
لأندلس ، بتغريب المعاهدين إلى العُدوة

و ٤٠٠ .

والاسوار

التى وقعت فيها غزوة ألفونسو المحارب
ت فى نفس الوقت حركة محمد بن تومرت
المنشآت الدفاعية سواء ، فى المغرب أو
أمير المسلمين على بن يوسف فى تسوير
ها فى سنة ٤٦٢ هـ ، قد أقيم السور فقط
ف بن تاشفين . وبقيت المدينة ذاتها دون
المسلمين بتسويرها ، القاضى أبا الوليد
، واستفتى أمير المسلمين فقهاء المغرب ،
جوب إنشاء أسوار للمدينة ، تقوم بحمايته
ين فى بناء أسوار مراكش فى جمادى الأولى

و ٧٠ ، وابن الخطيب فى الإحاطة ج ١ ص ١١٩
هسبيرس ص ٨٦) . وأشباخ فى « تاريخ الأندلس
١٤٧ - ١٥٠ . وراجع : « : F.J. Simonet
Historia de los

زاء كبيرة مما يلى باب الرملة وباب إلبيرة ،
رطبة إصلاح أسوارهم ورمها على سالف
وكذلك فعل أهل إشبيلية نحو أسوارهم ،
حاف ، وأقيمت الأسوار وأصلحت .
ل من أهلها يعرف بابن العجمى ، فاستعمل
لا على أداء الإتاوة المطلوبة ، وأصلحت
ق .

رناطة حتى ، عزل عنها فى جمادى الأولى
. وكان ظلوماً جائراً ، وكان من أعمال
إلى غرناطة ، ثم قبض عليهم ، وأودعهم
شرق الأندلس ، وتركهم فى المطبق ،

وابن عذارى فى البيان المغرب (الأوراق المخطوطة
ن (المخطوط لوحة ٣٣ ب) .
ج ٦ ص١٨٤ ، وفى كتاب « الإستبصار فى عجائب
٥١ هـ وهى رواية ضعيفة (ص ٢٠٩) .

١٠٤م) قسمت مملكته بين ولديه يوسف
هود اختص بالجانب الشرقي من مملكة
. ثم توفى المنذر بن هود في سنة ٤٨٣ هـ
تب بسعد الدولة ، وكان الكونت رامون
أحبار قطلونية ، يتوقون إلى انتزاع ثغر
مركزاً رئيسياً للكنيسة القطلونية ، فكتبوا
ك الحرب الصليبية الأولى في المشرق ،
الصفة الصليبية ، وأصدر طائفة من المنح
لة . وكتب إلى سائر الأمراء والبارونات
رة ، يحثهم على الاشتراك في هذه الحرب
ية لافتتاح طرّكونة ، على رأسها رامون
ن تلك الآونة بالذات مشجعة للغزاة .
انتزاعها من المسلمين بسهولة (١٠١٠م)
بن هود صاحب سرقسطة عن إنجادها ،

فة الذكر – هسبيرس ص ٨٦ ، و٨٧) .

، لم يرد أن يشتبك فى هذه المنطقة من
سم ، قبل أن يقضى على قواتهم فى جنوبى
باستمرار . ومن ثم فقد سار فى قواته جنوباً
ف قد علم من عماله فى بلنسية وما والاها
ى المسلمين ، فخشى على أن تكون حركة
دلس ، وأمر بحشد قوات من السود تتكفل
، ثم أرسلت هذه الحشود إلى مرسية —
المرابطية فى شرقى الأندلس . وهنا يحيق
التى نشبت على أثر ذلك بين الأرجونيين
لنا الرواية الإسلامية الوحيدة التى لدينا
ن — أن الموقعة نشبت فى مكان يعرف
تقع على مقربة من جزيرة شقر جنوبى
رجونى) يرابط بقواته بها . وهكذا نشبت
الأرجونيين ، ويضع ابن القطان تاريخها
لنا إن قوات المسلمين كلها كانت بقيادة

المتقدمة عن الموقعة ، توجد لدينا عنها
تاريخ وقوعها ، . مزيداً من الضياء ،

ة » أو« القلاعة » . ونحن نرجح قول
بأنه على مقربة من جزيرة شقر .
الأول من سنة ٥٢٣هـ (النصف الأول

الموقعة بهزيمة شديدة،وقد كانوا بقيادة
ونى ، وهو ابن أخت على بن يوسف،
مير .
كتب بها أمير المسلمين على بن يوسف
رة مراكش ، ومؤرخه فى السابع من
كتابه الذى أرسله إلى أمير المسلمين ينبئه

السابق ذكره لوحة ٣٤ ب) .
M. I

ب بها أيضاً أمير المسلمين على بن يوسف
موقعة « القلاعة » ، مؤرخة فى الحادى عشر
ش ، رداً على كتابهم فى وصف المعركة ،
وإنه لم يأل جهداً فى العمل لإعلاء كلمة
ال ، وإنه لو استطاع أن يكون حاضراً
لهم أنه لا هم له إلا الذياد والدفاع عنهم

أمير المسلمين على بن يوسف إلى قاضى
والعامة ، عند نزول ابن رذمير عليها ،
رز نصره فى موقعة القلاعة المتقدمة
اضى ولاية بلنسية ، وأنه اقترب من ثغر

اب الوثائق . وقد نقلناها عن مخطوط الإسكوريال
سبق أن نشر هذه الوثيقة وعلق عيها الدكتور حسين
الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٩) .
ائق . وقد نقلناها عن نفس المخطوط (لوحة ٧٢ب
حسين مؤنس فى بحثه السالف الذكر .

لمان الميت والتعريب . لم ...

ة إفراغة

روته الكبرى خلال الأندلس ، بضعة
ة الفتى ألفونسو ريموندیس ولد زوجه
دنة بين قشتالة وأراجون فى سنة ١١٣٠م ،
أخرى ، غير العدوان على الأندلس .
سا ، وحاصر مدينة بيونة الواقعة شمال
بواعث هذه الحركة ، من جانب ملك
نجاداً لبعض أتباعه من السادة الفرنج ،
صار باستيلاء ألفونسو على بيونة (سنة
نف تدبير مشاريعه ضد الأندلس .

حة ٣٤ ب) .
منقولة عن مخطوط الإسكوريال السالف الذكر

M. L

ا النهر العظيم ، ويصل ما بين مملكته وبين
روعه الكبير من شقين ، يتضمن الأول
قعة فى مثلث نهرى سنكا وسجرى ، ثم
طرطوشة . وأعد ألفونسو حملة جديدة
هذه الحملة كثير من الأشراف والفرسان
ة سرقسطة ، وبدأ ألفونسو بالزحف على
ملتقى نهرى سجرى وإبرة ، وهى قاعدة
راً لوقوعها فى السهل المكشوف ، فهاجمها
بعد مقاومة عنيفة ، وذلك فى يونيه سنة

لاء على مدينتى إفراغة ولاردة ، وبدأ
اليمنى لنهر سنكا على مسافة قريبة من شمال
بالأمر الهين ، لموقعها الحصين فوق الربى
ب مهاجمته ، ويسهل الدفاع عنه . ومن
ن أهبة ألفونسو وعنف تحركاته ، أن

ن عياض والى لاردة قواته . وكان أهل
ر ، وأخذت مواردهم فى النضوب ، قد
دة المرابطين ، بطلب الإنجاد والأقوات ،
معوا لألفونسو ، وسلموه المدينة . ولكن
ذير ، وكانت مهمة إنجاد إفراغة وإنقاذها
منذ البداية منتهى الغيرة والاهتمام[٢] .

صل بقواته إلى إفراغة ، وضرب حولها
ة واليها سعد بن محمد بن مردنيش أشد
مرة ، ثم يعود إليه ، وحملته هذه المقاومة
ى على المدينة المحصورة ، والتصميم على
راغة ، كما أقسم أبوه سانشو راميرز قبل
أن يفتتح إفراغة أو يموت دونها ، وأقسم
كذلك أن يؤتى برفات القديسين إلى المعسكر

لسالف الذكر) .
لسالف الذكر) .

نحو ثلاثة آلاف فارس[1] ،وهوتقدير
جها ، وتقدرهم الرواية النصرانيةبعشرة
فتقدره الرواية الإسلامية بإثنى عشر
، أن القوات النصرانية كانت تتفوق
ن قتال شديد مروع ، وأبدى المسلمون
والبسالة ، وقاتل الأرجونيون كذلك
المعركة بنفسه ، وخرج أهل إفراغة ،
تد الأمر على النصارى ، وكثر القتل
والأكابر ، ومزقت صفوفهم تمزيقاً ،
موقعتى الزلاّقة وأقليش[4]، واستولى

القوات المرابطية على النحو الآتى : قوات قرطبة
، وقوات لاردة مائتا فارس .
M.L. وكذلك أشباخ فى تاريخ الأندلس فى
. ١٦

ر الأعلى (ص ٩١ من هذا الكتاب) .

قليلة جداً ، ولحق بمدينة سرقسطة ، واله
، وشقة فأقام بها مختلا أشهراً قليلة ثم حان
لمعطار ، إن ألفونسو فر عقب هزيمة ،
ماهق ، مع الفل الذى بقى معه ، ثم غادره
(
.

فعة فيضعه ابن عذارى فى سنة ٥٢٨ هـ (الأوراق
. ويقول لنا ابن القطان إنها وقعت فى سنة ٥٢٩ هـ
(المخطوط السابق ذكره) ويضعها ابن الأثير فى
ا صاحب الروض المعطار إنها وقعت فى رمضان
. ولكن الرواية النصرانية تحدد لنا تاريخها تحديدا
فق لرمضان سنة ٥٢٨ هـ .
M. Lafuente : ibid; ، والهامش حيث يعدد
رقعة . وراجع أيضاً: **F. Codera : Decadencia**
y Disp

. (٥ر

اك ألفونسو المحارب ، أن انقشع الخطر
ضى الثغر الأعلى، وعن شرقى الأندلس،
ن والنصارى ، شخصية خطرة كانت
المستميت ، سلام المسلمين ، وسلامة
رب فى الواقع ، مثل فرناندو الأول ،
بانيا النصرانية ، فى العصور الوسطى .
حديد لمملكة أراجون ، كما كان افتتاح
لمملكة قشتالة ،وقدغدت مملكة أراجون
هد أبيه سانشو ، قرينة مملكة قشتالة من
وقوة المراس فى مناجزة الأندلس، وقد
يوسع رقعتها ، بافتتاحه سرقسطة وتطيلة
من القواعد الإسلامية ، وكانت أمامه،
لأن يغدو قيصراً لإسبانيا الكبرى،ولكن
سلطان ، وما أبداه أشراف قشتالة من
مثل هذا المشروع ، وكانت الحرب

، ومن الغريب أن المرابطين كانوا فى نفس
اغة سنة ٥٢٨ ﻫ يقومون بغزوات مخربة
مير تاشفين ، ولد أمير المسلمين على بن
واتهم فى الثغر الأعلى ، على أثر انتصارهم
ن غانية ، لكانت لديهم بلاريب فرصة
ليم – سرقسطة – وفى رأينا أن المرابطين ،
زلاقة وإفراغة ، وإحجامهم فى الحالة
فى الثانية عن محاولة استرداد سرقسطة ،
لاشك فى خطورته ، وكانت له فى الحالتين

ى هود بالثغر الأعلى

ة أهلها ، فى أواخر سنة ٥٠٣ ﻫ (١١١٠م)
هود ، عبد الملك بن أحمد المستعين بن هود
قد حكم سوى فترة يسيرة ، دب الخلاف

... عليها ... وشرع في إرهاقها ... على
[2] . وعلى أى حال فإنه يبدو أن العداء
... رابطين ، ومن ثم فقد وضع عماد الدولة
... ونسو المحارب ، خشية من نقمة المرابطين
... الدولة ، فى حكم إمارته الصغيرة نحو
... شعبان سنة ٥٢٤هـ (١١٣٠م) . وكانت
... ى النصارى ، وأصبح ألفونسو المحارب
... رواية مفادها أن عماد الدولة بن هود ،
... بطين ، حتى سقطت المدينة فى أيدى
... . بيد أن هذه الرواية ضعيفة لاتؤيدها
... سبق أن ذكرناه من توالى الولاة المرابطين
... سقوطها فى أيدى النصارى فى سنة

... مخطوط الأكاديمية السالف الذكر لوحة ١٦٥ب) .
... المخطوطة — هسبيرس ص ٧٨) .
... (المخطوط لوحة ١٦٥ب) .

تالة برغبته فى زيارته ، وبأن يرسل إليه
، فبعث إليه الملك ببعض أكابر فرسانه ،
ك بترحاب وعطف ، وعامله معاملة ملك ،
أثر سيف الدولة بما رآه من فخامة بلاط
ضوى تحت لوائه وحمايته ، ويضع نفسه
عن حصن روطة ، مقابل حصون وبلاد
طاه إياها ملك قشتالة ، فانتقل إليها ووضع

نية الأخرى ، قصة سيف الدولة فى صيغة
بحماية ملك أراجون المرهقة ، وخشى من
رى ، قرر أن يعترف بحماية ملك قشتالة ،
المواقع المنيعة ، الباقية من مملكته الصغيرة ،

A. P. Ibars : Valencia Arabe (Valencia 19
F. Codera : Dec. y Disp. de los Almo

يدعو أهلها لطاعته ، وأنه على يقين من
لى دعوته ، لأن المرابطين قد أذاقوهم
وال دولتهم ، وأخيراً أنه لم يبق من أبناء
وهكذا تخلى المستنصر لملك قشتالة عن
نقل » . وعوضه عنها ملك قشتاله بقرى
إلى غربى الأندلس ، فى قوات كثيفة ،
جب إلى دعوته أية قرية ، أو أى موضع ،
عوه وانضموا تحت لوائه ، فإن العدو
من مشروعه بأخسر صفقة[٣] .ويستفاد
قشتالة ، كان يرمى إلى استخدام المستنصر

M. La

ب « الإكتفاء » (مخطوط أكاديمية التاريخ السابق

شمالى الثغر فانتقل إليها بأهله وأمواله[١] .
اعدة روطة وأعمالها ، رياسة بنى هود
ة . وأقام المستنصر فى مقره الجديد فى
، إلى أن سنحت له فرصة للتدخل فى
ياسة من جديد ، وهو ما سنعنى به فى

١ .

بار ولاة الأندلس وأقاليمها ، أن الدولة
س على عصبية القبيل والأسرة ، فيتولى
قرابته وأصهاره ، ويتولى هؤلاء كذلك
ادة العامة ولد الأمير . وقد طبقت هذه
أبى بكر اللمتونى قائد الجيوش المرابطية ،
ن تاشفين ، ثم كان أبو الطاهر تميم ولد
الده ، وولاية أخيه على بن يوسف ،
الإدارية غرناطة . ولبث تميم فى منصبه
ية منذ موقعة أقليش فى سنة ٥٠١ ﻫ
نة ٥١٢ﻫ (١١١٨م) ، وموقعة كتُندة
٥١٦ ﻫ (١١٢٢م) ، ولّى الأمير تميم
صرف عن إشبيلية فى العام التالى ، ووُلى

ن فى هذا العام ذاته بالقشتاليين على مقربة
أيضاً ما يذكره لنا ابن القطان فى حوادث
، عزل ولده الأمير أبا بكر عن ولاية
، لأنه لم يرض عن بيعة أخيه ، وتوليه
إشبيلية أجداى والى قرطبة[٦] . ويؤيد
كنه لايذكر لنا شيئاً عن تغريبه ، ويقول لنا
ن سير ، وذلك فى شعبان سنة ٥٢٢هـ[٧] .
لغرب . ينقل إلينا عن ابن الوراق رواية

١٩٥) ج ١ ص ٤٥٤ و ٤٥٧ .

هسبير س ص ٩٠) .
السالف ذكره) .
- هسبير س ص ١١٠) .

مه ولا واضحة فى هذا الموطن .

ر تاشفين وحروبه مع النصارى منذ سنة
غزا القشتاليون أراضى الأندلس بجيش
الكرس ، على مقربة من قلعة رباح ،
وا عائدين إلى بلادهم .

٥٢ ه (١١٢٩ م) ، سير الأمير تاشفين
اللمتونى ، فأغار على أطراف قشتالة ،
قاتلوه بشدة ، فانهزم المرابطون ، وقتل
ة ترجع بالأخص إلى تهاون عمر بن سير
سلمين على بن يوسف ، فألزمه بدية من
كانه الأمير أبا زكريا يحيى بن على الحاج .
ت القوات القشتالية جنوباً حتى أصبحت
عبد الله بن تينغمر بالأمير تاشفين ، فبادر
هم ، ولم يشاءوا الاشتباك مع المرابطين ،

هسبيرس ص ٩١) .

طة ، وتزيد الرواية النصرانية على ذلك ،
انين ، وأن تاشفين سار بعد ذلك إلى
واستمر فى تقدمه حتى وصل إلى « سان
عد ذلك بقواته جنوباً وعاد إلى غرناطة ،

م) ، هزم المرابطون قوة من القشاليين
لمين .
إلى ابن أخت على بن يوسف ، عبد الله
ه شبت النار بسوق الكتانين بقرطبة ،
رت عن خسائر فادحة ، ورجم الناس
المعونة[٣].
١١٣٢ م) ، نمى إلى الأمير تاشفين أن

يان المغرب (الأوراق المخطوطة السالفة الذكر –

هسبيرس ص ٩١) . وابن القطان فى نظم الجمان

وحة ٦٨ب) .

فى مطاردة أهله ، وقتل الكثير منهم .

٥ ه ، خرج جيش من القشتاليين بقيادة
بيلية وأغاروا على أراضيها من جهة حصن
دروا فجأة إلى الشَّرْف[٢] على مقربة من
وأخذ والى المدينة عمر بن الحاج اللمتونى
شتاليين بالوادى على ضفة النهر ، وبعث
د فأسرت بعض القشتاليين وجاءت بهم
إخوانهم فى الضفة الأخرى ، فاضطرم
كالسيل المنهمر ، وأطبقوا على المرابطين ،
ر بن الحاج ومعظم جنده ، فأغلقت المدينة

٤ . والبيان المغرب (الأوراق المخطوطة المشار إليها .

بية ، هو السهل الممتد غرباً من إشبيلية حتى لبلة ،
مر ، ولبلة ، وولبة ، وجزيرة شلطيش ، وجبل
ة اشبيلية» (الإدريسى فى نزهة المشتاق . الجزء الخاص
طبعة دوزى ص ١٧٤ و١٧٨) .

او القمش بن رمند كما تسميه الرواية
وبه كثير من أبطال قشتالة وأنجادها
وعاث فى أحوازها، وخرب أراضيها .
ات ضخمة، ووقف من أدلائه وطلائعه
مكان يقع شرقى بطليوس على مقربة من
ده العظيم يوسف بن تاشفين فيه ، على
طلائع العدو تبدو ، وقد ملأت جموعه
ائه بحماسة وتوثب . ونظم الجيش الإسلامى
، فاحتل المرابطون ، وعلى رأسهم الأمير
كتوبة بالآيات ، واصطفت إلى جانبيه
راء بالصور الهائلة ، واحتل الجناحين
ت المرقعات ، واحتل المقدمة أنجاد زناتة،
لأعلام المصبغات ، ونشبت بين الفريقين

هسبيرس ص ٩٧) ونظم الجمان (المخطوط السالف
ج ١ ص ٤٦٠ .
سابق ذكره لوحة ٧٢ ا) .

شنترين
قاصرش
منتانجش
شنترة
اشبونة
جلانية
بطليوس
يابرة
قصرابيداش
(الشارات)
باجة
سربة
ميرتلة
ليلة
ولبة
شلب
فارو
(شنمرية الغرب)
طبيرة
قادس

خطة لاجتذابها إلى هذا الموضع ، وأقبل
بون نخبة من أنجادهم تبلغ نحو ألفين ،
ول الظلام ، فى هذا الموضع الحرج ،
مواضع ، فدب الخلل بالجيش المرابطى ،
، وعلا الصياح بين المسلمين ، وفروا من
إلى خيمة الأمير تاشفين ، فأشار إليه بعض
ق به فرسان الأندلس وأنجاد المرابطين ،
بين الفريقين معركة عنيفة ، والأمير
مه ودرعه ، يشدد الضرب والطعان ،
لا أشهم نفساً ، فى مطلع ذلك الهول» ،
ل قائد القشتاليين المهاجمين بطعنة نافذة ،
قد اجتمعت من القتلى من الجانبين أكداس
ن فى قواته إلى حصن قشرش ، وهو من

سبيرس – ص ٩٧) ، وابن الخطيب فى الإحاطة
القصيدة .

وتجارب فى مثل نفسك تنجع
اليوم أنت مع التجارب أشجع

واخفض كمينك خلفها إذ تدفع
تلقى العدو فنشره متوقع
ووراءك الصدف الذى هو أمنع
بعد التقدم فالنكوص يضعضع

تهنئته :

بالليل والقـدر الذى لاينفـع
ومضى يهيم وهو منك مروع
عنها أعزتها تـذل وتخضـع
فيها من الظفر الرضى والمَقْنع
عنها البسيطة والجبال الخُشَّع
فيها لذكر الله صـوت يرفـع

٧٥) . والبيان المغرب (الأوراق المخطوطة السالفة

القطان غير مرة من هجوم أسراب الجراد
العامين الأخيرين . وقد ذكر لنا أنه فى
. وهو يضع تاريخها فى سنة ٢٢٩ هـ —
وكلأ ، وأمر الناس بالخروج إليها فساقوا
ين عدلا ، وما غاب عن العيون أكثر
حمل » .

أيضاً ، أنه فى سنة ٥٢٩ هـ ، وقع بقرطبة
على أثر ظهور قتيل مسلم فى بعض أحيائهم ،
قتل خلال ذلك عدد منهم . ووقعت فى
شبيلية ، من جراء ثورة العامة ضد قاضيها
زجرهم ، ومعاقبتهم بمختلف العقوبات

هذه الموقعة بإيجاز (ص ٩٢) ، ثم يورد قصيدة.

M.; La
السالفة الذكر — هسبيرس ص ١٠١) .

ن النصراني في رحفه إلى أحواز إشبيليه ،
نورة . ويدمر المساجد ويحرق المصاحف .
هذا العيث المروع الذى كانت تموم به
، سائر المنطقة الواقعة ما بين قرطبة
من الغنائم والأسرى والأقوات . ومن
بها وهدمها ، ثم سار إلى قادس . ولما
سيف الدولة يطلبون إليه أن يعمل ملك
ن ، فبعث إليهم بعد التفاهم مع ملك قشتالة
ابطين . وعندئذ يأتى هو وملك قشتالة
أدراجه على الأثر . وألا يغامر بالبقاء في
ة طليطلة[٢] .

هسبيرس ص ١٠ و ١٠١) ؛ وابن القطان فى نظم

M Lafuente: ibid; (cit. Crónica Al

بة أبياتا نظمها الكاتب الكبير أبو عبد الله
، ويشير إلى موقعة كركى ، وفيها يقول :

ورد عزملك عن فوت إلى درك
واضمم يديك ودعه فى يد الملك
حتى استدرت عليهم كورة الفلك
ولا تركت نجيعاً غير منسفك
والصبح من عبرات الفجر فى مُسُك[٢]

٥٣ هـ (١١٣٧ م) ، وكانت لمدينة
اً لصاحب نظم الجمان) وقد كانت حسبما
أعمال كورة تدمير أى مرسية[٣] . وهذا

وحة ١٧٢ ا) ، والبيان المغرب (الأوراق المخطوطة

سكوريال السالف الذكر (لوحة ٢٩) .
س) ص ٢٢ و ١٧٢ .

ت على هطلها عشرين يوما حتى فاض
ره . ووضع القشتاليون بعض المعادى
سر بعضها وغرق من كان فيها ، وتبعهم
النصارى بعد أن هاجموا حصن شبيوطة
اشفين فإنه لبث يترقب السير إلى الشمال ،
غمر الطرق والبسائط وتعوقه عن السير .
ره صوب طريق العدوة ، وجاز البحر
ل سنة ٥٣٢ هـ[٣] .

—

ن ، كان حينما ولاه أبوه شئون الأندلس
ذ مقره فى غرناطة ، التى جعلتها الدولة

A. P. I
ة ٧٩) . وروض القرطاس ص ١٠٧ .
ابق الذكر) .

كرك مستمنحا من يديك ، على مستظهر
الله سبحانه يقول لرسوله : « وشاورهم
لى بن يوسف قرر أن ينقل مركز حكم
ب رآها ، وهى أسباب ربما كانت سياسية

ن من هذه السنة (٥٢٦هـ) ، وعزل واليها
لية فاعتقل بها لأسباب لم توضحها الرواية ،
(٥)

سكوريال ١٦٧٣ الغزيرى لوحة ١٥ ٤)
ن هذا المرسوم ، هو مرسوم تولية تاشفين ولاية
سب فى سنة ٥٢٦ هـ (كتاب العبر ج ٦ ص١٨٦) .
. ٤٥
ل محتويات هذا المرسوم (وقد وردت فى الأوراق
ه) . وقد نشرنا فى باب الوثائق بعض فقراته
السابق ذكره لوحة ٧٢ أ) .

ر بها لا ترة ، من الاستعانة ، والتباع

صفات تاشفين الشخصية ، فتقول لنا إنه
لولا بخل أخل به ، وأنه كان يسلك طريق
ستقيمين ، وقراءة كتب المريدين . وقيل
لى قينة ، ولا اشتغل بلذة صيد ، ولا غير
[٣] . وينوه ابن الصيرفى بورعه وتقواه ،

— ٣

دلس ، وقائداً عاما للجيوش المرابطية بها

فى الإحاطة ج ١ ص ٤٥٦ ، وراجع أيضاً الحلل

المتقدمة الذكر .
ة السالفة الذكر — هسبيرمن ص ٩٠) ، والإحاطة

يعة له .

فصلتها الرواية ، وهى أنه فى سنة ٥٢٢هـ
الأمير سراً لولاية عهده من بعده[٣] ،
نفس الوقت ولده الأمير تاشفين لولاية
، ثم قرطبة بالإضافة إلى ما فى يده .
رة وهمة مشكورة ، وظهر بالأخص فى
يته فى شبه الجزيرة وفى العدوة ، فكبر
سر أباه فى ذلك ، وأعرب له عن قلقه
وحسن الذكر ، وأنه قد غطى بذلك على
ه لم يبق له معه اسم ولا ذكر ، فحاول أمير
، باستدعاء أخيه تاشفين من الأندلس ،
بوه فى حاشية أخيه « وصار من جملة من
حجابه » . وكان على بن يوسف متأثراً

لإحاطة ج ١ ص ٤٥٤ و ٤٦١ .
هسبيرس ص ١٠٣) .
سابق ذكره لوحة ١٣٤ أ) .

ى الناس إلى الجامع لأخذ رأيهم فى ذلك .
، وعرض عليهم الأمر ، فهتفوا جميعاً باسم
، وعقد البيعة بولاية العهد لولده تاشفين
ونقش اسمه فى السكة ، وقلده النظر فى
لاد العدوة والأندلس ببيعته ، فوصلت
خة بشهر رجب سنة ٥٣٣هـ (١١٣٨م)(٢).
ن الأندلس إلى العدوة ، ثم أخذ البيعة له
ن ما تقدم من العوامل والظروف ، وإنما
ك الأثناء بالمغرب ، من تطورات وأحداث
مد بن تومرت ، ودعوته الدينية الجديدة ،
ملثّل ، واضطرام الصراع المرير بينها وبين
سيله فى موضع آخر .

هسبيرس ص ١٠٤) ، وابن القطان فى نظم الجمان

هسبيرس ص ١٠٤) . وابن الخطيب عن ابن الوراق

لبحر غرباً حتى قونكه ، ويتبع مرسية
تى نهر شقورة ، والممتدة جنوباً حتى

نسية ومرسية ، منذ الفتح المرابطى حتى
سقوط سرقسطة ، الأمير أبو إسحق إبراهيم
ين على بن يوسف ، وكان والى بلنسية
. فصلنا فى حديثنا عن سقوط سرقسطة ،
ث الحصار ، والدور الذى قام به أخوه
ه) وهو يومئذ والى إشبيلية .
سية ، أبو محمد يدّر بن ورقا ، أوحسبا
رسف يدّر ، والظاهر أنه تولى فى نفس
داد وطأة الغزوات النصرانية ، فى شرقى
بن يوسف ، أن يوجه إليه يحيى بن غانية
ليه ، وبعث إليه بابن غانية ، وكان ذلك
نا صاحب البيان المغرب إن ابن غانية ،

كش ، فى عهد يوسف وولده على ، ثم
ش فى كنف الأمير أبى عبد الله محمد بن
عهد يوسف ، وتزوج أمه غانية بعد وفاة
فكانت أول ولاية أسندت إليه . ولما تولى
بن الحاج عن ولاية قرطبة ، لانضمامه الى
يحيي بن أبى بكر والى فاس ، وقد ذكرنا
ى ثورته ، فانفصل عندئذ يحيي بن غانية
عن ابن الحاج وغيره من القادة الموالين
ف مكان أخيه أبى الطاهر تميم بن يوسف ؛
بن الحاج بعد ذلك لولاية بلنسية ، ومنها
وغزواته فيما تقدم .
راً لأخبار يحيي بن غانية ، بين مختلف

اق المخطوطة هسبيرس ص ٨١) .
الإسكوريال رقم ١٦٧٣ الغزيرى) لوحة ٣٩١ .

، فكانت الهزيمة الساحقة على النصارى
م) حسبما فصلنا ذلك فى موضعه[٢] .
راغة ، والياً على شرقى الأندلس بضعة
لامية قصة غزوة أخرى ، فى الأراضى
ستها أن القشتاليين ضربوا الحصار بقوات
الواقع شرقى طليطلة ، على الحدود بين
صون الإسلامية فى تلك المنطقة ، وضيق
ا الأقوات ، فنهض والى قرطبة الأمير
فين ، واستمد فى نفس الوقت يحيى بن
ات المرابطية ، من قرطبة ومرسية ومن

ى على شرق الأندلس بعد وفاة يدر ، هو ينتان بن
هسبيرس ص ٩١) .
كوريال السالف الذكر لوحة ٣٩١) . وراجع
Gaspar Remiro : Murcia Musulman
ـن Oreja ، أو حصن أورليا Aurelia .

غانية وزملاؤه القواد المسلمون ، وأخذوا
وا قبالة الملكة المطلة عليهم ، تكريماً لها
ن يقوموا بأية محاولة . أما حامية حصن
ليم (أكتوبر سنة ١١٣٧ م) ولكن سمح
باح[٢] .

فى شرق الأندلس ، فى الفترة التى تلت
ادث خاصة بهذه المنطقة ، سوى الغزوات
اية عنها تفاصيل شافية ، وقد كان شرق
فى شبه الجزيرة ويشترك فيها ، كما تشترك
لجيوش المرابطية كلها ، سواء فى شرق
ات موحدة شاملة .

ة الأخرى من الأندلس ، فإن الرواية

. إليها – هسبيرس ص ٩٤) .

A. P. Ibras : Valencia Arabe (cit. Crónic

ن عن لولاية الجزائر عقب استردادها ،
ـدو من بعض الرسائل الساطانية المرابطية
ـزر ولاية قصيرة الأمد للقائد أبى السداد
بن يوسف من حضرة مراكش ، فى
٥١٠ هـ ، أعنى عقب استرداد الجزائر
موت القائد أبى السداد والى ميورقة ،
ـ ، ويسدى إليه النصح بأن يحسن السيرة
ق والعدل والحق ، وأن يستعمل الحزم
ـاع من خرج من أهلها ، وأن يستنيب
مخلص بثغر دانية ، وأن يبذل جهده فى

ـالف الذكره لوحة ٨٢ ب).
ج ٤ ص ١٦٥ .

ضعوه في الأصفاد ، وبعثوا إلى أمير
فاستجاب علي إلى صريخهم ، وعين
بن غانية المسوفي ، أخو يحيي بن غانية
بعض أعمال قرطبة ، فقدم إلى الجزائر
ا على ما فعلوه بواليهم السابق وانور ،
في أمره(٢) .

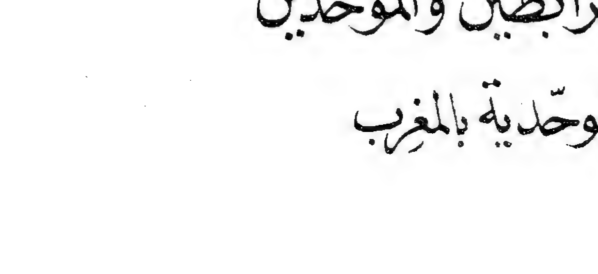
د بن غانية لولاية الجزائر الشرقية ،
جديد من تاريخها ، وقيام دولة جديدة
أن محمد بن غانية ضبط الجزائر ،
حتى توفي أمير المسلمين علي بن يوسف

الرسائل المرابطية نشرت بمجلة معهد الدراسات
السادس) سنة ١٩٦١ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .
للمراكشي ص ١٥١ ، ١٥٢ . وراجع أيضاً :
A. Campaner y Fuertes : Bosquejo
Alfred Bel : Les Benou Ghania (Paris

يل إن إسحاق حقد على أخيه عبد الله حينما
أخوه وأبوه ، وتولى هو على أثرها حكم
١ م)[1] .

الشرقية عند هذا الحد ، لنستأنفه فى

ن خلدون ج ٦ ص ١٩٠ ، وكذلك : A. Bel :


والموحدين
بالمغرب

س الفقهاء للأمير على قتل ابن تومرت . أقتصاره على
إلى السوس . تجوله فى بلاد المصامدة . نزوله بجبل
ظرية المهدى. إعلانه لإمامته وأنه هو المهدى . مبايعة
تلقيبه بالمهدى والإمام المعصوم . ملخص شريعته .
ن ابن تومرت كان يضمر مشروعه ويعمل له .

ريخ الدولة المرابطية ، وهى ناحية طارئة
سيرها من التقدم والتوطد ، إلى الإدبار
قوتها ورسوخها، إذا بها تجد نفسها فجأة
قيه متواضع ، وتضطرم بسرعة مدهشة،
ن قواها ومواردها ، ثم تنتهى بعد صراع
ثورة المهدى ابن تومرت .

نا حركة أكثر تواضعاً فى بدايتها ، وأبعد
ى قام بها محمد بن تومرت السوسى ،
ن قيام دولة من أعظم الدول الإسلامية ،

بية إلى الصراع المحلى المحض . وتستمد
ص بها المغرب منذ عصور .

داخلية ، تضطرم بين فريقين من القبائل
الدينى الخاص . فقد رأينا كيف قام
وإحياء السنة ومحاربة البدع والضلالات .
ن يومئذ يسود كثيراً من القبائل البربرية .
ابطية فى قبيلة لمتونة . وحليفاتها كدالة
كذلك فإن حركة ابن تومرت . قامت
هى عن المنكر . وبدأت رياسته السياسية
ـرْغة . وغيرها من بطون مَصْمودة .
والموحدين . تصطبغ فى نفس الوقت

— ١
م) وقعت بمدينة مراكش أول بادرة
محمد بن تومرت ضد الدولة المرابطية.

هذا الرجل من قبيلة هَرْغة إحدى بطون
فون « بايسرغينن » وهم الشرفاء فى لغة
جنوبى السوس الأقصى ، تسمى « بإيجلى
يخ مولده . وتضعه الرواية فيما بين سنتى
ثير إنه توفى فى سنة ٥٢٤ ه عن إحدى
مما يجعل تاريخ مولده فى سنة ٤٦٩ ه ،
مولده فى العاشر من محرم سنة ٤٨٥ ه ،
يد فى سنة ٤٩١ ه، ويضعه الغرناطى فى سنة
ولد ابن تومرت[٣] . واما عن نسبته فإنه
ق عليه أنه أبو عبد الله محمد بن عبد الله ،
ه رجلا فقيراً ، وأمه من قوم يعرفون
رس ، وبنو يوسف هم أخواله ، ومولده

ة التى عثرنا بها) .
٦ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ .
كشي فى تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (تونس
٢ ، وابن خلكان ج ٢ ص ٥٢ .

ثم فإننا نجد إلى جانب نسبة ابن تومرت
ن آل البيت. أما نسبته البربرية فهى أنه
ن سفيون بن أنكليدس بن خالد. أو أنه
بن حمزة بن عيسى. وهذه النسبة الثانية
البيت على النحو الآتى : ابن عبيد الله
بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله[3].
عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد
جابر بن يحى بن عطاه بن رباح بن ياسر
أبى طالب. ويؤيد هذه النسبة ابن رشيق
القطان، وابن صاحب الصلاة، مؤرخا

السابق ذكره لوحة ١٤ ب).
تداء دولة الموحدين » لابى بكر الصنهاجى المكنى
باريس سنة ١٩٢٨) ص ٣٠، وقد قرنت به

ياسة فى الدولة المرابطية » ج ٢ رقم ٤

نشأة ابن تومَرت وحداثته . وكل ما يقال
دة ، وشب قارئاً محباً للعلم ، وكان يسمى
كثْرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد التى
حياته منذ سنة ٥٠٠ﻫ (١١٠٦م)، ففى تلك
ما ينقل إلينا ابن القطان ، عن الشيخ يحي
ى ــ غادر ابن تومرت وطنه بالسوس فى
، ودرس فى قرطبة حيناً ، ثم جاز من ثغر
لى المهدية ، وأخذ بها على الإمام المازرى؛
على الإمام أبى بكر الطرطوشى ، وقضى

ون ج ٦ ص ٢٢٥ و٢٢٦ ، والزركشى ص ١ .

مخطوط السابق ذكره لوحة ١٢ ا) .

قد استطاع أن يلتقى بالغزالى فى بغداد أوغيرها
ثم إنه ليس من المحتمل أن يكون هذا اللقاء
ذلك أنه لم يمكث بها سوي فترة يسيرة ، ثم
س فيها استجابة لدعوة السلطان ملك شاه ،
طوس ، وانقطع بها للعبادة والتأليف حتى
يسمبر سنة ١١١٢ م) .

صة اللقاء بين ابن تومرت والإمام الغزالى
فإنه يوجد دليل مادى آخر على بطلان هذه
واقعة أخرى خلاصتها ان ابن تومرت حينما
من إحراق المرابطين لكتابه « إحياء علوم
جهه ، ورفع يده إلى الدعاء ، والطلبة
ا مزقوه ، وأذهب دولتهم كما أحرقوه » ،

حلل الموشية ص ٧٥ ، والزركشى ص ١ ، والمعجب

٧ ، والمعجب ص ٩٩ ، وروض القرطاس ص ١١٠
.

حين رؤيته لابن تومرت ، شهد من
لآثار ، ما يدل على أمره ومستقبله ،
ى من دولة ، أما إنه يثور بالمغرب
ويتسع ملكه ، فإن ذلك ظاهر عليه
الرواية على ذلك ؛ أن بعض الصحب
ذلك عند الشيخ فى كتاب ، فلم يزل
إليه ، حتى اطلع على الأخبار التى
بل إلى المغرب ليتابع قدره ، ويبحث

ع بين الغزالى وابن تومرت عند هذا
كتاب منسوب للغزالى عنوانه « سر
ن أقصر « السر المكنون » وقد جاء فى

المغرب (الأوراق المخطوطة السابق ذكرها —

لى سحق الدولة القائمة»(٥) .

ت لم يتأثر فى تعاليمه الدينية بآراء الغزالى
، قد تأثر خلال دراسته بالمشرق
ول والسنة . ويقول لنا ابن خلدون،
، واستحسن طريقتهم فى الانتصار
لمتشابه من القرآن والحديث(٦) ،وهى

نسية لكتاب«أعز ما يطلب»الآتى ذكره (ص١٩)
ية من هذا الكتاب (رقم ١٨٠ و ٢٠٤ مجاميع) .

طيب فى الإحاطة فى (القاهرة ١٩٥٦) فى ترجمة
. ٤١٨

A. Müller : Der Islam in Morgen und

I.) لكتاب محمد بن تومرت (أعز ما يطلب)
Le Livre de Mohamad ibn Toumert

حوته مرحلة بعيدة المدى ، حتى غدا على
العلم ، وشهابا واريا من الدين » . وركب
أواخر سنة ٥١١ هـ (١١١٧م) ، ويقال
ا ترتب من شغب على نشاطه في مطاردة
ل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،
لزم ركابها بإقامة الصلاة وقراءة القرآن ،
السفينة ألقوه إلى البحر ، فلبث أكثر من
يصيبه شيء ، فلما رأوا ذلك أنزلوا إليه
سهم ، وبالغوا في إكرامه[٢] . ولما وصل
ها ، وليس معه سوى ركوة ماء وعصا ،
أون عليه مختلف العلوم ، وكان إذا شاهد
الخمر ، بادر إلى إزالته و كسرها ، وأصابه

محمد بن تومرت السابقة الذكر ص ٢٠ .
ط السابق ذكره لوحة ١٥ ب) ، والمعجب ص ٩٩

ـبب لهذا الفرج لتولى الفقيه السوسى ،
ـان بالمشرق . فأمر بجمع الطلبة لمناظرته ،
ـب ، واستدعى ابن تومرت للحضور ،
ـول ، فلاطفه وتضرع إليه حتى قبل
أجابهم عن كل ما سألوا ؛ وسألهم فما
إليه ابن فلفول عندئذ بأن يترك ماهو
ـنكر[٢] . وخشى ابن تومرت العاقبة ،
ـلالة ، ونزل فى كنف أصحابها وهم من
ـب إليهم وإلى بجاية تسليمه إليه، فأبوا ،
ا فرغ بجلس على صخرة بقارعة الطريق
ه كهل وفتى حسن التكوين ، رائع
ى عبد المؤمن بن على بن علْوى ،
ـحاب المهدى ، وأعظم قادته ، وخليفة

ـخلكان ج ٢ ص ٤٩ .
ـ ذكره لوحة ١٦ ب و١٧ ا) .

رجل يظهر بالمغرب الأقصى ، من ذرية
مركزه ، يكون على يد رجل من أصحابه ،
بته المائة الخامسة ، وأنه ، أى ابن تومرت ،
فلما رأى عبد المؤمن وسمع اسمه « أدرك
ن ابن تومرت التقى بعبد المؤمن بموضع
عبد المؤمن كان عندئذ يشتغل بتعليم صبيان
إلى جانب ابن تومرت ، وانقطع إليه
ثم غادرا ملالة معا ، وذهبا إلى وانشريش ،
غة ، أى قبيلة ابن تومرت ، هو أبو محمد
بعد ذلك إلى تلمسان ، وقد تسامع الناس
ا ، وهو ابن صاحب الصلاة ، وأنبه على
وطلب إليه العدول عن دعوته ، فأعرض

السالف الذكر لوحة ٣ ب) .
ب ص ١٠٠ .

والمعتزلة والخوارج والزيدية ، إلى أن سل
المنكر واجب ، إذا لم يمكن دفع المنكر إلا
مكنهم الدفع ، ولا ييئسون من الظفر ، ففرض
جون لقلتهم وضعفهم بظفر ، كانوا فى سعة
على ذلك ، أنه يجب إن وقع شىء من الجور
منه ، فإن امتنع وراجع الحق وأذعن للقود
حد الزنا والقذف والخمر ، فلا سبيل إلى
فان امتنع من إنفاذ شىء من هذه الواجبات
يره ممن يقوم بالحق لقوله تعالى : « وتعاونوا
ثم والعدوان »(٢) .

على تلك الفكرة ، ويصف الأمر بالمعروف

، وابن خلدون ج ٦ ص ٢٢٧ .
لاهواء والنحل » (القاهرة ١٣٢١ ه) ج ٤ ص ١٧١

ها ، وهو يبدأ بنقد الأسرة الحاكمة ،
ع . فإذا نجح ذلك ، تم الوصول إلى

ثورات أسر فى المشرق ، وكذلك فى
صبة لأولئك الذين يريدون إقامة صرح
ه ثمة حركة ، لا فى أوائلها ، ولا فى
رة التى أدت فى أعوام قلائل، إلى طرد
بة القوية فى اسبانيا وشمال إفريقية » .
ة عامة أن ابن تومرت لم يتأثر بتعاليم
ابن تومرت ربما تأثر فى نظرية الأمر
ى ، لأنه يعلق على هذه النظرية أهمية
لأعظم للدين »[1] .

ابن تومرت » أو أعز ما يطلب : Mohamed
Ibn Toumert et la Théologie de l'
85-87 &95 - 96

د وشرير وقاطع سبيل، وصاحب خمر
ايد تغافله ، ويقوى ضعفه »[٢] .

لأنظار لابن تومرت ولدعوته . وذلك
، موكبها ، ومعها عدد من الجوارى
لمرابطين ، من سفور النساء ، واتخاذ
كب ، فأنكر على النساء سفورهن ،
أصحابه دوابهن ، فسقطت الأميرة عن
فع الأمر إلى أمير المسلمين على بن
عية المضطرم . وكانت المعلومات التى
ث العهد بالوصول إلى مراكش ،وأنه
مبت . وكان على بن يوسف قد أمر
، وعن أحواله ومطلبه ، فإن كانت له

ن تومرت السالفة الذكر ص ٩٧ .

وا ... إن كان الكلام قديم أم ... ؟ فلم
جواب أن يكون مطابقاً للسوءال ، فلم يفهم
ثم سألهم المهدي عن أصول الحق والباطل
، فلما رأى المهدى عجزهم عن فهم السوءال ،
هم أصول الحق والباطل ، فقال إنها أربعة
ثم أخذ يشرح ماهية كل منها فى كلام طويل ،
المهدي مفصلة عن « الجهل » و« الشك » ،
ة » ويقسمها إلى أقسام عديدة ، وكل قسم
ن حضر ذلك المجلس من الفقهاء المرابطين ،
بعلم الأصول . ونقول بهذه المناسبة إن علم
اسة الشريعة واشتقاقها من الكتاب والسنة ،
العقلية ، وتفاصيل العقائد ، وأصول الفقه

السالفة الذكر .

طلب (الجزائر سنة ١٩٠٣) ص ١ – ٥ و ١١ –١٨.

ـبر الإجتهاد مرجعاً من مراجع الشريعة[١] .
ع أن يقدر براعة ابن تومرت ، وتبحره
ر مالك بن وهيب قاضي مراكش ، وقد
متمكناً من علوم الدين والفلسفة ، ولكنه
ن ذلك الزمان[٣] . فبين لأمير المسلمين
وتعاليمه ، وقال له إن هذا رجل ،لايبغى
كنه يبغى تضليل العامة ، وإثارة الفتنة ،
قتله ، وأشار البعض الآخر على أمير
بر عن ذلك أحدهم بقوله للأمير : « ألقه
لتهم فى ذلك الوزير ينتان بن عمر ، وقال

ة الذكر لكتاب محمد بن تومرت ص ٣٩ و ٤٠ .
كشى إن مالك بن وهيب هذا ، قد وضع كتاباً فريداً
ضمنه لئام العرب فى الجاهلية والإسلام ، وأنه رأى

على بن يوسف وخلع طاعته عن أعناق
كانه حينما بلغه أن القوم يضمرون اعتقاله
ن استمر فيها على طريقته من مطاردة
سلاته ودعايته مسجداً خارج أغمات ؛
. فعندئذ قصد ابن تومرت وصحبه إلى
ذهب أولا إلى مسفيوة ، ثم إلى هنتاتة ، ثم
ن المحلات البربرية ، وهو يتوقف أوقاتا
لصحب والأتباع . وقد فصل لنا أبو بكر
رحلته منذ خروجه من أغمات ، ومسيره

الفة الذكر) ، وروض القرطاس ص ١١٢ ،
١٠ ص ٢٠٢ ، والمعجب ص ١٠٢ و ١٠٣ ،
. ٦٩
الجان المخطوط لوحة ١٠ ب) .
صحاب المهدى فى كتابه « أخبار المهدى ابن تومرت »
. (١١٣ ن
شار إليها ، وابن خلدون ج ٦ ص ٢٢٧ .

ضى لما يشاء ، لا راد لأمره ، ولا معقب
ول الله ، المبشر بالإمام المهدى ، الذى يملأ
اً وظلما ، يبعثه الله إذا نُسخ الحق بالباطل
قصى منبته وزمانه آخر الزمان ، واسمه اسم
سب النبى صلى الله تعالى وملائكته الكرام
لأمراء ، وامتلأت الأرض بالفساد ، وهذا
النسب ، والفعل الفعل » .

حروب وارفة ، هرع إلى المهدى عشرة من
المهدى المنتظر والإمام المعصوم ، وهؤلاء
تلميذه وألصق الناس عبد المؤمن بن على ،

السابق ذكره لوحة ۲۳ ا) .

۱۱) ، ويؤيدها ابن خلدون ، (ج ٦ ص ۲۲۸) ،
يقول ابن عذارى إنها كانت فى سنة ٥١٨هـ (الأوراق

وحة ۲۳ ا) . الحلل الموشية ص ۷۸ .

بقة الثامنة تتكون من أهل تينملل ،
قة العاشرة من أهل جنفيسة ، والطبقة
ة عشرة تتكون من الجند ، والثالثة
لان إن الطبقة الثانية عشرة كانت تتكون
د . ويضيف إلى ذلك طبقة أخرى ،
ن » ، وهم الأحداث الصغار الأميون .
م هذه الطبقات ورتبها ، وجعل لكل
سواء فى السفر أو الحضر ، وشرع القتل
عن الحضور أدب ، فإن تمادى قتل ،

طاس ص ١١٣ . ويذكر لنا ابن القطان اسمين ،
بد الله محمد بن سليمان مكان أبى محمد عبد الواحد
٢ ب) . ويورد أبو بكر الصنهاجى فى كتابه أخبار
سمن العشرة الأوائل (ص ٧٣) . وكذلك يذكر

اب أخبار المهدى ابن تومرت أسماء « أهل خمسين »

جدهم قوماً جهلة لا يعرفون شيئاً من
لهم بالبربرية كتباً أخرى فى العقيدة
بالأمانة » ، ودونها كذلك بالعربية ،
ن اللغتين العربية والبربرية . ثم وضع
لإمامة الذى رواه عنه تلميذه وخليفته
أعز ما يطلب» وهى عبارة أصبحت
دث فى فصل خاص عن محتويات هذا
والسياسية بصفة عامة .

ه ، ويعمل على توطيدها فى نفوس
ظه ، وأعوانه من المخلصين القادرين
متة ومهديته ، والناس يفدون عليه
الإمامة ، ويتبركون برؤيته ، حتى

الذكر ص لوحة ١٠ ا و ب) .

٣٤ ا) . وروض القرطاس ص ١١٤ .
ج ٦ ص ٢٢٦ .

أقول ، وأنا محمد بن عبد الله بن تومرت ،
ده أيضاً ما تردده تراجمه المختلفة من قصة لقائه
الى ، حينما وقف منه على ما فعل المرابطون
، وزوال ملكهم ، وأن يكون ذلك على
تردده هذه التراجم أيضاً من أن ابن تومرت ،
م السرية على ماورد فيها بشأن قدره ومصيره ،
اهد الخاصة التى يتميز بها المهدى المنتظر ،
(٢)

وط السالف ذكره لوحة ١٤ ا) .
. وراجع أيضاً جولدسيهر فى مقدمته الفرنسية لكتاب
. ٩٩

ولموحدين ...
المراكش . اجتماع الحشود المرابطية من سائر الأنحاء .
رة . هزيمة الموحدين وتمزيق قواتهم . مصرع قائدهم
وله ، وفتك القوات المرابطية بها . ارتداد الموحدين
وحدى . الخلاف حول تاريخ معركة البحيرة . مرض
كه للدماء . خداعه واستغلاله لسذاجة الجماهير . تصدى
دعوته . بواعث هذا الدفاع ، وما يتسم به من سقم
السلطان . حكومة المهدى التيوقراطية . الإتفاق على
قبر المهدى فى تينملل .

— ١

رت أوالمهدى حسبما نسميه منذ الآن ، كان
اره وجموعه ، يتأهب لمحاربة المرابطين .
ن » بالفعل مذ تمت بيعته وتسمى بالمهدى ،
بعد أن رتبهم المهدى ، وجعل لكل عشرة
ظم الجيوش الموحدية وفق منهاج جديد ،
، كانت من أهم أسباب ظفرها .
طر أمير المسلمين على بن يوسف أن يعبر

سامدة ، وحصن فيه مع أنصاره ، وكان
أن يسلكه سوى فارس واحد ، وتصعب
رابطون نزلوا فى شرقى الجبل بمكان
. مجلساً لأصحابه ووعظهم ، وقال لهم :
ما جاءوا به من خيل وعدة ، إنما هو
فقركم ، فأعطاكم وأغناكم . ثم جهز
نتاتة وتينملل ، وزوده بالأعلام البيض ،
أحد أصحابه العشرة ، فنزل الموحدون
يشين حتى هزم المرابطون وركنوا إلى
من الخيل والسلاح ، وطاردوهم حتى
ى لجيوش المهدى ، فى شهر شعبان سنة

مر المهدى ، وتضاعف صيته ، وتضخم

السالف ذكره لوحة ٣٧ ا) ، والحلل الموشية
خلدون ج ٦ ص ٢٢٨ .

المعنوية ، التى أذكاها الظفر ، ندًّا قوياً
وتحطيم دولتهم ، وأنه لن يمضى سوى
لته الموحدية الجديدة على أنقاض دولتهم.
بائى ، أن وجه المهدى إلى المرابطين ،
م فيها بسحقهم إذا لم يستجيبوا . وإليك
ب الحلل الموشية : « إلى القوم الذين
، الفئة الباغية ، والشرذمة الطاغية ،
به أنفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم
نة لمن اتقى ، والعذاب لمن عصى ، وقد
ة ، فإن أديتموها كنتم فى عافية ،وإلا
ركم ، ونكدر دياركم ، ويرجع العامر
م إعذار وإنذار ، وقد أعذر من أنذر ،
الرضى »(1) .

ه شغل فى نفس الوقت بمحاربة القبائل
ل هسكورة ، ورَجراجة ، وهزرجة ،
، وكان بعض هذه القبائل مثل هزرجة
دى يشتد فى قتالهم ويرغمهم على الطاعة
القبائل الخارجة ، من المصامدة ومن
جبال دَرَن ، فاحتوى على سائر بلادها
جنفيسة ، ثم جاز إلى تادرارت حيث وقعت
حدون وقتلوا أهلها قتلا ذريعاً . وأنفق
ة زهاء ثلاثة أعوام ، من سنة ٥١٦ إلى
ذلك استطاع أن يبسط سلطانه المطلق على

تبل إجليز بعد أن أقام فيه ثلاثة أعوام ،

٧٤ – ٧٨ ، وابن القطان فى نظم الجمان (المخطوط

القرطاس ص ١١٥ ، والزركشى ص ٤ .

المغـــرب
البلاد ومنازل القبائل
عند بداية الدولة الموحدية

قبـائل لمطـة

الصحـ

شريعة في خارجها ، ويجلس على حجر
فلاحظ أن قبيلة هزميرة يحضرون دائماً
كون سلاحكم ، وإخوانكم الموحدون
. وكان المهدى قد توجس من كثرتهم
ات يوم إلى سماع الوعظ دون سلاح .
تهم ، فانقضوا عليهم ، وأوسعوهم قتلا ،
ع نحو خمسة عشر ألف ، وسبيت نساؤهم ،
الموحدين . ثم ابتنى المهدى سوراً حول
شف ما وراءه . وأخذ يبعث بقواته إلى
أو هزميرة فيغيرون عليها ، ويقتلون

ر نا ابن القطان في سنة ٥١٨هـ[٢] (١١٢٤م)

أن أزور بلدة تينملل ، وأن أتأمل موقعها الحصين
حتوى على مساكن قليلة وأمامها مسجد المهدى وهو
حجار ، قيل لنا إنه قبر المهدى .
خطوط السابق ذكره لوحة ٤٦ ب و٤٧ ا و ب).

أحد ، وكان إذا اجتمع منهم كثير قتلهم
باه والأخ أخاه ، ولم تقل لنا الرواية ،
هذا التميز ، ولكن المفروض أنه انتهى
لوحدين[2] .

كر من أصحاب المهدى العشرة ، قصة
أخبار سنة ٥١٩ هـ ، وهى التى وقع فيها
يتظاهر بالبله ، ويلتزم الصمت والعزلة ،
م خرج المهدى إلى الناس ، وقال لهم ،
لهم هو الونشريشى ، وأنتم تعلمون أنه
ثبت على آية ، ولكن الله قد جعله مبشراً
ت الله تعالى فى هذا الأمر . وكان المهدى

٧٧ ، وراجع كتاب ابن تومرت مهدى الموحدين

وحة ٥٠ ا) ، ونقل هذه الرواية ابن عذارى
٨٢) ، وابن خلدون ج ٦ ص ٢٢٨ .

ن أغمات ، فبعث على بن يوسف لردهم
الأمير أبى الطاهر تميم ، فالتقى الجمعان
مة على المرابطين ، وجد الموحدون فى
، فلقيتهم هناك قوات مرابطية جديدة
ل بقيادة يطى اللمتونى ، وجموع غفيرة
ون مرة أخرى ، ووصل الموحدون فى
قائدهم البشير بقواته عائداً إلى الجبل ،
ن الصاعدة التى ينزل منها الموحدون من
ولهم ، ويتقى حرب المفاجأة التى درجوا
تضاها المهدى بجبل إيجليز قدعهد بحراسة
مغامر وقاطع طريق من أهل إشبيلية ،
الأمير ، فقام بمهمته خير قيام ، وأقام

سالف الذكر لوحة ٤٩ ا و ب) .

السالف الذكر) وابن عذارى فى البيان المغرب
خلدون ج ٦ ص ٢٢٨ .

بعين ألف مقاتل ، منهم أربعمائة فارس
ى على هذا الجيش أبا محمد البشير أعظم
، عبد المؤمن إمام الصلاة ، ولم يصحب
ضه . ونزل الموحدون من سفوح الجبال

.

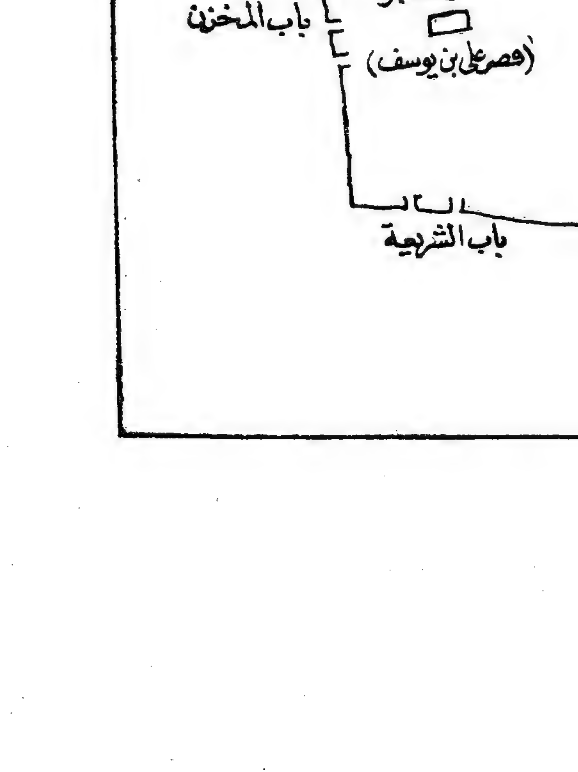
، تاريخ هذا الزحف الموحدى على العاصمة
ا من حيث التاريخ فإن اليسع يضع تاريخ
ه ولكن ابن القطان يعارضه ، ويقول إنه
هدى ، وأن هذا هو قول سائر المؤرخين .
، المعارك الأولى التى وقعت قبيل نشوب
ول إن معركة وقعت بين الموحدين وبين
هزم فيها المرابطون ، واستولى الموحدون
كة ثانية ، وكان المرابطون فى جيش ضخم

سالف ذكره) .

ذره عاقبة مفارقة الجماعة ، ويذكره الله
نفت عبد المؤمن لتحذيره ، ونشبت بين
ن ، وقتلت منهم جموع غفيرة ، وهرعت
الأبواب فى الدخول ، ومات منها فى
ى داخل المدينة من باب المخزن ، وأغلقت
ربوا حولها الحصار .

زهاء أربعين يوما . وكان ما يزال بداخل
ومنها زهاء أربعين ألف فارس ، وأعداد
رجون من وقت لآخر لقتال الموحدين ،
ك طاحنة ، يفنى فيها الكثير من الجانبين ،
، معركة هزم فيها المرابطون قبالة باب
م الهائل ، الذى وقع عند دخولهم من هذا

لسابق ذكره) .
. ١



باب المخزن
(قصر علي بن يوسف)
باب الشريعة

لحصار . وبدأ القتال بمعركة محلية نشبت
انى ، وبين قوة من الموحدين ، فهزم
وكان لهذا النصر أثره فى إذكاء روح
حدين ليسوا من المنعة كما بدوا فى المعارك
ية ، قاتل فيها الموحدون بشجاعة فائقة ،
ت تحدوهم عندئذ ، روح مضطرمة من
ة رائعة ، حتى رجحت كفتهم وأصيب
ع غفيرة يقدرها ابن القطان بأربعين ألفاً ،
ائة بين فارس وراجل[3] ، بل قيل بأن
تبق منه سوى فلول يسيرة[4] ، وسقط

اق المخطوطة السالفة الذكر هسبيرس ص ٨٨) .

سالف الذكر لوحة ١٥٠ ا) . وراجع ابن عذارى

ول عبد الملك بن صاحب الصلاة مؤرخ الموحدين

ن جمادى الأولى سنة ٥٣٤ هـ (١١ أبريل

ريضاً ، فلما وقف على أخبار النكبة التى
ى الحياة » ، ولما أجيب بالإيجاب ، قال
و بكر الصنهاجى إنه هوالذى تولى إبلاغ
عبارات المهدى بألفاظها[٢] .

حق على الموحدين ، بعد أن منوا قبل ذلك
ابن صاحب الصلاة أن هزائم المرابطين
ة ، وأن المهدى اشترك فى أربع من هذه
حدين فى موقعة البحيرة « قتلوا أجمعين ،
من مؤرخ الموحدين ، يدلنا على فداحة
ك الموقعة الماثلة . ولكن سوف نرى أن
ن قدرهم المحتوم ، وأن ماوضعه المهدى

. ٢٨

. ٧٩

قوع الهزيمة ، ولم يعش طويلا أو لم يعش
على ذلك من أن الموحدين يسمون العام
ه بعام البحيرة[٧] . ويصف لنا أبوبكر
صرفات المهدى الأخيرة ، فيقول لنا إنه
وعظ الناس حتى أضحى النهار ، ثم دخل
س ، وقال للناس إننى مسافر عنكم سفراً
ثم دخل داره ، ولم يره أحد بعد ذلك .

الجمان لابن القطان (المخطوط السابق ذكره لوحة
١ ، والحلل الموشية ص ٨٤ – ٨٦ ، وابن خلدون
رت ص ٧٨ و ٧٩ ، والمعجب ص ١٠٧ .

س ٢٨ .

.
السالف الذكر لوحة ٤٢ ا) وابن خلكان ج ٢

محاجة قاطعة ، وذلاقة مؤثرة . وكان
ية معاً ؛ يستميل الجموع برائع بيانه
والسنة ومن الأصولين ، أصول الفقه
لورع ، لم يلبس قط سوى ثياب الصوف
الثياب المرقعة ، ولا يقبل على شيء من
نزل أخت له فى كل يوم ، رغيفاً بقليل
ا سما شأنه وأقبلت عليه الدنيا[٦] . وكان

وابن القطان فى نظم الجمان (المخطوط السالف

ذكره لوحة ٤٢ ا) ، والحلل الموشية ص ٨٦
حة ٣٣ ا) . ونقله ابن عذارى فى البيان المغرب
.)

ظم الجمان المخطوط السابق ذكره لوحة ٤٥ ا) ،

فك دم عالم من الناس فى سبيل رأيه وبلوغ
فى دماء خصومه ، ويستحل سبى نسائهم
على هذا السفك المروع ، صفة الشرعية ،
كتاب والسنة ، أو لمبدأ التوحيد الذى اتخذه
ى صراعه مع خصومه أمثلة عديدة من هذا
ربما كان فيما ذكر عن المهدى من أنه «كان
عض عوامل هذه القسوة المروعة ، وهذا

المناسبة أن ابن تومرت كان يبث فى أذهان
محاربة المرابطين ، وأنه حينما كان فى بداية
النهى عن المنكر ، ويتبع ما يقضى به الدين
ذ اتشح بصفة المهدى ، أخذ يشهر الحرب ،

ط لوحة ١٤ ب و ١٣٣ ا) ، ونقله ابن خلدون ج ٦

صته فى العلم والفتيا وفى الدين بزعمهم ،
القول ، موطأ العقب ، نفسوا عليه ذلك ،
ويب لمدعياته ، وأيضاً فكانوا يؤنسون
تكن لهم من غيرهم ، لما كانوا عليه من
حملة العلم بدولتهم مكان من الوجاهة ؛
قدره فى قومه ، فأصبحوا بذلك شيعة لهم ،
ما جاء به من خلافهم ، والتثريب عليهم ،
اً لدولتهم . ثم يقول دفاعاً عن المهدى :
نقم من أحوالهم ، وخالف اجتهاده فقهاءهم ،
، فاقتلع الدولة من أصولها ، وجعل عاليها
وكة ، وأعز أنصاراً وحامية ، وتساقطت
خالفها ، قد بايعوه على الموت ، ووقوه
، باتلاف مهجهم فى إظهار تلك الدعوة ،

ة الذكر لكتاب « أعز ما يطلب » ص ١٠٠ .
.

. بواعث خاصة ؛ أولا أن بنى خلدون
دلس فى أوائل القرن السابع الهجرى —
ى حفص ملوك الدولة الحفصية الموحدية
د الواحد بن أبى حفص عمر الموحدى ؛
النفوذ والثقة ، وبدأ هو حياته العامة فى
لزمن ، وأهدى أول نسخة من مقدمته
سنة ٧٨٤هـ) ، فلم يكن من المعقول أن
مامة المهدى ودعوته ، وهى التى كانت
ليس من المنطق السليم ، أن يكون نجاح
عليه من قيام الدولة الموحدية، دليلا على
والعسكرى لداعية أو متغلب لم يكن قط
وة دينية ، وثالثاً أن إنكار صدق دعوة
فقهاء المرابطين ، الذين يعلل ابن خلدون
صدورهم من حقد على رجل يتفوق عليهم

ص ٢٢ .

قيام الدولة الفاطمية المترامية الأطراف ،
عاما ، كل ذلك لا يمكن أن يتم لمدعى[٢] .
ظرية واضحة الضعف والسقم ، إذ كان
ة ، على صحة نسب الفاطميين لآل البيت ،
هذه النسبة .

نصف الأول من القرن الثامن الهجرى هو
الأول وترتيب الدول » مثّل ابن تومرت
زهاد ، والمغالطين باسم الزهد ، والدعاة
ك ، وإثارة الجماهير ، وخطر تركهم ،
هذه الطائفة ، وتميز محققهم من مبطلهم ،
أصناف من أهل الغلط فى طريق الزهد
غلب عليهم محبة الرياسة والإمرة ، ويتفق
أتباعهم» ، وأن ذلك مما يحملهم على الطعن

.

للمهدى رجال مشورته ، ومنهم أبو...
يغ بن ياموهل بن ياوجان ، وأبو دايور
طران بن ماغليفة ، وأبو محمد سكانة ،
ل هنتاتة[٢] .

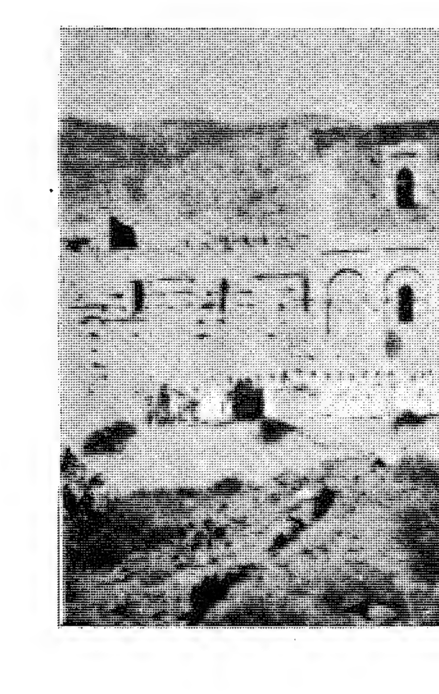
ص كتب على أحد وجهيه ، « الواحد الله .
كتب على الوجه الثانى « وما من إله إلا الله.
ن لله »[٣]

ى ، حسبما تصفه الرواية ، رجلا ربعة
مة ، أسمر مشوب بحمرة ، غائر العينين ،
ن ، له شامة سوداء فى كفه الأيمن[٤] .

» المنشور على هامش تاريخ الخلفاء للسيوطى (القاهرة

فى نظم الجمان (المخطوط السالف ذكره لوحة ١٠ ب

لوحة ٤٣ ب) .
لوحة ١٤ ب) ، وكذلك ابن خلكان ج ٢ ص



سفح الجبل ، وهو اليوم طلل دارس
عوده مازالت قائمة ، وله محراب جميل .
ذلك الرواية التاريخية .
متراً من المسجد ، بقعة صغيرة تظللها
فهذه البقعة تعينها الرواية المتواترة ، وهى
حية منذ أجيال ، بأنها تضم رفات المهدى
وجود قبر بها ، ولاتميزها سوى بضعة
ها شواهد القبر . وربما كانت هذه الرواية
ما يقول لنا ابن خلكان ، من أن المهدى
ور يزار »[٣] . وعلى أى حال فإن المتفق
ر بتينملل مبعث دعوته ، ومهد دولته ،
قريبة منه .

السابق ذكره) ، وروض القرطاس ص ١١٩ ،

والطهارة والغلول . تحريم الخمر . كتاب الجهاد
المهدى ومحتوياته . انتشار كتب المهدى بين البربر
بالبربرية .

راع المرير ، الذى اضطرم بين المرابطين
المهدى وآرائه ومبادئه الدينية والسياسية .

راث المهدى ، الفكرى والدينى ، ما يلقى
اتخذها سنداً لدعوته الدينية ، والتى جعل
بالعقيدة الموحدية .

الدينى فى كتابين ، أولهما يضم مبادئه ،
وفى التوحيد والعلم ، وهو أهم الكتابين ،
لاستهلاله بتلك العبارة ، والثانى كتاب
وقد وضعه المهدى فى العبادات والمعاملات
روع ، على مثل موطأ الإمام مالك .

ل نسخته المخطوطة بأنه « سفر فيه جميع

لتى أضحى مستهلها عنواناً لكتابه وهى :
، وأنفس ما يدخر ، وأحسن ما يعمل ،
ى خير ، هو أعز المطالب ، وأفضل
لأعمال » .

كتاب جزالته ، فالمهدى رغم أصوله
وب قوى ، وبيان عربى متين ، ولكنه
، يكثر من ذلك فى كل باب وفصل ،
التى يحدثنا فيها عن فضل العلم وطرقه ،
من التصنيف والتقسيم المستمر لعناصر

فتح ما انغلق ، وكشف ما التبس ،
ص على الزيادة ، والرغبة إلى الله فى

ل والشك والظن ، وهو يفيض فى شرح
عن كل أصل من الأصول الأربعة ،
من أصول الضلال ، ويدلل على أقواله
التحدث عن التواتر والأخبار المتواترة
يدة متفرعة ، ويشرح دور الأصل والفرع
ام والفروع . وهو يعتبر « التواتر » علما
ر الذى يؤديه كمصدر من مصادر العلم ،
ت بالآحاد . وهو يرى أن أفضل التواتر
سلام والشرائع والرسول والصحابة ،
أهل المدينة حجة على غيرهم »[٢] ،
ول والصحابة ، من أقول وأعمال .

لاة » وعن معناها ، وبيان فضلها ،
وذلك فى حديث طويل جداً ، يتخلله

تومرت (الجزائر سنة ١٩٠٣) ص ٢ ، ٣ .
ص ٤٩ .

وجعلوا أقيسة فى الشرع عدولا منهم عن
ن أصول الشريعة تنحصر فى عشرة وهى :
خبره بمعنى النهى ، وأمر الرسول ونهيه ،
وفعله، وإقراره » . وتنحصر الفروع فى
ظور والمكروه والمباح » . وهو لا يخص
من أصول الشريعة ، ولكنه يقول إنهما
س فى شرح ذلك على طريقته من تصنيف
ومما هو جدير بالذكر أنه يعتبر « قياس
م فى نظره المرابطون ، ويعتبره من ضروب
فى موضع آخر ، فيقول إنه « لا فرق بين
حقق معناه ، فإن القياس العقلى هو المساواة
رعى هو المساواة فى الوجوب أو التحليل

طلب ص ٦٣ – ١٦٣ .
طلب ص ١٦٣ .
.

د فى استقاء الأحكام على القرآن والسنة دون
حزم القرطبي ، يرى فوق ذلك أن يطبق
أنه يجب أن يؤخذ بمعنى الكلمة المكتوبة
ومن الغريب أن الظاهرية لم تنتظم فى ظل
ى بنحو ستين عاماً فى عصر الخليفة يعقوب
بأن الظاهرية هى المدرسة الفقهية الرسمية .
فقت فى حل كثير من المسائل[٣] .

كمصدر من مصادر الشريعة ، ومعارضته
الاستنباط فى مجال الاجتهاد ، من الأمور
الإمام المعصوم » الذى لا تبحث آراؤه ،
سهر أن ابن تومرت يخالف بهذه النظرية
المجتهدين فى الإمامة وغيرها ، ويفرض

، ١٧٤ .

الإسلامية (مقال الظاهرية ، وابن حزم) .

بن تومرت قد تأثر بتعاليم الغزالى سواء
اسة كتبه ونظرياته . وإليك ما يقوله لنا
ن من قراءة كتب الغزالى أن ابن تومرت
عاليم الغزالى ، بل هناك ما هو أكبر ،
ت نحو مسائل العقيدة ، يدل على أنه لم
يقة « الأستاذ » الرفيقة الموفقة ، وميوله
ن أبعد مما نجده فى تصرفات الثورى
مدة أطول ليتتبع حياة ابن تومرت ،
صدر فتواه بنقض عمل تلميذه المزعوم ،
ذلك التقديم المغصوب « للتأويل » بين
.

ن الفصل و النحل لابن حزم «القاهرة» ج ١ ص ١٩٥ .
١٢ ص ١٩) . وراجع مقدمة العلامة جرلدسيهر
Mohamed ibn Toumert et la Théol
l'Islam dans le Mag
ذكر ص ٨٣ .

وحدانية الله ، ولكن غدا معناها الخضوع
ك بما ذكره ابن صاحب الصلاة فى تاريخه
ى همشك لحكومة الموحدين فى سنة ٥٦٤ هـ
يد ابن همشك » ، والتعبير عن رغبته فى
[٢] ويقدم إلينا ابن تومرت بعد ذلك صيغة
اعه ، وهى صيغ تردد مضمون عبارات
جيال[٣] .

ومرت ، هو كلامه عن الإمامة وعن الإمام
عن قيام الطائفة التى تقوم فى آخر الزمان
هذا الفصل لب الكتاب ، ولب مذهب

I. Goldziher : Materialien zur Kentnis
(Z. der Mog. Gesellsch. 1887). p. 70.
ستضعفين » (مخطوط أكسفورد السالف الذكر ،

— ٢٤٤ ، وقد نقلنا بعضها فى باب الوثائق فى

طل ، لأن الباطل لا يهدم الباطل ، وأن
ل لا يهدم الضلال .. وأن يكون معصوماً
نه ، وأن يكون معصوماً من البدع ، لأن
يكون معصوماً من العمل بالجهل ، لأن
صوماً من الباطل لأن المبطل ، لا يهدم
كما لا تدفع الظلمة بالظلمة ، كذلك لا يدفع
ل ، وإنما يدفع بضده الذى هو الحق ،
ة إلا بالنور ، ولا يدفع الضلال إلا بالهدى ،
لعصية إلا بالطاعة ، ولا يدفع الاختلاف
سناد الأمور إلى أولى الأمر » وهو الإمام
ابن تومرت فيؤكد أهمية الإمامة كركن
عتقادها والخضوع لها فى قوله :
على الإطلاق فى سائر الأزمان ، وهو دين
يم وما قبله ، فاعتقادها دين ، والعمل بها

ى ذاته . وهنالك طائفة من « الأحاديث»
طائفة من الأقوال المأثورة تنسب لجماعة
ديث والأقوال ، موضع كثير من الجدل
الشيعة الذين استغلوا هذه الأسطورة على
قيق السلطان السياسى . وخلاصة هذه
الزمان من ظهور رجل من آل البيت ،
ن، ويعيد مجد الإسلام ودولته ، ويسمى
وهى أن المهدى يخرج فى آخر الزمان
. وقد كان قيام الدولة الفاطمية الشيعية
ع الهجرى ، أعظم وأروع استغلال لهذه
وب المهدى المنتظر — هو الذى اعتزم
ج به أمامته وسلطانه السياسى . ومن ثم
ة . وكونها ركن الدين الركين ، يعرض

. ٢٥٤

، ويظهر العلم من معادنه ، ويشرق نوره
كما ملئت قبله جوراً ، بوعد ربه كما وعد ،
هدى ، وعد الحق الذى لايخلفه »[1] .

ى يده شئون العالم ، من الفساد الشامل ،
مل ، « لاند له فى الورى » ولن يجد « من
، ولامن يضاده» ، ومن ثم فإنابن تومرت
المهدى ، والإيمان برسالته ، والإذعان
سورة مطلقة يعرضها لنا على النحو الآتى :

طاعة له واجب ، واتباعه والاقتداء بأفعاله
اجب على الكافة ، والتسليم له واجب ،
ل ما قضى واجب ، والرجوع إلى علمه
لاستمساك بأمره حتم ، ورفع الأمور إليه

. ٢٥١ —

ن فصل قصير عن « القواعد التي بنى عليها
شتى ، ومما جاء فيه : « أن القيام بأمر الله
الكافة ، ولايجوز التمادى فيه ، وإن من
كلها ، وان التمادى على ذرة من الباطل،
ى لايجوز إيثاره عن الحق.، وان الدنيا
ق لا يجوز تلبيسه بالباطل، وأن العلم ارتفع ،
وأن الباطل عم ، وأن الهدى ارتفع ، وأن
لجور عم، وأن الرؤساء الجهال استولوا على
ا على الدنيا ، وأن الدجالين استولوا على
، بالعود إلى الكلام عن المهدى فى فقرة
ة ، وذلك على النحو الآتى :

، وان الحق لا يقوم به إلا المهدى ، وان
بدو والحضر ، وان العلم به ثابت فى كل

.

و ٢٥٤ .

خاصة يعرضها لنا فى قوله :

هر قبل مجيئهم من كادم ، ومنها ما ظهر
الهم وأفعالهم . فالذى ظهر منها قبل مجيئهم
هم العراة ، والثالثة أنهم العالة ، والرابعة
م جاهلون بأمر الله . والذى ظهر منها
فى آخر الزمان ، والثانية أنهم ملوك ،
ابعة أنهم يلدون مع الإماء ويستكثرون
لسادسة أنهم بكم ، يعنى أنهم صم عن
يقولون به ، ولايأمرون به ، وكل ذلك
عة أنهم ما هم أهلاللأمانة فى القيام بأمر الله.
إحداهن أنهم فى أيديهم سياط كأذناب
بونهم بها ، والثالثة أن نساءهم رؤوسهن
رهن فوق رؤوسهن حتى تكون شعورهن
عاريات ، والخامسة أنهن مائلات يعنى

م ، وصدقوهم على كذبهم ، وبيان أفعالهم
الاقتداء بهم ، والتشبه بهم ، وتكثير
بغضهم ومعاداتهم على باطلهم وظلمهم
الهم (٧) باب فى وجوب جهادهم على
تحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم
سنة ومنع الفرائض (٩) باب فى وجوب
تمادیهم على ما لايؤمرون به (١٠) باب
ى الأرض[٢].

الهوأحكامه بمختلف الأحاديث والآيات
خاص – وهو ينعتهم هنا بالمجسمين الكفار –
، فى تغطية الوجوه بالتلثيم والتنقيب ،
م التلثيم والتنقيب ، وتحريم ذلك ، والعن

. ٢٥٩
. ٢٦١
. ٢٦٦

بسبب ما أحدثوه من « المناكر والمغارم »
رنا إلى ماكان يسود العاصمة المرابطية ،
، أيام المرابطين ، من مظاهر الاستهتار
صف علناً فى الأسواق ، وغير ذلك من
دده المراكشى فى قوله مشيراً إلى على بن
ه كان ضعيفاً مستضعفاً ، ظهرت فى آخر
من استيلاء النساء على الأحوال واستبدادهن
ق ، ينتسب إلى امرأة قد جعلها ملجأ له ،
بالذكر أن أمثال هذه المناكر ، لم تلبث
ذهاب المهدى بفترة قصيرة . ومن ذلك أن

قصى للسلاوى ج ١ ص ٩٨ و ٩٩ ، وكذلك العلامة
Materialien zur Kentniss der Almohader

ه ، ان يؤيد كل اقواله ونبوءاته بطائفة

، تومرت ، عند الحديث عن العقيدة ،
نه . ويلاحظ العلامة جولدسيهر ، أن
ومعناها التعلق بفكرة الله وصفاته ، من
وحيد » فى تعريفهم لفكرة الله ، وهذا
المعتزلة : « واتفقوا على نفى رؤية الله
، عنه من كل وجه ، جهة ومكاناً وصورة
أثراً ، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة
.

هر فى ظل هذا التفسير لمعنى التوحيد ،

. ٢٧٠
، المنشور على هامش كتاب « الفصل » (القاهرة

طائفة من الآيات والأحاديث للشرح

—

ن المسائل الدينية الأخرى التى لاتتصل
لكنها تتضمن مع ذلك ، بعض وقائع
ث من قبل فى فصل خاص ، عن الصلاة
عن الطهارة ، وعن رفع العلم ، ورفع
ما سبق ذكره ، من الأحاديث المتعلقة
البقر ، والنساء الكاسيات العاريات ،
وهى التى يعدها بين علامات الملثمين
ل والتغيير بعد رسول الله » . وفى هذا
روى بشأنه من أحاديث ، تدل بأنه
اسم النبى ، وأنه يملأ الأرض عدلا

أعزما يطلب » التى سبق ذكرها ص ٥٦ و ٦١ .
. ٢٨٠

وهو الذى يلى « كتاب تحريم الخمر»
ن تأليف ابن تومرت ، وإنما هو من
. الخليفة عبد المؤمن بن على وذلك حسبما
، وأشير فيها إلى تمام « كتاب الجهاد »
ى المعلوم، وذلك مما أملاه سيدنا الإمام
شر الأواخر من شعبان سنة تسع وسبعين

ضم طائفة كبيرة من الأحاديث التى وردت
ى محاسنه ، وفضل الشهادة فى سبيل الله .
ماورد فيه أيضاً من الأحاديث(٦) . وهذا

٣٠٦ .

- ٣٤٦ .
- ٣٧٦

بن تومرت) ص ٣٧٧ — ٤٠٠ .

ى ، ومن ثم فإنه يقدم لنا ثمرة شروحه
خرى لعلم الفروع ، متسمة باسم موسوعة
، بل إنه ليبدو ، حسبما جاء فى مقدمة
إلا مختصراً من مصنف الإمام مالك .
جزائر فى سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ،
م مالك ، من رواية يحيى بن يحيى ،
تقديم وتأخير وزيادة تراجم وتفاصيل

يتناول السفر الأول الكتب الآتية :
لاعتكاف والزكاة ، والحج والجهاد ،

الضحايا والعقيقة ، والذبائح والصيد ،
لاق ، والرضاع ، والبيوع ، والشفعة ،

لإمامة » المخطوط السالف الذكر لوحة ٤٦ أ .
، أحد أقطاب المذاهب الأربعة .



ا . ارتداد تاشفين إلى مراكش . رواية ابن عذارى
لمحاربة الموحدين . اللقاء فى تيزغور . هزيمة المرابطين
التحاقه بخدمة المرابطين . قيادته للمرابطين فى معارك
س السوس . تبادل النساء الأسرى بين الفريقين . حملة
غزوه لعدد من القواعد والقلاع المرابطية . اختراقه
نحو فاس . وصول القوات المرابطية بقيادة تاشفين
وحدين إلى منطقة الأطلس الوسطى . احتلالهم لوادى
بل عفرا . نزول المرابطين قبالهم فى السهل . عصف
القطان عن الحملة الموحدية إلى غياثة . مسير الموحدين
والربرتير فى أثرهم . التحام الربرتير فى بعض قواته
القصر الكبير . مسير المرابطين فى إثرهم . وصول
بد المؤمن . اقتحام الموحدين لثغر مليلة وسبى نسائه .
وهران وبنى واثون وجبل مديونة . ارتداد المرابطين
أمير المسلمين على بن يوسف. بلوغ الدولة المرابطية
. إنشاؤه للفرقة الأجنبية بقيادة الربرتير . عزمه على
فى أواخر عهده . صفاته وخلاله . حشده لأعلام
طية ، وانشقاقها فى أواخر عهده . خروج بنى زمانو
إنجاد الموحدين لهم . اقتحام الموحدين لبنى عبد الواد
يد المرابطين . مسير عبد المؤمن من تلمسان إلى أرض

روف تولية عبد المؤمن . فهناك القول
فاة ، المهدى أو بعدها بأيام قلائل ، وأن
ه وهذه هى رواية ابن القطان ، إذ يقول
الدار ، وهم خدمته ، وأخته شقيقته ،
عبد المؤمن) فى الحين « بيعة سر » ، ثم
بويع على أثر موت الإمام المهدى عام
. وهناك قول آخر ، بأنه لما توفى
ى يتفقوا على من يتولى الخلافة من بعده .
ولة الموحدية وكذلك ابن القطان ، إن
ن وخمسمائة ، أعنى مدى ثلاثة أعوام ،
وذلك حين أعلن موت الإمام المهدى .
ك قصة الحيلة ، التى دبرها عبد المؤمن
قصة الطائر والشبل ، اللذين دربهما
أن يدعو له بالخلافة ، والشبل على أن

قسين هما عبد الرحمن بن زكو ، ومحمد
هدى ، ثم تبعهم سائر الناس حتى دخل
ت[3] .

حمل هذه الراوية ، فيقول لنا إنه « لما
ربعة ، بمن يكون إمامهم بعده ، فوقع
هدونه من تعظيم المهدى له ، بمحضر
تبشر بكلامه ، فاتفقوا عليه وقدموه »[4] .
طاس أن المهدى بويع يوم الخميس
يصف هذه البيعة ، بالبيعة الخاصة التى
ا البيعة العامة فقد وقعت وفقاً لقوله فى

بق ذكره لوحة ٤٥ ا و ٦٦ ا) . وراجع رواية
. ١٢٠
. ٨٣
، والمعجب ص ١٠٨ ، ويورد المراكشى اسمين
بد الله بن سليمان .

وربما ... بن ... بعد المهدى
... عبد المؤمن[٢] .

... فى بيعته عقب وفاة المهدى ، وربما قبيل
... من المستبعد أن يكون عبد المؤمن وأصحابه
... تجنب الخلاف ، ويستوثق الأمر ؛ ذلك أنه
... كل قبيلة ، تتطلع إلى اجتناء تراث المهدى ،
... م فى ذلك ، فخشى الجماعة والخمسون ،
... فاجتمعوا وتفاوضوا ، ووقع اختيارهم
... الواقع ، منذ البداية أرجح القوم مكانة ،
... هم اختصاصاً به ، واستئثارا بحبه وثقته ،
... كلما رآه :

فكلنا بك مسرور ومغتبط
والصدر متسع والوجه منبسط[٣]

(٢) المعجب ص ١٠٨ و١٠٩ .
... كان إن هذين البيتين ينسبان إلى أبى الشيص الخزاعى
... (٢ .

شأن المهدي– نسبة عربية أولا ، ثم لآباء
ومن ثم فإن الرواية تقول لنا إنه من ولد
مضر . وأما كيف تحولت نسبته العربية
أجداده العرب ، نزل بساحل تلمسان ،
ر بعض أحياء مطماطة ، إخوة زناتة ،
في رواية أخرى أن نسبته ترجع مباشرة
بنت إدريس بن إدريس بن عبد الله بن
بي طالب » . والى كنونة هذه أيضاً يرجع
وفقاً لهذه النسبة سليل آل البيت عن طريق
سه ، حسبما يروى لنا المراكشي ، ينكر
بة (كومية) « لست منهم وإنما نحن لقيس
دنان . ولكُمية علينا حق الولادة بينهم »

خلدون ج ٦ ص ٢٢٩ .
ص ٢١ و ٢٢ .
س ص ١١٩ .

ادیث عديدة .

قول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد
ووفاته[٢] ، حيث يقول :

لماجـد قد خص من عيلان
وقامع الأعراب والأعـاجم

خيرة الأعراب طرا والعجم
أشيب اللحيـة ليس بالهرم

راجيز القديمة ، وفيها شرح صفاته وأفعاله
كله أنه رأى بالقدس فى رباط للنصارى
رأى اسم عبد المؤمن خليفته ، وأنه أى

وليس المهدى بن تومرت ، لأن ابن عبد ربه

ان ، ولما بلغ نحو العشرين من عمره ،
، وقد رأينا فيما تقدم كيف التقى هو وعمه
تومرت ، وكان يومئذ يقود حملته المعروفة
رت نجابة وذكاء ، وشعر أنه سوف يغدو
عه بالبقاء إلى جانبه يطلب العلم على يديه ،
، وإحياء العلم ، وإخماد البدع » . كان ذلك
ؤمن من ذلك التاريخ إلى جانب ابن تومرت ،
ته ، ويشاطره مصيره أينما حل ، حتى كان
اشتداد دعوته الدينية ضد المرابطين ، ثم
أنه هو المهدى المنتظر ، ومبايعة أصحابه وفى

السالف الذكر لوحة ٥٣ ب و ٥٤ ا) .
ص ١٠٩) ، والثانية والثالثة أوردهما ابن خلكان

وض القرطاس ص ١١٩ .
ص ٢٧ .

لدولة الموحدية ـ المرابطين ـ وافتتاح
عة ، واستقر رأى الموحدين بعد البحث
قصبة تادلة فى وادى درعة[1] . فخرج
ول (وقيل فى شوال) سنة ٥٢٦هـ (يناير
حدين ، قوامه ثلاثون ألف مقاتل ، وسار
نهاجامية مرابطية بقيادة يدّر بن ولحوط ،
) . وفى رواية أخرى أن قائد تازاجورت
عبد المؤمن قتله وقتل معه نحو عشرين ألفاً
ت ينتان بن عمر ، وصحبها معه إلى الجبل ،
الموحدين فى تلمسان[٣] وسار عبدالمؤمن

صاحب الحلل الموشية (ص ١٠٧) ، وروض
ص ٢٢٩) ليست هى بلدة تادلا الواقعة شمال شرق
رق وادى درعة ، وذلك حسبما يستدل من سير
ها مدينة درعة .
ص ٨٥ .
(المخطوط السابق ذكره لوحة ١٧٠ ا) .

نت قد وقست خلال غيبته فى تلك الغزوة
ن صفوف الموحدين لو لم تخمد فى المهد .
ير بابن مَلْوية ، وهو أحد أصحاب المهدى
عبدالمؤمن ، انتهز فرصة ابتعاد عبدالمؤمن
م مع أمير المسلمين على بن يوسف على
دين ، فعهد إليه على بن يوسف بقوة من
جمع قبيلة كنفيسة على مقربة من تينملل ،
لتدمير العاصمة الموحدية ، وكان بتينملل
ة ، فجمعهم فأعلنوا تمسكهم بالعهد الذى
تلك الخيانة ، وفى الحال قام واحد من أهل
كى ومعه غلامه ، وسار إلى محلة ابن ملوية
إلى تينملل وصلبت بها ، وأخمدت المحاولة
كنفيسة إخلاصها ، وقسم الغنائم . ثم هبط

السالف الذكر لوحة ٧١ ا) .

مدى أعوام، ثم ارتد بعد ذلك ، وفقاً لقول
ا كان مصيره بعد هذا الارتداد . ومن جهة
مام الفلاكى إلى الموحدين فى تاريخ لاحق —
يقدمه لنا ابن القطان بنحو تسعة أعوام[٣] .
٥٢٧ ه أعلنت بيعة عبد المؤمن الخاصة ،
برواية كتمان وفاة المهدى مدى ثلاثة أعوام،
صلاة وابن القطان . ويضع ابن القطان هذا
رين وخمسمائة ، ومن الواجب لكى يكون
بع وعشرين . ويقول لنا إنه فى هذه السنة،

ص ٨٥ ؛ هذا ويروى لنا ابن القطان أن ابن ملوية قتل
حينما قام المهدى بتدبير اغتيال قبيلة هزميرة وسبى
، ونعى عليه هذا التصرف الدموى ، وأنه لا يتفق مع
صلب على الفور (نظم الجمان المخطوط لوحة ٤٧ ب) .
السابق ذكره لوحة ٣٩ ب و ١٧٥ ا) .
(ص ٨٣) ، وربما كان هذا الانضمام المتأخر
الثانى لا الأول .

كرك) من الجزء ، فاقتسم فريق
ممن معه ، فأتبعهم الموحدون حتى وصلوا
ثمانئة فارس ، فلما وصل تيونوين ، وعلم
ل السوس ، هرعوا إلى الالتفاف حوله .
رار المعركة من رسالة كتب بها الخليفة
يقول الخليفة : « فميزنا عسكرا مباركاً من
انت ، وبعثنا تلك الليلة سرية إلى أسفل
بيداً ، وسبو ذراريهم ، ثم بعثنا سرية
، أعنى أسفل السوس فقتلوا مقتلة أكثر

هم .
دخلوها ، وفر من كان بها من المرابطين ،
ر الموحدون بالمدينة ، وأطلقوا النار فى
ى ذلك والمرابطون فى تيونوين يشهدون

٧ ب و ١٧٥ ا) وراجع روض القرطاس عن ابن

ه بني يبغز ضد الموحدين (١) .

ين المرابطين والموحدين في سنة ٥٣٠ هـ ،
لى أجرفرجان ومصكروطن ، فخرج إليه
مئذ ، في القوات المرابطية . ولبث عبدالمؤمن
ثم التقى الفريقان في مصكروطن . فهزم
مقادير عظيمة من أسلابهم ، من المال

كر الصنهاجي ، مؤرخ الموحدين المعاصر ،
ؤكد لنا عقب كلامه عن غزوة صنهاجة ،
، وفتح الله عليه في محاربتهم في البداية .
يش مرابطي يقوده الأمير تاشفين بن على .
، أنه لبث والياً على الأندلس ، وقائداً
. (أو سنة ٥٣٢هـ) ، وأنه عبر في أواخر

السابق ذكره) .
لوحة ٧٨ ب) .

م تاسفيس مرة أخرى ، وارتد إلى جهة
من السلاح والثياب والدواب والعبيد .
كان الموقعة لنجدة المرابطين ، وطمعت
لها عبد المؤمن الكمائن فى مضايق الجبل ،
ب جزولة ، وهاجمت ساقة الغنيمة وقتلت
وحدية وأمعنت فيها قتلا حتى أفنتها ،
كانت جزولة تضم آلافاً من الفرسان
د جنفيسة ظافراً .

أراد أن يبنى حائطاً فى أضيق موضع
حتى يهلكوا فى تلك الهضاب ،فأحس
مراكش ، وتركته جزولة عند أحياء
، بقيادة الشيخ أبى حفص أصناج ،
ل ثلاثة آلاف قسمت على الموحدين ،
حيد ، ودخلت فى طاعة الموحدين(١) .

لف الذكر لوحة ٨١ ب إلى ٨٢ ب) .

يش ضخم من لمتونة والحشم وزناتة ،
المرتزقة بقيادة « الإبرتير » ، واستمرت
ن . ووقعت المعركة الأخيرة بينهما فى
الفريقين . وعلى أثر ذلك ارتد تاشفين
(٢)

عت فى ذلك الوقت معارك أخرى ، بين
» غربى تينملل ، وشمالى السوس الأدنى
الموحدين انتصروا أولا وأحرزوا بعض
عاصروا الموحدين بعد ذلك بهذا الموضع
دون غنائمهم . ثم تشبت بعد ذلك بين
حدون أولا ، ثم انقلبت الآية ووقعت
تد تاشفين فى قواته إلى مراكش ، ومعه

المخطوطة التى سبق ذكرها – هسبيرس ص١٠٣) ،
امجروت التى نشرت فى تطوان ص ١١) .
سالفة الذكر (هسبيرس ص ١٠٤ و١٠٥) .

وبرتو ، على بلاط مراكش، عهد إليه
لما آنسه من براعته وشجاعته . ويقول
« أنه كان من أكبر الطغاة بالأندلس
برتير فى الواقع فى معظم المعارك التى
ترك الربرتير عند مقتله ولدين ، اعتنق
ير ، واشتهر فيما بعد بمشاركته فى حوادث
موضعه .

عذارى أيضاً ، أن الربرتير ، هو الذى
التى وقعت بين المرابطين والموحدين فى
أو فى العام التالى ، وتفصيل ذلك ، هو
يادة عبد المؤمن أولا فى مكان يسمى

والبيان المغرب فى الأوراق المخطوطة (هسبيرس

قول إنه كان علما لبنى تاشفين من كبار قوادهم ،
(الحلة السيراء ص ١٩٧ و ١٩٨) .
ب (نسخة تامجروت) ص ١٦ .

وفقا لرواية صاحب الحلل الموشية أن
رحدين[٢] ، وقد سبق أن ذكرنا أن هذا
للك بعدة أعوام . وفى نفس الوقت هاجم
اءها ، وفى جملتهن زوجة يعزّى بن مخلوف ،
عبد المؤمن بالسبايا إلى تينملل ، خاطبته
كانت بين الأسرى ، وذكرته بما قام به
ت أن كان بمراكش ، وحرض الفقهاء
دته أن يسرحها هى وسائر النساء اللائى
ا ، وأطلق النساء ، وبعثهن إلى مراكش
سف من جانبه ، بإطلاق سراح نساء
ن مخلوف ، وأرسلهن كذلك فى أمن
سية مشكورة من الجانبين[٣] .

٨ ، وابن عذارى فى الأوراق المخطوطة (هسبير س.

. ٨٧ و ٨٨

لة ، وسار فى طرقات الجبل نحو الشمال
ن شهود هذه الحملة الكبيرة ، خط سير
ن سار أولا إلى موضع يسمى وانزال ،
اد إلى أشبار ، وهى محلة تقع على مقربة
ثناء خرج جيش المرابطين بقيادة تاشفين
إلى مكان قريب يقع فى الشمال الشرقى ،
شبار . ثم غادر الموحدون تاساوت إلى
قيد نحو سبعين كيلومتراً منها ، وسار
قعة شمال شرقى دمنات . ولم تقع خلال
ولكن القبائل والعشائر الواقعة فى طريق
ا ، واستمر الموحدون فى مسيرهم شمالا
اقعة جنوب تادلا . ووقعت خلال ذلك
ه تيزى ، انتهت حسبما يقول البيذق بهزيمة
الموحدون إلى داى ، فر حاكمها المرابطى
ون دون مقاومة . وأعلن من كان بها من

المانعة حيث الأرزاق الواسعة ، وكان
البرابر من يداخله ولا من يستعين به ،
ستقر عبد المؤمن بالجبال المجاورة لجهة
يحصن بالموضع المذكور »[2] .
والموحدية ، كل منها على مقربة من
حسبما يستخلص من أقوال البيذق ،
(١١٤١ م) . وكان الوقت شتاء ،
رأن المرابطين لم يحتاطوا لقسوة الطقس
حطب ولا فحم ، حتى أنهم اضطروا
ومات كثير منهم من البرد . وفي أثناء
كناسة ، ومعها المؤن والميرة ، تقصد
ريق واقتتلت ، ففر البعض منها ، وسار

٨ و ٩٠ .
مجروت) ص ١٢ . وراجع أيضاً الحلل الموشية

ذه المعارك منذ المحرم من العام المذكور ،
. الرحمن بن زجّو أحد أهل خمسين ،
، على غنائمها . ثم لحقت ببقية الجيش
ل شرقى صفرو . وكان تاشفين قد غادر
العرض الواقع فى شرقها . وبعث الربرتير
فخرج إليه الموحدون بقيادة يحيى آغوال ،
ها الموحدون وقتل قائدهم ، واحتز رأسه

أرض غيّاثة الواقعة شرقى فاس ، وجنوبى
ضربوا محلتهم بها فوق جبل عفرا ، وسار
ى السهل يسمى النواظر ، يقع على مقربة
خل الشتاء بقره . وكان شتاء قاسياً توالت
بضعة أسابيع ، فأغرقت السهول واكتسحت
ران أيما عناء وشدة ، وكان وقعها على

ن نيف وخمسة الآف فارس بقيادة يحيى
ن ماخوخ من أشياخ زناتة ، ولحق
المرابطين ، فأسعفه الخليفة بما طاب ،
وحدين ، فأخذ يهاجم الحشود المرابطية ،
لاحها ومتاعها . ثم توفى قائد عسكر
ه محمد . وأرسل زيرى إلى إخوانه من
عملوا لهزيمة المرابطين . ثم وجه الخليفة
ـ إلى محلة زناتة ، وهاجمها ، ونشبت
وانتصر الموحدون .

المؤمن يزمع السير إلى أرض غُمارة ،
ستبدل باستمرار لتعيق سيره ، واستمر

۹۱ ، وابن الأثير ج ۱۰ ص ۳۰۵ . وكذلك
الفة الذكر) .
لف ذكره لوحة ۷۹ ب و ۸۰ ا) .

اشتبك مع الموحدين فى موضع يقال له
ها كثير من الفريقين ، ثم ارتد الربرتير إلى
ت ، ثم إلى بنى مزكلدة ، ثم إلى إيلانة ثم إلى
سار تاشفين والربرتير فى أثر الموحدين حتى
سمى « نهليط » . وفى أبجن مرض عمر أزناج
لما شعر بدنو أجله ، قام فوعظ الموحدين
يفة عبد المؤمن ، ثم توفى مساء ذلك اليوم .
يت ، ثم إلى وادى لو ، أرض بنى سعيد .
ى تيطاوين (تطوان) ، فارتد الموحدون نحو
شاطىء البحر المتوسط ، ودخل فى طاعتهم
إلى ثغر المزمة[1] ، فى شرق باديس ونزلوا
ديدة ، كادت أن تهلك دوابهم ، فسماها
ى جبل تمسامان[2] .

لحديثة محرفة « الحسيمة » **Alhucemas** .
٩ ، والبيان المغرب فى الأوراق المخطوطة السالفة الذكر .

قبائل لمطة

المغرب
مواقع غزوة عبد المؤمن الكبرى
سنة ٥٣٥ - ٥٤٠ هـ

، فنزوجوهن ، وبميت مهن أميرتان ،
ة ماكسن بن المعز صاحب مليلة ، فأخذ
ة فاطمة ، وأخذ الخليفة بنت ماكسن .
وبلاد كومية ، قبيلة عبد المؤمن ، فدخلت
ون بعد ذلك إلى تاجرا الواقعة على البحر

عندئذ ، ودخل فى طاعة الموحدين ، عدد
ن تاجرا خرجت ثلاث قوات موحدية ،
وقد سارت شمالا بشرق ، وهاجمت ثغر
ائمه ، والثانية بقيادة الشيخ أبى إبراهيم ،
اقت غنائمها ، وخرجت الحملة الثالثة بقيادة

ص ٩٣ و ٩٤ .
A. Huici Miranda : Historia Politica de

ة — هسبيرس ص ١٠٦) .

هر رجب سنة ٥٣٧هـ (يناير سنة ١١٤٣م).
حكمه ، وما توالى فيها من محن وخطوب ،
وتوالى ظفر الموحدين ، وهزائم الجيوش
طمت قواه ، وأذكت آلامه المعنوية ،
المروعة جاثمة فى الأفق . فكتم نبأ وفاته
أعلنت بعد ذلك ولاية ولده أبى محمد
، وبويع بها منذ سنة ٥٣٣هـ (١١٣٨م)
ه[1] .

دولة المرابطية ، بعد أبيه العظيم يوسف .
سبعة وثلاثين عاما مذ ولى الملك بعد وفاة
لدولة المرابطية الحقيق ، بعد أن توطدت

لة هسبيرس ص١٠٧) والحلل الموشية (ص٩٠) ؛
ابن الخطيب يذكر لنا فى الإحاطة أن على بن يوسف
لم يشهر موته إلا فى الخامس من شوال (الإحاطة ؛ -

نصارى ، ويمكن لهم ، وكانوا فى ظل
ين ، ويفرضون عليهم المغارم . ولما
همل أمر الجند المسلمين ، وعجز الأمير
كرون دوابهم[1].

لصدد أيضاً ، أن أمير المسلمين علياً ،
ربة الموحدين ساءه ذلك ، وعزم على
كتب بالفعل إلى عامله على إشبيلية عمر ،
ك فى سنة ٥٣٦ هـ . بيد أنه يبدو أنه لم
إذ توفى بعد ذلك بأشهر قلائل[2].

خر عهد على ، السيل العظيم الذى وقع
عظم دورها وصروحها ، وهلك فيه عدد
ق الكبير الذى وقع فى العام التالى بسوق

التى سبقت الإشارة إليها .
لمشار إليها – دسبيرس ص ١٠٥) .
سبيرس ص ١٠٣) .

يكن فى ذلك صنو أبيه العظيم فى الاقتصار
استسلام ، بل كان يخضع لأهوائهم ،
ن فى استسلامه لهم ، من الحجر على حرية
، لما كانت تتسم به من إيثار لعلم الأصول،
لائل استسلامه لأهوائهم وتعصبهم .

بن يوسف ، يزدان سواء فى المغرب أو
أعلام البلاغة فى ذلك العصر . وكان فى
فى سنة ٥٠٨ هـ ، وقد كتب عن يوسف
و القاسم ابن الجد المعروف بالأحدب ،
وف بابن القبطُرنة ، وأخواه أبو الحسن

السابق ذكره) .
– هسبيرس ص ١٠٥) .
.
فى الإحاطة (مخطوط الإسكوريال السالف الذكر

الموشية ص ٦١ .

رواية تصف على بن يوسف ، بأنه كان
، صبوح الوجه ، أفلج ، أقنى ، أكحل

عشر ، ولكنه لم يترك من أولاده الأحياء
أما ولده الأكبر سير ، فكان قد توفى
لاده الآخرون قبل وفاته ، ومنهم ولده
رواية أنه قد غُرِّب بأمر أبيه إلى الصحراء
لاية الأندلس ، وفى أخرى أنه أصيب
ل حتى الجزيرة ، ولكنه سجن هناك حتى

١٩) ج ١ ص ٥٢٩ .

الذكر – هسبير س ص ١٠٧) ، والحلل الموشية ص ٦١ .

ك الفترة ، بنى ومانّو من بطون زناتة ،
ن ، فبعثهم مع بعض قواته إلى بلادهم ،
علم تاشفين بخروج بنى ومانّو ، وجه إليهم
وحدون إلى إنجادهم ، وتحصن بنى ومانّو
ن ، يحاولون اقتحام مراكزهم ، ولكنهم
لى أثر ذلك سار جيش موحدى بقيادة
ور ، إلى بلاد بنى عبد الواد وبنى يلومى وهم
لمنطقة ، واستاق كثيراً من الغنائم ، ولكن
من زناتة واستولت على معسكر الغنائم ،
وعددهم ستمائة رجل ، وتحصن الموحدون
إلى موضع يسمى منداس بلد بنى يلومى
مى ، وعدة أخرى من البطون .

سار بقواته من أحواز تلمسان إلى أرض
نفس الوقت إلى تلمسان ، وحشد فيها

دخلوا فی غاب القنا » .

رابطين والموحدين فى منداس ، ظهرت
عجز المرابطين على تفوقهم فى العدد
كس فقد أثخن الموحدون فى خصومهم ،
، واستمر القتال على أشده ثلاثة أيام .
خصومهم نصراً باهراً ، واحتووا على
وغيرهم ، واستولوا على غنائم فادحة ،
اثنى عشر ألفاً من البقر. بيد أنه حينما
من أحواز تلمسان ، اعترضه الربرتير
معظم الغنائم ، وقتل من كومية قبيلة
قواته وغنائمه إلى تلمسان ، فانضم هناك

ى استغرق قوى المرابطين ، وصل إلى

روت) (تطوان ١٩٦٣) ص ١٥ .

يغدرون بك ، وعندئذ أمر عبد المؤمن
قتلهم جميعاً إلا الصبيان الصغار ، واستولى
ر أن يسير لمهاجمة الموحدين ، واستخلاص
غبته ، ولكنه لم يسر معه ، والتقى الربرتير
آن تيفسرت » ونشبت بينه وبين الموحدين
، ولم يسلم من عسكره حسبما يحدثنا البيذق
من المرابطين ، يذكر لنا البيذق أسماءهم .
)(٢) .

أخرى مصرع الربرتير فى جملة موجزة
قائد الروم بعسكره ، ومعه عسكر لمتونة
لقائد المذكور» . وهذا ما ورد فى الأوراق
ب . ولكن ابن عذارى يحاول فيما بعد ،
ابن صاحب الصلاة ، وذلك فى القسم

هسبيرس ص ١٠٨) .
ص ٩٦ .

ى الأثناء قد كتب إلى الأقطار يستدعى
سجلماسة ، وعسكر بجاية بقيادة طاهر
إفريقية ، ووصل من الأندلس عسكر
وكان قد قدم إلى أبيه قبل ذلك على أثر
عثه والده إلى قرطبة لإتمام دراسته بها ،
ى تلمسان فى أواخر سنة ٥٣٨ﻫ ، فولاه
ى المذكورة فى ظاهر تلمسان ، وميزوا ،
ب الناس من كثرتهم ، وحسن نظامهم ،
د يحتفل بها المرابطون[٤] .

—

در الموحدون « تيفسرت » وساروا إلى

نسخة تاجروت) ص ١٦ .

Simonet : Hist. de

تاجروت) ص١٥ ، والحلل الموشية ص ٩٧ و٩٨

شهر شعبان سنة ٥٣٩ هـ (يناير ١١٤٥ م) .

لتهم في سطفسيف إلى وهران قد دبروا
فتتكوا به وقتلوا ابن زجّو . فكان ذلك
وماكاد المرابطون يتحركون نحو الشمال ،
، وبعث في مقدمته الشيخ أبا حفص عمر
بني ومانّو من زناتة ، فنفذوا إلى بلاد
يفين ، وبني توجين ، وكلهم من أنصار
طاعة ، وسار زعماؤهم إلى عبد المؤمن ،
ن ، وضمهم إلى قواته[1] . وأشرف
ن الجبل المطل عليها .

لمعركة الحاسمة . وكان المرابطون يرقبون
قد غادر عدة من قوادهم المعسكر المرابطي
ون من جانبهم أن الفرصة المنشودة قد
ق الجبال صيحتهم الحربية بصوت واحد

[1] ... بيروت) ص ١٦ ، وكتاب العبر ج ٦ ص ٢٢١ .

الحافة فصلبوا الجثة ، واحتزوا رأسه ،
ت فى الشجرة التى بإزاء مسجد المهدى .
رين من رمضان سنة ٥٣٩ هـ (٢٢ فبراير
افعة الموحدين زهاء خمسة أعوام متوالية ،
م يتصل بأهل ولا ولد[٢] .

ع تاشفين رواية أخرى عن أبى على بن
ن نزل الموحدون على مقربة منها فى سنة
رها فى محلاته وجموعه . وخلاصة هذه
راهيم ولى عهده إلى مراكش خوفاً عليه
، أبو جعفر بن عطية ، سار إلى وهران ،
ده الموحدون ، وأضرموا النار حوله ،

١٧ ، وأخبار المهدى ابن تومرت ص ٩٨ ، والحلل
٢ ، وابن الخطيب فى الإحاطة (القاهرة ١٩٥٦)

ببعض السواحل ، وقد تقدم بوصول
دلس ، فخرج ليلا في نفر من خاصته
م الأوعار ، فمنهم من قتل ، ومنهم من
فرسه من بعض الحافات ، ووجد ميتاً
ان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وصلبه
والبقاء لله تعالى»[٣] .

شيخ أبو حفص بقواته وهران ، وأثخن
ت منهم جماعة إلى الحصن ، فحاصرهم
إلى التسليم بعد ثلاثةأيام . ومع ذلك فقد
وكان ذلك في يوم عيد الفطر من سنة
من أفظع المظاهر التي تميزت بها سياسة

١٩٨ .

١٩) ج ١ ص ٤٦١ و ٤٦٢ .

رج الأعيان والطلبة ، يسعون إلى لقاء
يصلاتن وجنده وجردوهم من ثيابهم ،
والشيخ أبي إبراهيم أحد الصحب العشرة ،
حدون كثيراً من أهلها[1]. ويؤيد هذه
. فيقول لنا إن عبد المؤمن دخل تلمسان
ل كل واحد من الموحدين من الموضع
ا لا يحصى ، وقد بلغ فيها عدد القتلى ،

استباح أهل تاجرت وقتلهم لما كان
عن أهل تلمسان . وفي رواية ثالثة أن
كنها امتنعت عليه ، واضطر إلى محاصرتها ،
الفتوح والبيعات ترد عليه ، وأنه ترك
ها إلى فاس[2] . بيد أنه يبدو أن الرواية

١ ، والحلل الموشية ص ١٠١ .

– ص ١٩ .

ة . وفود رسل أهل سبتة . مسير عبد المؤمن فى قواته
لموحدين لمراكش . حالة المرابطين داخل المدينة .
ارتدادهم إلى الداخل . وفود أشياخ القبائل على
ن ينتان . امتداد الحصار وصمود المدينة . استعمال
حدين مراكش ومقاومة أهلها اليائسة . اقتحام القصبة
باحة الموحدين لمراكش ، وقتلهم الذريع لأهلها .
دخول عبد المؤمن المدينة ثم عوده إلى محلته . منع
ة وتطهيرها وهدم جوامعها . جمع السبى والأسلاب ،
صبة تلمسان . وفود وفد إشبيلية على عبد المؤمن .

— ١

لطان المرابطين ، فى المغرب الأوسط ،
الحارف ، وبسط الموحدون الظافرون
فيما خلا مراكش ، وسائر الثغور الشمالية ،
ثمة شك فى أن الدولة المرابطية ، كانت

واستنفاد مواردها ، خلال هذه المعركة

ف التى كانت تواجهها الدولة المرابطية،
عم الأمير إبراهيم ، خرج عليه ودعا
بين الفريقين داخل العاصمة المرابطية .
ربون من فاس ، والوفود والحشود ،
لمؤمن ، فتزيد جموعه ، وتعزز قواه .
قها ، مسير عبد المؤمن ، فيقول لنا إنه
وحد أهلها[1] . هذا فى حين أن صاحب
استولوا على وجدة قبل ذلك بعامين
ك إلى أجرسيف ، وهى تقع فى منتصف
ولقى الموحدون بعض المقاومة من بعض
المؤمن بعض قواته ، فمزقت جموعهم
لى فاس ، ونزل بالمقرمدة التى تقع على
ي بن أبى بكر الصحراوى ، قد قدم

لفة الذكر (هسبيرس ص ١٠٨) .

اح اليوم التالى ، سار عبد المؤمن فى قواته
ع يسمى « عقبة البقر » فملأت حشوده
وأهل فاس ، يشهدون هذه الجموع
نظرها رهبة وروعاً . وفى اليوم التالى ،
يشه ، إلى موضع يعرف « بمنزل الحاج »
لعرض ، الواقع فى شمال غربى المدينة ،
رواغ » . ولم يقع فى ذلك اليوم قتال بين
شاسع ، وبقى عبد المؤمن فى « منزل الحاج »
مائة من رجاله . وارتد الصحراوى بخيله

د المؤمن فى قواته السهل ، واحتل جبل
الموحدون الأشجار ، وعملوا منها حول
حائطاً من وراء الحاجز حماية لأنفسهم ،
وبعث عبد المؤمن قسما من جيشه لمحاصرة
ترا غربى فاس ، وكان فى مكناسة نحو

م السور من ضغط الماء المتزايد ، وسقط
ى وجموعه إلى إصلاح ما تهدم من السور ،
بت بينهم وبين الموحدين معارك عديدة .

س ، لولا أن عجل بنهايته ماحدث داخل
بن على، وبين أبى محمد عبد الله بن خيّار
من جراء اشتداد يحيى فى مطالبة الحيانى
لى أن يتصل سراً بقائد الموحدين أبى بكر
ينة ، وكانت لديه مفاتيحها . وساعدت
ذلك أن يحيى الصحراوى ، أعرس بامرأة
ة من الطعام والشراب ، وشغل الصحراوى
. وفى صباح اليوم التالى ، أوفى الحيانى

. ١٠٢

ره المستشرق ميللر ، ضمن مجموعة بعنوان :
(Beiträge zu ص ٣١٥ – ٣١٨ .

المرابطين ، إلا عمر بن يغان وزير على
حماية المهدى ابن تومرت ، وصرف على
وضعه ، وكان المهدى نفسه قد نهى عن
نتقاله[6] .

، فهدم معظمها ، وصرح عبد المؤمن
وإنما الأسوار هى سيوفهم ، وبقيت
بتشـييدها من جديد ، حفيده الخليفة

حة ٢٠ .
والبيان المغرب (القسم الثالث) ص ١٩ .
، القسم الثالث ، ص ٢٠ ، وابن خلدون ج ٦

، ٢٠) ، وابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٢ . ولكن
عبد الله محمد بن يحيى الكدميوى (أخبار المهدى

غادر مكناسة ، سار منها أولا إلى سلا ،
ليوم السابع من شهر ذى الحجة سنة ٥٤٠هـ .
كان قد بناها الأمير تاشفين ، وعين والياً
ث بها أربعة أيام غادرها إلى مراكش[٣] .

أسوار فاس (سنة ٥٤٠ هـ) ، قد وفد
على بن عيسى بن ميمون ، وقدم
الخطبة للموحدين بجامع قادس ، وهى
ثم وفدت على عبد المؤمن خلال مسيره
بعتهم . فتقبلها منهم ، وندب للولاية على
شيخة هنتاته[٤] .

. ١
مغرب القسم الثالث ص ٢٠ ، وابن خلدون ج ٢

وابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٢ .

المؤمن بقواته جبل إنجليز الواقع غربها ،
دون حولها محلة أومدينة كبيرة يتوسطها
اكش ، ونزلت فيها القبائل ، كل قبيلة
امة هذه المدينة دليلا على ماكان يتوقعه

عاصمة المرابطية . وكانت مراكش تموج
المرابطية الكبرى ، من مختلف الحشود
لمرتزقة ، هى بقية الحرس الملكى القديم.
قصها القيادة الحازمة ، وكانت تعانى من
مراكش فى تلك الآونة الدقيقة ، صبى
هو أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن على .
ن أشياخ لمتونة ، مثل سير بن الحاج ،

ـ ٢٢ ، وابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٢ .

قتل منهم عدد جم ، واستولى الموحدون
ت فلولهم بداخل المدينة[1] .

لحشود ، تترى على جيش عبد المؤمن ،
حدين معلنين لطاعتهم . وكان ممن وفد
س الثائرين على سلطان المرابطين ، مثل
وابن حَمْدين الثائر بقرطبة . وأرسل عدد
بانهيار سلطان المرابطين ، كذلك رسلهم
لمرابطين الكبيرة فى ظاهر باب دُكّالة ،
إلا ما يقصه علينا البيذق ، من خروج
. ثم ما وقع بعد ذلك من إرسال الموحدين
إليه أعنى إلى إسحاق بن ينتان ، وتقدم
دينة مع أنصاره ، وانضمامه إلى الموحدين[3] .

ـ ١٠٣ ، والبيان المغرب (عن ابن صاحب الصلاة)
.
.

تختلف الرواية فيما اقترن بتلك الخطوة
ود الحصار ، إن الخليفة أمر باستعمال
بائل ، وأن الموحدين دخلوا المدينة على
دم لنا عن ابن اليسع الذى عاش قريباً من
م أوالنصارى المرتزقة الذين كانوا داخل
، فمنحهم الأمان ، واتفقوا معه على أن
جنوبها الشرقى ، وعندئذ أمر عبد المؤمن
ر من شوال سنة ٥٤١ هـ (٢٤ مارس
وار ، وخُصت القبائل كل قبيلة بباب
محاولة للدفاع . وكانت بالطبع محاولة
رها من كل صوب ، فدخلت هنتاتة ،
الغربى ، ودخلت صنهاجة وعبيد المخزن
هسكورة مع القبائل الأخرى من باب
دون على مراكش . ولجأ الأمير إبراهيم
، إلى القصبة الداخلية المعروفة « بقصر

شبت خارج الأسوار ، بين المرابطين

اكش لم تسقط فى أيدى الموحدين إلابعد
لدينة جهوداً رائعة ، بالرغم مما كان يحيط
المرابطين والمدنيين ، حسبما يقول لنا
من المواقف الرائعة الجديرة بالإعجاب ،
عمر بن يينتان ، وهى فتاة بارعة الحسن ،
أمام القصر (القصبة) فى ثياب فارس .
يتعجبون من قتالها ، ومن شدة ما أعطاها
قتلت وتبين أنها امرأة فى ثياب رجل[٥] .

١٠٣ ، والبيان المغرب القسم الثالث ص ٢٣ ،
ة مراكش السابق نشرها فى ص ١٨٧ .
٢٤ .

١ .

اقتيدوا حسبما قدمنا، إلى قبة عبد المؤمن
عليه مع الآخرين فى القصبة . وقيل إنه
ة من الفحم[٢]. فلما أخذ إلى عبد المؤمن،
ال إلى العفو عنه والإبقاء عليه . ويقص
لفتى كان يتضرع إلى عبد المؤمن، ويقول
فيقول له وصيفه طلحة « أصمت عنا ،
فى رواية أخرى أن سير بن الحاج أحد
اهيم لعبد المؤمن ، تفل فى وجهه وقال
صبر صبر الرجال » . وعلى أى حال فقد
ال لأبى الحسن بن واجّاج (وهو من أهل
راء وأشياخ لمتونة عقب إحضارهم إلى تل
عمل بهم » ، فصاح به أبو الحسن « ارتد
راخ السبوعة »، فغضب الخليفة ، وغادر

) ج ١ ص ١٩٢ .

ن .

ن بكر بن تيزميت خادم على بن يوسف ،
قبض على المهدى أيام وجوده بمراكش
ر بالموحدين ، وزعم أن لديه بمنزله آنية
دين ، فبعث معه الخليفة باثنى عشر رجلا
سم ، وهم يشتغلون بالحفر بحثاً عن الآنية
نل[2] .

على أثر افتتاحها ، ثم عاد منها فى الحال
. وبقيت مراكش بعد ذلك ثلاثة أيام
الموحدين ، كانوا يرون ، فى غلوائهم
ين وأهل اللثام ، الذين لعنهم المهدى ،
مدينة نجسة ، لاتصلح لنزول الموحدين
ك إن المهدى امتنع عن سكنى مراكش ،

، والبيان المغرب القسم الثالث ص ٢٤ .

.

لمدينة مراكش عقب سقوطها فى أيدى
كانت دار إمارة لمتونة ومدار ملكهم ،
وخدّام الدولة ، وأزقتها واسعة ، ورحابها
ة ، وسلعها نافقة ، وكان بها جامع بناه
هذا الوقت ، وتغلب عليها المصامدة ،
طّلا مغلق الأبواب ، ولايرون الصلاة
ن فيه ، بعد أن نهبوا الأموال وسفكوا
لهم يرون ذلك فيه حلالا . وشُرب أهل
ة ، وآبارهم قريبة معينة . وكان على بن
بينها وبين المدينة أميال ، ولم يستتم ذلك ،

و١٠٦ . والبيان المغرب القسم الثالث ص ٢٥ .
المراكشى ، فإن المرجح هو أن يكون المرابطون ،
لا يخربه الموحدون ، ويعتدوا على رفات البطل
إلى زاوية صغيرة ، بها صبيان يقرأون ، وقيل لى
شاهد أو نقش أو دليل يحمل على الاعتقاد فى صحة

ن الحجاج ، وأبو بكر بن الجد الكاتب ،
صاحب الصلاة ، وغيرهم من زعماء إشبيلية
ألقى القاضى أبو بكر وبعض زملائه بين
إشبيلية مكتوبة بخطوطهم ، فاستحسن
أغدق عليهم الجوائز والصلات ، وكان
إلى الأندلس ، توفى القاضى ابن العربى ،
الآخرة من نفس السنة . وكان مقدم
ر الأندلس ، من الدلالات الواضحة ،
انب الموحدين . وكان له أثره فيما بعد ،
اضرة الأندلس فى عهدهم[3] .

ر والأندلس (المأخوذ من كتاب نزهة المشتاق)

٢ .
ركشى فى تاريخ الدولتين ص ٦ .

رجه فى قواته من مراكش ومسيره صوب دكالة ،
فرارهم نحو البحروغرق الكثير منهم . فرار يحيى
استيلاء عبد المؤمن على أسلاب برغواطة ودكالة .
إلى مراكش . نزعة الموحدين إلى القمع الدموى .
ائد الدموية لمختلف القبائل وعدد القتلى من كل منها .
المروع . إخماد ثورة أخرى فى برغواطة . مسير
ط الفتح . استقباله لوفود الأندلس . اعتزامه فتح
طريق ملتوية . استيلاؤه على جزائر بنى مزغنة . .
فعها . انتقالهم إلى بجاية . استيلاء عبد المؤمن على بجاية
ؤمن على القلعة . سقوط بونة وقسنطينة فى أيدى
حبة عبد المؤمن إلى مراكش . وصف بجاية فى هذا
لقة . هزيمة العرب وتمزيق حشودهم . ثورة صنهاجة
ثم إلى فاس ومكناسة وسلا فمراكش . مؤامرة أخوى
م عبد المؤمن بحركة تطهير جديدة . عبد المؤمن يدبر
. مسير أبى حفص لإخمادها . سحق القبائل الثائرة
عبد المؤمن من مراكش إلى تينملل .

— ١

ى ، التى اضطلع بها عبد المؤمن بن على ،
ه من تينملل فى سنة ٥٣٥ هـ (١١٤٠ م) ،

ة خطيرة ضد دعوتهم الدينية وسلطانهم
غربي بلاد السوس ؛ حيث قام ثائر يدعى
ى . وأصل هذا الرجل من سلا ، وكان
، واستولى الموحدون على سلا ، ادعى
جنوبا إلى أرض جزولة ونزل برباط
ن ثم اشتهر كذلك باسم الماسى [1]، فتبعه
اعت دعوته بسرعة مدهشة . وسرعان
سامدة ، وانضمت إليه عدة من القبائل
رجراجه ، وهزميرة وهسكورة ودكالة،
عة ، حتى لم يبق تحت سلطان عبد المؤمن
سوى فاس ومراكش . وكان استفحال
دليلا على أن الدعوة الموحدية ، لم تكن
هم لم يدينوا بها إلا تحت سلطان الضغط

مغرب القسم الثالث ص ٢٦ . ويقول لنا صاحب
مع عبد المؤمن وبايعه ثم خرج عليه (ص ١٢٣) .

ى فى غمر الناس ، وانضم إلى كتائب
ت الحملة الموحدية تضم نحو ستة آلاف
الماسى يضم نحو الستين ألفاً ، ليس فيهم
ون صوب تامسنا بوادى ماسه ، والتقوا
من شهر ذى الحجة سنة ٥٤٢ هـ (٧ مايو
شديدة ، قاتل فيها جند الماسى بشجاعة ،
، قتله الشيخ أبو حفص بيده ، ومُزق
ته فوق بغل ، حيث صلبت على باب
انهارت على أثره ثورة الماسى وانفضت

ر الموحدين ، أن بحث الشيخ أبو حفص

ج ١ ص ٢٧١ .
، والبيان المغرب القسم الثالث ص ٢٦ ، والحلل
.

لنعم أكرم منقلب ، وملأ دلاء الأمل

وتبرز الأرض فى أثوابها القشب

تعط الحال بشرحه مهلة . كان أولئك
وظلما ، واقتطعوا الكفر معنى وإسما ،

: « فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم ،
دهم الله بكفرهم وفسادهم ، فلم يُعاين
نجيعاً ، ولقى من وقع الهنديات أمراً
امى فى الوادى ، فمن كان يؤمل الفرار
ما ينجيه ، اختطفته الأسنة اختطافاً ،
على لججه ، ورام البقاء فى ثبجه ، قضى

فر بن عطية ج ١ ص ٢٧٧ .

وكانوا مازالوا على دعوة الماسى ، فنشب
ية ، استمرت حيناً ، وهزم الموحدون فى
اورها من القبائل فى ثورتهم وخروجهم

صحراوى ، أو ابن الصحراوية ، حينما فر
حدين ، قد غادرها إلى سبتة ليحاول أن
ات الفلول المرابطية . وهنا تختلف الرواية
فى سبتة . ذلك أن البيذق يقدم إلينا رواية
سبتة ، حاصره بها على بن عيسى بن ميمون
س ، وهو الذى انحاز إلى الموحدين حسبما
ه أنه يريد أن يبايع الموحدين ، وأن يكون
ل ابن ميمون من سفينته إلى البر ، فاستقبله
ه فأرداه ، وصلب جثته فى برج المدينة ،
ة إلى طنجة[1] .

. ١٠

صر به على قتال عبد المؤمن ، فغادر سبتة ،
معوا تحت رايته[٢]. بيد أن البيذق ، بعد
لابن ميمون ، يقدم إلينا عن خطط
اصيل أخرى ، خلاصتها أن الصحراوى
هنالك ألفى واليها يحي بن تايشا المرابطى ،
سنة للدفاع ، فغادرها إلى سلا ، وكان بها
خرجت فيمن خرج على طاعة الموحدين .
، فساء التفاهم بينه وبين الصحراوى ، ولم
، ووقعت هذه الحوادث كلها فى أوائل

ها ، وفارساً وافر الجرأة[٤] . وكان يعتزم

الإسكوريال فى ترجمة القاضى عياض لوحة ٣٥٠ .
خلدون ج ٦ ص ٢٢٣ .
١ .

بعد ذلك شرقاً إلى سبتة وحاصرها .
(١) . وهنا لابد لنا أن نتساءل عن سر
فى سبتة . والجواب على ذلك هو أن
، بادر فبعث إلى القائد الموحدى ببيعته
المدينة(٢) . وفى رواية أخرى ، أنه لما
صارها ، سعى إليهم القاضى عياض ،
فى استدرار عطفهم وصفحهم ، فعفوا
القائد الموحدى يصلاسن بن المعز ، كل
بعد ذلك إلى مراكش (سنة ٥٤٣هـ) ،
عنه عبد المؤمن ، وأمره بلزوم مجلسه ،
بعيد ، وتوفى بمراكش فى ليلة التاسع
بها (١١٤٩م)(٣) . وأخيراً يقول لنا

و ١٠٨ .

عياض يتضمنها مخطوط بالمكتبة الكتانية بخزانة
يحفظ بها برقم 553 (لوحات ٧ – ١٤) .

فى ثامن ، وقد لعب دوره فى تسليمها
عبد الله بن شريف وثلاثة آخرين من
سليمان ، وحشود صنهاجة بقيادة أبى بكر
شود جراوة بقيادة عبد الله بن داود .
د المؤمن ؛ فخرج من مراكش فى عسكر
وكانت حشود برغواطة ودكالة ويحيى
ية من ساحل المحيط جنوبى ثغر أزمور.
اجتمعت لقتال عبد المؤمن بلغت زهاء
وهو تقدير يحمل طابع المبالغة . ويقدم
فيقول إنهم كانوا فى نحو ستين ألفاً من
نها كانت خالية من فرق الرماة ، التى
أيضاً مما تذكره الرواية المذكورة أن
خصومه ، وفاجأهم بالهجوم ، فاختل

دين فى مختلف النواحى ، وأرغمت معظم
 والسيف وحده ، على العودة إلى الخضوع
 المضطرمة ، من أقوام كان معظمهم قد
لوائها ، فى نفوس الموحدين من المرارة
لديدة . ولقد رأينا فيما تقدم ، من مراحل
كيف كان هذا الصراع يتميز فى كثير من
ف كان الموحدون يتبعون نحو المهزومين
الشامل، وسفك الدماء دون تحفظ ، وهى
بن تومرت فى محاربة خصومه .

ستمرت فى الموحدين أجيالا ، حتى بعد أن
كشى مثلا ، وهو من مؤرخى الموحدين ،

١ . وفى ابن خلدون أنها وقعت فى سنة ٥٤٢ هـ .

:

أعدم من رجراجة ثمانمائة ، وأعدم من
ستمائة من أهل إيجلى ، وستمائة من أهل
تان فى تاعجيزت وثلاثمائة فى هشتوكة ،
بقية بطونهم حتى بلغ عدد القتلى ألفين
محلة نظير ، ثم هوجم منهم أهل تيفسيرت
قتل من صنهاجة وجراوة ألف فى موضع
لاف بأرض فازاز ، وقتل من صاربوه
ارة فى تطاوين ثمانمائة ، وقتل فى مكناسة
امسنا ستمائة من أهل برغواطة ، وقتل
ومن وريكة وهزرجة مائتان وخمسون ،
ستمائة . ونجا أهل سجلماسة بدعاء عابد

. كيف أنه حينما قتل أخوه إبراهيم بيد
. ومنع بتدخل أصحاب المهدى ، من أن
ذلك يُغلب على أمره مرة أخرى ، حينما
إبراهيم بن تاشفين ، وأتى به إلى عبد المؤمن
أن يفره من القتل ، فاعترض عليه بعض
عن إرادته . فى هذه الحوادث وأمثالها
ن مطلق الحرية فى سائر تصرفاته . وإنّا
اف ، معبرة عن خلق عبد المؤمن وميوله
ءها ، ووراء أمثالها من التصرفات الدموية
وقد كانوا فى تلك المرحلة ، هم أصحاب
ورة ظاهرة ، وغالباً من وراء حجاب .

— ٣

لكبرى ، فى أراضى برغواطة ودكالة ،
رقين على النحو المتقدم ، اعتزم أن يقوم

، والكاتب الوزير أبو جعفر بن عطية ،
وأنزلوا خير منزل . ثم أخذوا لمقابلة
ر المحرم سنة ٥٤٦ ه ، وكان أول من تقدم
أبو القاسم ابن الحاج للخليفة ، ما تعانيه
تلاه الكاتب أبو بكر بن الجد بخطبة بليغة ،
فشمل الخليفة الجميع بعطفه ، وأجزل لهم
لهم بالانصراف إلى بلادهم[1]. ولاريب أن
على هذا النحو ، كان له أثره فى خطط
لس ، وتنظيم شئونها .

سنة ٥٤٦ ه ، وسار إلى المعمورة ،وهو
ة بواعث عديدة لها خطرها ، قد حملته على

طاس (ص ١٢٢) ، ويمر البيذق على هذا الحادث
ين (ص ٧) ، ولكنه يضع تاريخه سنة ٥٥٣ ه ،
عرة الأندلسية الشهيرة حفصة بنت الحاج الركونى ،
منحها إقطاع قرية ركانة .

أباه يحيى بن العزيز بالله الصنهاجى .
الجزائر فى نفس الوقت ، الحسن بن على
حب بجاية ، وكان الفرنج الصقليون
٥ هـ (١١٤٨ م) حسبما تقدم ، فخرج
ائر منزلا سيئاً ، فلما دخلها الموحدون ،
نظلا برعايته .

ينة بجاية هذه ، وهى التى سوف يتردد
ن ومناسبات تاريخية كثيرة . وكان
، بنى زيرى أمراء إفريقية . وذلك أنه
، أمير إفريقية ، وبين ابن عمه الناصر
صحابه ، ودله بعضهم على موضع بجاية ،
ه مزاياه من المنعة ، والمرسى الذى
، وترويج التجارة ، فأمر باختطاط
شاهق ، وكان ذلك فى حدود سنة

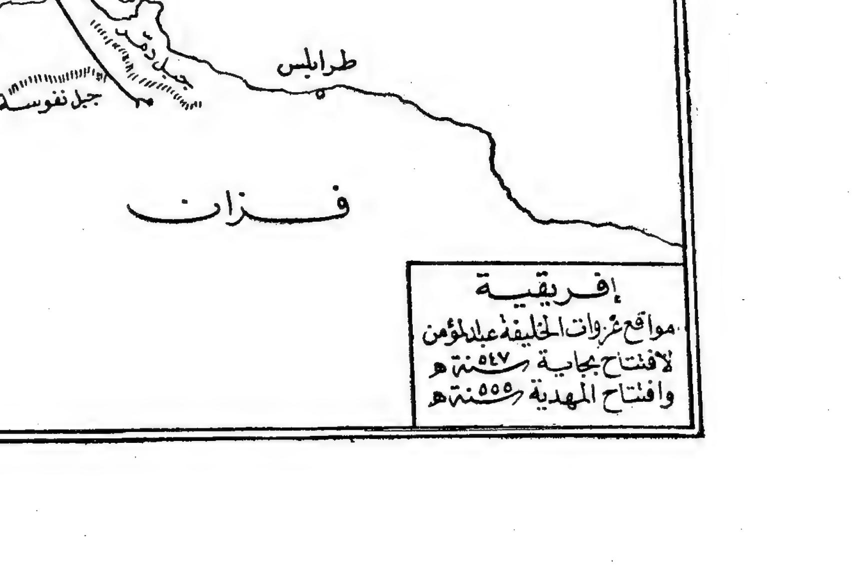
زيرى على ابن أخيه باديس بن المنصور
أعنى الزاب والمغرب الأوسط ، وكان
إمارة جديدة عرفت بمملكة بنى حماد .
بنوه من بعده فى الملك ، وكان مركزهم
ناعة والحصانة ، اختطها منشئ دولتهم
على مقربة من بلدة أشير ، وقد كانت
تلك المنطقة وأكثرها خلقاً ، وأغزرها
راً ومساكن ، وأعمها فواكه وخصباً ،
الارتقاء ، وقد استدار سورها بجميع
اقوت فى وصفها ، من أجهة أخرى ،
إنما اختطها حماد للتحصن والامتناع »[٣].

.
ر بعناية الدكتور سعد زغلول (الإسكندرية

ودان ومصر والأندلس ص٨٦ ، وراجع ياقوت

. الله ولد الخليفة عبد المؤمن ، على القلعة
أعظم وأمنع قلاع المغرب ، وكانت معقل
، فاستولت عليها ، وقتلت بها عدة ألوف
بجاية فر عنها صاحبها يحيي بن العزيز بالله
لله إلى صقلية حيث استظلا بحماية الفرنج .
فامتنع بها مع أهله وقرابته ، وهنالك
ر ذرعاً ، أرسل أخاه وشيوخ صنهاجة
خضوعه ، وإذعانه إلى التسليم ويطالبون
ره . ولما غادر عبد المؤمن بجاية سار
، وهنالك عاش فى كنف الخليفة فى
كش حتى انقرض بيتهم . وكان استيلاء

عناية الأستاذ ليڤى بروڤنسال (الرباط سنة ١٩٤١)


جبل دمر
طرابلس
جبل نفوسة
فزان
إفريقية
مواقع غزوات الخليفة عبد المؤمن
لافتتاح بجاية سنة ٥٤٧ هـ
وافتتاح المهدية سنة ٥٥٥ هـ

تعيش فى ظل بنى حماد ، وتحت حمايتهم.
شعر أولئك العرب بما يهددهم من فقد
ة الموحدين ، وأخذوا يغيرون على
زم عبد المؤمن أن يطهر هذه المناطق
، وجهز لقتالهم حملتين ، الأولى بقيادة
، والثانية بقيادة يصلاسن بن المعز ،
فيه يصلاسن على زميله صهر الخليفة
ب . فانتهز العرب هذه الفرصة وهاجموا
أسروه ثم قتلوه . فاستشاط عبد المؤمن
ئلة العرب . فلما شعر العرب بشدة وطأة
ن زعمائهم إلى التوحيد، وشدد عبدالمؤمن

و ١١٤ ، والحلل الموشية ص ١١٢ و١١٣ ،
ص ١١٣ و١١٤ . وراجع الرسالة الثامنة من رسائل
إفريقية وتونس ص ١١١ .
السوادن ومصر والأندلس ص ٩٠ و ٩١ .

نظم شئونها ، وندب لولايتها ولده أبا محمد
أولا إلى تلمسان ، ثم سار إلى فاس ،
والسبى على هذه البلاد . ثم غادر سلا إلى
رب – أو سلاطينهم حسبما يصفهم البيذق –
وصلوا إلى مراكش ، زودهم بالأموال
م إلى بلادهم .

— ٤ —

جه آثار مؤامرة دبرت فى غيبته ، وكادت
د فى مهدها .

١ و ١١٥ ، ورسائل موحدية ، فى الرسالة التاسعة

. ١

المخالفين من هرغة وأهل تينملّل، ولكنه
فاس حيث اعتقلا هناك تحت إشراف
المغرب يقول لنا إنهما قتلا وصلبا ضمن
عيسى قرب باب الدباغين ، وقتل
الرواية ما ورد فى خطاب الخليفة الرسمى
ع المخالفين ، وفتك العامة بهم وصلبهم

س حتى قام بحركة تطهير شاملة ، قُبض
يط ، حسبما تصفهم الرواية ، من سائر
أصدر الخليفة أمره بأن يتولى الموحدون
ن من قبيلتهم بأنفسهم .فامتثل الموحدون

.
.
ية (ص ٣٢ و ٤٥ و ٤٦) .

ـ ذلك سببا فى هزيمته ومصرعه . وكان
ى سوء تصرفه . ومن جهة أخرى ، فإنه
م عبد المؤمن ، ومؤيداً لحركة أخوى
س ، كان يصلاسن فى سبتة ، فأرسل
ر حيلة للقبض على يصلاسن وإرساله ،
ن إحدى السفن ، فى مياه سبتة ، فلما
، ونبأ عبد المؤمن بما تم ، فأمره بإعدام
ن ، فقام عبد الله بما أمر به (٣) . وفى
ل يصلاسن مكبولا إلى مراكش ، وأنه
ليفة(٤) .

أرض السوس ، وارتدت قبيلة جزولة

و ٢٩ .

١١٦ .

دث ، فيما يرجح فى أوائل سنة ٥٤٩ ه

لرتدة على هذا النحو ، غادر عبد المؤمن
ر المهدى ، وفرق فىأهلها أموالا كثيرة
ها[٢] .

. ١

أصل أولئك العرب الأفارقة . نزوحهم إلى مصر .
ونزولهم به . محاولة استمالة المعز بن باديس لهم
يمة المعز وفراره إلى القيروان . حصار العرب
لتونس ونهبها . نزولهم فى المهدية . قطعهم السبل
طرابلس وقابس وبلاد الزاب . تحولهم إلى عنصر
المؤمن لها . تفكير عبد المؤمن فى حشد طوائفهم
حدين لهم وفتكهم بهم . عبد المؤمن يرد حريمهم
عبد المؤمن إلى الأندلس .

ريقية(١) من الغرب ، فى أواخر سنة
الثورات والمؤامرات التى دبرت ضده
ملّل، وزار قبر المهدى، كانت الظروف
انت الحوادث فى إفريقية ، قد تطورت
، واستفحل عدوان الفرنج النورمانيين
، والشواطئ المجاورة . وكان الفرنج

محونة بالرجال والسلاح والأقوات ،
وكان قبل التحاقه بخدمة ملك صقلية ،
ثم كان علمه بأسرار هذه الشواطئ .
قوصرة (بنتلاريا) الواقعة بين صقلية ،
لجنوب الغربى ، وقصد إلى ثغر المهدية ،
ن . وكان ذلك فى اليوم الثانى من صفر سنة
ر البحر جرجى يرجو مفاجأة المدينة ،
كن الرياح عاكسته ، ولم يصل إلا فى
لأمير الحسن الصنهاجى من قدوم الفرنج ،
ى إنه مازال يحترم الهدنة المعقودة بينه وبين
ب قابس وردها إلى ولده ، ويطلب أن
الحسن فقهاء المدينة وأعيانها ، وشاورهم
وتخوفه من قيام الفرنج بحصار المدينة ،
، والفتك بأهلها ، ونصح بمغادرة الناس

إلى الخليفة عبد المؤمن ، فأذن له يحيى ،
ه إلى جزائر بنى مزغنة ، أو بنى مزغنان
أولاده فى حالة اعتقال ، وضيق عليه .
ية ، وعزل الحسن ، مملكة بنى زيرى
قية مذ رحل المعز لدين الله عنها إلى مصر ،
كها ، حتى سقوط المهدية فى سنة ٥٤٣هـ ،
على استيلاء الفرنج على المهدية حتى سير
، وكان واليها الأمير على بن الحسن ،
الفرنج دون قتال فى الثانى عشر من شهر
ري إلى صفاقس ، فاستولت عليها بعد
رب ، وذلك فى الثالث والعشرين من
لى سوسة وصفاقس ، وافتدوا حريمهم
ثم وصلت بعد ذلك كتب الملك رُجّار
ا استولى الفرنج النورمانيون على شاطئ

ر البحر فيليب المهدوى ، وقصد إلى
صف المسافة بينها وبين تونس ، فحاصرها
فى شهر رجب سنة ٥٤٨ هـ (أكتوبر
سبى أهل بونة ، واستصفى أموالها ، فإنه
كهم يخرجون بأهلهم وأموالهم ، فترتب
نصرانى مارق ، وأنه يبطن الإسلام هو
حكم عليه بالموت حرقاً . وتوفى رُجار
لفه فى الملك ولده ، وليم ، وهو المسمى
م يتمتع بكثير من مقدرة أبيه وحزمه ،
، وثارت عليه بعض النواحى ، وكان
ية .

حة ماكادوا يشعرون باضطراب الأحوال
لاف ، ونبذ طاعة الفرنج ، وكان أول
لتها مدينة صفاقس ، وكان واليها عمر بن

يم بأبى الحسن فصلب أو شنق وهو يتلو
س ومن معهم من الأعراب ، وحاصروا
المهدية عدداً من السفن المشحونة بالرجال
بالمال والأعطية ، فانسحبوا من المعركة
اقس وزويلة ، واستطاع أهل صفاقس
ء القتال كله على أهل زويلة ، فارتدوا
فى معظمهم ، ولم ينج منهم إلا القليل،
ها من النساء والأطفال ، ونهبوا الأموال،
راع المرتقب[٢] .

ذ بمراكش ، وفود من زويلة ، وغيرها
ستصرخونه لرد عادية الفرنج عنهم وعن
وعدهم خيراً . وكان الحسن بن على
منذ نزوله فى كنف عبد المؤمن ، يحرضه

. ٧٥ و ٢٤٢

ـدية ، تحرك عبد المؤمن من سلا فى العاشر
١١ م) ومعه الحسن بن على الصنهاجى
ـا الجيش الموحدى الكبير بمائة ألف مقاتل
ـرقة(٢) . وفى رواية أخرى أنه كان يضم
ـ من الرجالة ، وكان يضم عدا طوائف
ـأغزاز والرماة وغيرها ، جموعاً كبيراً
ـ جيوش ، لكل عسكر يوم يختص به ،
ـ الغداة . وتنزل الجيوش مريحة إلى يوم
ـهضاب المغرب ، متجهاً نحو إفريقية ،
ـفتتح المعاقل الممتنعة ، ويؤمن من استأمن .
ـمدينة تونس فى الرابع والعشرين من
ـذه المسافة الشاسعة ، وهى تبلغ نحو ألف

، وابن الأثير ج ١١ ص ٩١ .

ونس فى قواته ، وسار جنوبا إلى المهدية ،
فى الثامن عشر من شهر رجب سنة ٥٥٤هـ

فاع ، وكانت حاميتها تتكون من ثلاثة
لك تموج بطوائف الأشراف والفرسان
الشمالية زويلة ، فدخلها عبد المؤمن ،
انضمت إليهم جموع غفيرة من العرب
لمدينة ، ولكنهم لم يستطيعوا خلال ثلاثة
شيئاً ، وكانت بمناعة موقعها الطبيعى ،
بالبر ، وبأسوارها الحصينة العالية ، ترد
بين آن وآخر لمقاتلة الموحدين ، فينالون
بالمدينة . وعندئذ أدرك عبد المؤمن أنه
أخذها بالحصار والمطاولة ، وأمر بجمع
صارت بين العسكر كالجبال . واستمر

الموشية ص ١١٧ .

لها منهم ، ومدح عبد المؤمن شاعرهم
التيفاشى ، بقصيدة مطلعها :

مثلُ الخليفة عبد المؤمن بن على

يت ، أشار على الشاعر بأن يقتصر عليه ،

صار ، حتى قدم أسطول فرنجى كبير ،
ونة بالأقوات والمقاتلة لإمداد الفرنج .
ة يابسة ، إحدى الجزائر الشرقية بعد
من صقلية ، بعثه الملك وليم لإنجاد حامية
إليهم الأسطول المغربى بقيادة أبى عبدالله
ركة بحرية عظيمة انتهت بهزيمة الفرنج ،
ويقال إن عبد المؤمن كان خلال المعركة

٢ .
لأثير ج ١١ ص ٩٢ .

سوارها ، ويشحنها بالذخائر والأقوات.
رج الكومى ، وجعل معه صاحبها القديم
طاعاً حسناً . وهكذا استطاع عبد المؤمن،
ى ثغور إفريقية ، بعد أن كاد يستقر ويتأثل،
دها إلى صولة الإسلام ، بعد أن خرجت
ى الفرنج فى سنة ٥٤٣ه (١١٤٨م)[٢] .
ر عبد المؤمن ثغر المهدية ، وسار فى قواته
أراضى إفريقية ، وقعت بينه وبين العرب

بطون هلال وسليم من مضر ، قد نزحوا
جرى . وكانت أحياء بنى سليم بالحجاز
فى جبل غزوان عند الطائف ، ومنهم جشم

ع غزوات المهدية فى الخريطة المنشورة فى ص٢٨٣ .
لحلل الموشية ص ١١٧ و١١٨ ، والبيان المغرب
١ ، والاستقصاء ج ١ ص ١٥٥ و١٥٦ .

بة ، وأعلن المعز بن باديس الصنهاجى
سنة ٤٣٧ هـ) ، فعز ذلك على الخلافة
لله ، وأخذ البلاط الفاطمى يبحث عما
اعتبر خروجاً على الخلافة الفاطمية ،

ذين أنزلوا بالصعيد قد تكاثروا ، وتفاقم
الحسن بن على اليازورى ، على الخليفة
عمال إفريقية وشئونها ، ليكونوا هنالك
صرتها إزاء آل زيرى المنتزين عليها ،
لأمهم ، كان ذلك كسباً للخلافة الفاطمية
عيثهم بنواحى مصر ، وإن كان الأمر
ر على ذلك الرأى ، وبعث وزيره إلى
أهم ، وبذل العطاء الوفير لأشياخهم ،
م ، وأباح لهم عبور النيل ، وقال لهم قد
ن باديس .

طمية ، واشتدوا على أحياء صنهاجة ،
، وخرج بقواته إلى ظاهر القيروان ،
القلعة، فبعث إليه بالأمداد، والتفت حوله
ة للعرب ، وكانوا وفقاً لأقوال الرواية
غبة وعدى . فلما التقى الفريقان انخذل
فكانت عليه الهزيمة ففر فى فلوله الباقية
، وقتلوا من حشوده أكثر من ثلاثة
ن ، وطال حصارها ، وخرب العرب
ت زغبة ورياح المدينة ، ففر منها الأعيان
هلها إلى تونس . وملك العرب فى نفس
بلاد إفريقية ، وذلك فى سنة ٤٤٦ هـ ،
رداس من رياح باجة وما إليها ، ثم
ن تونس إلى الغرب ، وبطونهم رياح

على تونس ، ونهبها ، وملك أبو مسعود

صنهاجة وبقية القبائل البربرية ، وتمركزوا
تلك الجهات ، وتأثل نفوذهم وسلطانهم
حسابه فى ميزان القوى ، فى إفريقية ،
بيد أنهم لبثوا دائماً عنصراً من عناصر
تلف الأحزاب والمعسكرات ، ويتدخلون
ربة من ديارهم ، لاتحدوهم فى ذلك أية
جتناء الكسب والمغانم ، من أى جانب
م وبين الموحدين من معارك ، على أثر
أولياء لأمرائها من بنى حماد ، يعيشون

فريقية وقصة تخريبهم لها . وقد نوه سائر
ين بتلك الروح العدوانية المخربة ، وتلك
العرب النازحين ، وجعلت منهم عنصراً
العناصر الأخرى من السكان إلى سحقه

١٣ وما بعدها .

بين ... إلى جانب ... نيونس ... ،
ى ذلك ، وساروا معه حتى جبل زغوان .
ف بن مالك ، فاتصل بعبد المؤمن بالليل ،
الأندلس ، وأنهم يعتقدون أنه يريد بذلك
ق ذلك في الليلة التالية ، إذ هرب العرب
ن سوى يوسف هذا ، فسماه عبد المؤمن
واته حتى وصل إلى مقربة من قسنطينة ،
دى النساء ، بعيداً عن أطراف العمران ،
ة ترفرف على جيوشه ، وقد انصرف
لم عبد المؤمن باجتماعهم ثانية فى أحيائهم
، بقيادة ولديه أبى محمد وأبى عبد الله ،

عيث أولئك العرب وتخريبهم لمدن إفريقية (راجع
نير الإدريسى إلى ذلك غير مرة (وصف المغرب
١ و ١٠٩ و ١٢٢) ، وكذلك صاحب الاستبصار
ـهم .
٣ .

ه (نوفمبر سنة ١١٦٠ م) عبر الخليفة
عبوره إليها حادثاً هاما من أشهر حوادث

عبور الخليفة الموحدى إلى شبه الجزيرة ،
قة بموقف الموحدين من شئون الأندلس .

على شبه الجزيرة



قسى إلى المغرب والتجاؤه إلى عبد المؤمن . إقناعه
ية أمير المرابطين بالأندلس وموقفه . قيام الثورة
مارة وتسميه بأمير المسلمين . استدعاء فريق من أهل
دخوله إياها . فرار ابن حمدين . الثورة ضد ابن هود
ب ابن غانية على قرطبة . اللقاء بينه وبين ابن حمدين .
ة . تغلب ابن حمدين على حصن أندوجر وأحوازه .
ك قشتالة . مسير ابن حمدين وحلفاؤه النصارى
ابن غانية بقصبتها . ذيوع الأخبار بمقدم الموحدين
. ولاية ابن غانية لقرطبة . ما يروى فى ذلك عن
عبوره إلى المغرب ومقابلته لعبد المؤمن . عوده إلى
غرناطة . زعيمها القاضى ابن أضحى . استغاثته بابن
د . تحالف ابن أضحى وابن هود ضد المرابطين .
المرابطين بالقصبة . وفاة ابن أضحى وقيام ولده
م عسكر مرسية لقتال المرابطين ، هزيمتهم ومقتل
جيان . رواية ابن الأبار عن مراحل الصراع فى
. ظاهرة تزعم القضاة للثورة ضد المرابطين وتعليلها.
على المرابطين وانتزاعه للرياسة . استعانته بالمرتزقة
مرة وانتحار ابن حسون . ثورة ابن ملحان فى

ين الطغيان المغربى ... حيث
يق كبير من أبناء الأمة الأندلسية ،وكان
د أن تبددت آثار المديح والإعجاب
. أن انقلب الإخوة المنقذون إلى فاتحين
بفكرة الجهاد ، ليبسطوا سلطانهم على
لجهاد الأولى ، التى اضطلع بها المرابطون
رسف ، والتى أسفرت عند ظفرهم ضد
ثل موقعة أقليش (٥٠١هـ) ، وما تلاها
نة (٥٢٨هـ) ، كانت تغالب هذه الفكرة
نقاً ومجداً ، فإن الأمة الأندلسية لم تنس
ت استقلالها وحرياتها ، فى ظل الحكم
طأة هذا الحكم تشتد شيئاً فشيئاً . وكانت
سنة ٥١٥ هـ (١١٢١م) ، أول تعبير
لهذا السخط المكبوت ضد عسف الحكم
المسلمين على بن يوسف يومئذ خطورة

هذا الانضواء ، كانت تمليه ضرورات
ذاتها . ذلك أن الأندلس بالرغم مما
امل السخط والانتقاض ، لم تنس أن
سبانيا النصرانية ،وأن مثل هذا الدفاع ،
بطين ، إلا بقيام سلطان الدولة الجديدة ،
وم بنفس المهمة الدفاعية ، التى كانت

ندلس ضد المرابطين ، أولا فى الطرف
عد المناطق عن سلطان الحكومة المركزية .
ة ، قد ظهرت فى الأندلس ، فى نفس
ة فى المغرب أمراً محققاً ، وذلك حين جد
بقيادة الأمير تاشفين بن على شمالا ،
شفين وتبدد جيوشه ، وذلك فى رمضان

F. Codera : Decadencia y Disparición

وان الصفا وغيرها ، ويهمكون فى مزاولة
هم بالأخص بمنطقة شلب وميرتلة ولبلة ،
موا بطائفة « المريدين »[2]. وكان ابن قسى
ضمرها ، ويدعو إلى الثورة فى الباطن ،
تسمى بالمهدى وبالإمام ، وكثرت مخاريقه
، ومن ذلك أنه حج فى ليلة واحدة ، وأنه
ذاع أمره ، وتقاطرت إليه الوفود ، من
يه جماعة ممن ظهروا فيما بعد ، فى ميدان
وزير ، وابن عفان ، وكلاهما من زعماء
ومحمد بن عمر ، وعبد الله بن أبى حبيب ،
ولما شعر أن السلطات فطنت لأمره .
ن أصحابه ، وأخذوا إلى إشبيلية ، سار هو
لحوزة عند قوم يعرفون ببنى السنة . وكان

عمال المخزنية أى المالية (الحلة السيراء ص ١٩٩).
، وابن الخطيب فى أعمال الأعلام ص ٢٤٩ .

ميرتلة ، ودهم حصنها فى جوف الليل ،
ى عشر من صفر سنة ٥٣٩ ، وضبط
قسى . وحاول المرابطون فى تلك الجهة
وها ، وانقلبوا إلى تخريب تلك المنطقة .
إلى ميرتلة فى جمع حاشد من المريدين ،
نها ، واستقر بقصرها ، وتسمى بالإمام،
يدعوهم إلى الانضمام إليه ، وإلى الثورة
ل تلك الأنحاء ، وقام أهل يابُرة بزعامة
سلطان المرابطين ، وحذا حذوهم أهل
ن المنذر . وكان ابن المنذر هذا ينتمى
، وكان من علمائها ونبهائها ، وقد درس
ووُلى خطة الشورى ببلده ، ثم تزهد
ى شاطئ البحر تعرف برابطة الريحانة ،
يهما . ولما قام بشلب اقتداء بابن قسى
ى شرقى شلب ، وانتزعه من المرابطين

وقوات المسوفة وسائر قبائل المريدين .
ه البيعة والعزم على نصرته ونشر دعوته ،
من البلاد ، وسماه العزيز بالله . وعندئذ
وادى يانه ، وسار إلى مدينة ولْبة على
عليها ، ثم سار منها إلى مدينة لَبلة الواقعة
يوسف بن أحمد البطروجى ، أحد أقطاب
ج من كان فى قلعتها من المرابطين . وهنا
كه الغرور ، واعتزم أن يسير إلى مدينة
ها كانت حينئذ دون أمير يتولى أمرها .
صن القصر وطُلياطة من مشارف إشبيلية
لحصن الزاهر ودخله . بيد أنه حينما وصل
بقوة من المرابطين . وكان أمير الأندلس
حينما وقف على حركات الثوار فى غرب
بيلية ، قد غادر قرطبة فى قواته ، وسار

٢٣١ ، وابن الخطيب فى أعمال الأعلام ص ٢٥١ .

ى قرطبة استدعوا لرياستها سيف الدولة
دا خائبين إلى الغرب ، وفشلت محاولة

سى ّ ، وحليفه السابق سيدراى بن وزير
القبض عليه حينما وفد عليه بمرتلة أثناء
ه إلى ولايته . ولما عاد ابن المنذر خائباً
م مع سيدراى ، ولكن سيدراى ارتاب
ابن قسى ، ابن المنذر لمحاربته ، فهزمه
لب وانتزعها[٢] ، وانتهى بالاستيلاء على
لابن حمدين صاحب قرطبة ، وذلك
ى إلى الفرار ، وعبر البحر إلى المغرب ،
تقدم إليه تائباً متبرئاً من دعاويه السابقة

و ٢٠٤ .
. ٢٥

بعد ذلك حملات أخرى حسبما نفصل بعد .

٢ —

ومة المرابطية العامة بالأندلس ، ثم رأى
كز الحكم إلى قرطبة ، وذلك حينما أصدر
لأمير تاشفين ، متولى شئون الأندلس ،
م استدعى تاشفين إلى المغرب فى سنة ٥٣٢ هـ
سف سنة ٥٣٧ هـ ، وخلفه ولده تاشفين
صحراوى والياً لقرطبة ، ومشرفاً على
ابطى ، وذلك فى سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣م) .
انية ونشأته ، وأعماله فى شرق الأندلس.
مغرب ، وتقوضت دعامتها تحت ضربات

علام ص ٢٥١ .
٦ ص ٢٣٤ .

بو القاسم بن رشد قوتيا حو عاين ا م
دون أن يعين خلفاً له ، ووقع بعد ذلك
طين ، فخرج إليهم ابن حمدين ، وتمكن
ر حكمته وشهامته ، وبقيت قرطبة دون
لأهلها أن يختاروا لهم قاضياً ، فأجمعوا على
لثانية فى سنة ٥٣٦ هـ ، واستمر فى منصبه

وحوادث الثورة فى الغرب ، قد أخذت
مر من جديد فى أذهان الشعب القرطبى ،
لأندلسى شعباً سريع التقلب ، سريع الهياج.
ن غانية ، يبتعد فى قواته صوب إشبيلية
ت قرطبة بالثورة ، وثارت العامة بالوالى
وا خلعه ، وخلع دعوة المرابطين ، ونادوا
ويع ابن حمدين بالإمارة فى المسجد الجامع ،
ن من شهر رمضان سنة ٥٣٩ هـ . واستقر

ـد الشرقية . وكان فريق من أهل قرطبة
رك سرقسطة السابقين — خير ممثل للزعامة
على استدعائه ، ليتولى إمارة قرطبة . ولبى
طبة ، فدخلها بممالأة فريق كبير من أهلها ،
صن فرنجولش المنيع ، الواقع شمال غربى
امورينا) . بيد أن هذا الإزعاج لم يطل
على قيام سيف الدولة بالأمر ، حتى ثار
، وفتكوا بابن الشماخ وزير سيف الدولة ،
ناجياً بنفسه ، ولما يمض على وجوده فى
جيان ، وكان قد ثار بها القاضى ابن جزى ،
ـة حوادث أخرى نرجئ التحدث عنها ،

ج ١ ص ٣٨ و ٣٩ ، وابن الخطيب فى أعمال الأعلام
وفى مخطوط الإسكوريال السالف الذكر لوحة ٣٩٢ .

للذميمة ، التى كانت عماد الطوائف فى
اهل قشتالة ، القيصر ألفونسو ريموندس .
« أطمع القيصر فى قرطبة » ، فاستجاب
ية إلى نصرته . ولكن الرواية النصرانية
حمدين ، الدوق فرناندو خوانس فى بعض
، ولم يستطع ابن غانية ، دفعاً للنصارى ،
رى فى أثره ، ومعهم حليفهم ابن حمدين
ن قرطبة فى العاشر من ذى الحجة سنة
غانية فى المدينة ، يدافع النصارى فى
قرطبة ، واستباحوا المسجد الجامع ،
ت رؤوسا للثريات ، ومزقوا المصاحف ،
وا المنار من الصومعة ، وكان من الفضة

غرب ص ٢٢ ، وابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٤ ، وابن
لكن ابن الأبار يرسمها ابن غرون الحلة السيراء ص ٢٢٢
F. Codera : cit. Anales To

بخط على بن أبى طالب . قال أبوالحسن ،
ث البخارى[2] .

وأخذ فى تحصين القصبة ، واشتد فى
لما أثموا به فى حقه وغدروا به . وعهد
ج العلج ، وكان حازماً شديد الوطأة ،
يراً من أموالهم .
تاليين نحوعام آخر ، تطورت الحوادث
قرطبة مع النصارى ، وسار إلى حصن
عبر البحر إلى المغرب ، وسار إلى مقابلة
قائه ، من زعماء الثورة فى الأندلس ،
ر لها (أوائل سنة ٥٤١ هـ) حسبما تقدم
اد إلى الأندلس فنزل بمالقة ، فى كنف
حاول مرة أخرى أن يسترد سلطانه

الإحاطة فى ترجمة ابن غانية (مخطوط الإسكوريال

سكوريال) نفس اللوحة السابقة .

ولما شعر ابن أضحى بتفوق المرابطين ،
لبة ، وابن جزى قاضى جيان ، فبعث
أخيه على بن أبى القاسم المعروف بابن
أن رأى فريق من أهل غرناطة ، أن
، ويستطيع مغالبة اللمتونيين ، واقترح
لدولة بن هود ، لقدم بيته ، وبعد صيته
ن القواعد ، وأيدهم فى ذلك ابن أضحى
ابن هود ، فلباها ، وقدم إلى غرناطة
ط الحند » . فلما رأى ابن أم العماد تطور
ه ثانية إلى قرطبة . وتعاهد ابن أضحى
للمتونيون حين مقدم ابن هود ، قد أنسوا
زوا للقائه خارج غرناطة ، ونشب بينهما
كثير من أصحابه ، وكان ذلك فى اليوم

٢ . ويقول الضبى إن وفاته كانت فى سنة ٥٤٣ هـ
ا كانت فى سنة ٥٤٨ هـ (التكملة رقم ١١٩) .

حوادث ، رواية أخرى خلاصتها ، أن
حمدين وذلك فى رمضان سنة ٥٣٩ هـ ،
من جيان مع بعض قواد الثغر مدد لابن
هل غرناطة ، فخرج إليهم الملثمون ،
صبة . ودامت الحرب بين الفريقين مدة
ن أبى جعفر القائم بمرسية فى عسكر قيل
جل ، فخرج إليهم الملثمون مرة أخرى
عادوا إلى الاعتصام بالقصبة مرة أخرى.
ة من باب مورور ، فاستقبله ابن أضحى
بقدح من الماء المسموم ، فصاحت به
تناول القدح وشرب منه ، لكى يدفع
ابن هود إلى القلعة الحمراء ، والقتال
كان ذات يوم تمكن الملثمون فيه من

والتكملة لابن عبد الملك المراكشى ، وقد وردت فى
خة خزانة الرباط المصورة عن نسخة باريس) .

يلفت النظر فى هذه الأحداث المتشابهة ،
ورة ضد المرابطين لم يكونوا زعماء الجند،
لم . فى قرطبة ، وجيان ، وغرناطة ،
، كان زعماء الثورة قضاة ، فقهاء أدباء
العصر . وقد نجد تعليلا لتلك الظاهرة ،
فى ظل الدولة اللمتونية من واسع الجاه
عامة المحلية ، التى كان يتمتع بها من قبل
ظهم حينما قضت الدولة اللمتونية على دول
اللمتونية فى الأفول ، وانهار سلطان أولئك
سلطانها ونفوذها ، حاولوا بإضرام نار
م ، أولا أن يحتفظوا بسابق رياستهم ،
بعد ما تحطم نير الدولة الغالبة . وسوف
الثورات المحلية الصغيرة ، سواء بالقضاء

وقد وردت بها مقطوعات شعرية أخرى لابن أضحى.

القصبة ، ولبث على منازلتهم ستة أشهر ،
واستقر بها وتسمى بألقاب الإمارة ،
سند إليه ولاية قرطمة وما إليها .
ا من الحصون المجاورة ، استمروا فى
أن يستعين بالمرتزقة النصارى ،واضطر
المدينة بالمطالب والمغارم المختلفة ، فنقموا
ن خاصته، كان قائد الحرس ببابه يدعى
الحكم . ونجحت المؤامرة ، واستطاع
لأبواب ، وأن يملكوا القصبة ، فامتنع
بأعنف ما يستطاع ، فلما نفدت جهوده،
حل داره ، وأراد أن يقتل نساءه وبناته
ورت الداخلية ، فعمد عندئذ إلى إحراق
وره ، فتحامل على نفسه ، وطعن نفسه
ارتمى وهو يحتضر متخبطاً فى دمه ،
حالة ، ومات بعد يومين فى الحادى عشر

ى. واستطال عهده عدة أعوام . ولما قام
شرق الأندلس ، وزحف على القواعد
كه ، ومحاربة الموحدين فى نفس الوقت ،
صارى ، فلما رأى ابن ملحان أنه لاطاقة
ى ذلك الوقت قد استولوا على غرناطة ،
خرج عنها ، واستولى عليها ابن مردنيش
ى فى سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) . وعبر
فى خدمة الموحدين ، واستعمل بمراكش
حيرة وإجراء مائها ، ثم نكب بعد ذلك
توفى فى بؤس وضعة(٢) .

— ٦

حمن بن جُزى ، وأنشأ بها حكومة مستقلة ،

٢ ، والإحاطة ج ٢ (القاهرة) ص ٨٩ .

س عريقاً من خصومة سعوا إلى إسقاطه،
ن ، صاحب شريش ، فى القدوم إلى
، وقدم إلى رندة ، واستطاع بمخادعة
، وانتزع أموال أخيل وأموال أصحابه ،
بر البحر منها إلى المغرب ، واتصل فى
وفادته ، وساعده فيما بعد على استرداد
دلس ، وولى قضاء قرطبة ، ثم قضاء
(١١٦٦ م) ، وكان أديباً مطبوعاً

الذين خلعوا طاعة المرابطين ، فقام فى
، فى نفس الوقت الذى قام فيه أحمد
ن بسرعة ، وبسط سلطانه على أركش،
فى البداية تحت طاعة ابن حمدين صاحب

ثورة ابن جزى فى جيان إشارة عابرة ص ٢٥٩ .

. على أننا نؤثر الأخذ بالرواية المتقدمة :
الأندلس ، ثم تفصل لنا أعماله وحركاته
د المؤمن بما يتفق مع باقى الحوادث التى
، وهى رواية يؤيدها ابن الأبار ،
بذلك فى نظرنا أوثق وأكثر قبولا[3] .

الأندلس ضد المرابطين بذكر زعيمين
ون والى ثغر قادس ، وقائد الأسطول
مة الزعماء الذين خلعوا طاعة المرابطين ؛
وسار إلى لقاء عبد المؤمن ، وكان يومئذ
ته ،ثم عاد إلى قادس ، وأقام بها الخطبة

. ١

بيان المغرب القسم الثالث ص ٢٢ ، وابن خلدون

وأية بعد ذلك : متى وفي أي ظروف ؟

تلال الموحدين لقرطبة وجيان وأبدة وبياسة . قيام
حتى جيان . قيام الثورة ضده فى بلنسية . اقتحامه
لورقة . رسالة عبد المؤمن لابن مردنيش . استيلاء
محمد لولاية العهد . ظروف هذا الاختيار حسبما
ذلك . عبد المؤمن يولى أولاده حكم البلاد . مهاجمة
لية إليها . احتلاله لبلة وفتكه بأهلها . القبض على
الرنق . إنشاء عبد المؤمن لبستان شنطلولية . طوافه
صحف العثمانى ونقله من قرطبة إلى مراكش . إنشاء
كيت لولاية قرطبة وعبد الله بن أبى حفص لولاية
عبد الله بن أبى حفص لأراضى البرتغال . تسليم
داد ألمرية من النصارى . مسير السيد أبو سعيد والى
ا . محاصرة الموحدين لألمرية . مبادرة ملك قشتالة
استمرار الحصار وفشل كل محاولة لإنجاد الحامية .
م النصارى وعودة ألمرية إلى المسلمين . انسحاب
قشتالة ألفونسو السابع . حوادث الغرب . امتناع
ة ومحاصرتها . إتفاق الموحدين مع الوهيبى . تخلى
إلى المغرب . الوزير ابن عطية . توليه الوزارة
د السلام الكومى الوزارة فى غيابه . سعى خصومه

ون زعيم شريش وأركش ورندة ، وأبو
وفدا عليه فى أوائل سنة ٥٤١ﻫ وهو على
ل فى حوادث الأندلس ، وإنجاد زعمائها
الوقت أو بعده بقليل على عبد المؤمن
يم ثورة المريدين أحمد بن قسى ، عقب
لى يد خصمه ومنافسه سيدراى بن وزير
وضعه ظروف مقدمه على عبد المؤمن ،
مقدمه ، ومكان لقائه به . ثم وفد على
فتتاح مراكش ، وفد كبير من إشبيلية ،
وعدة من زعماء إشبيلية ، يحملون إليه
الموحدين لها . وفى أواخر سنة ٥٤٥ ﻫ
المؤمن ، وهو بسلا يعد عدته لافتتاح
ف حواضر الأندلس ، ومن بينها كثير
فقهاء والقضاة والزعماء والقواد ، بلغوا
رة عدوان النصارى على الأندلس ،

ى بالسابقين الأولين ، وحررت أملاكهم
قدمت عليهم وفود الأندلس للسلام ،
ين السابقون ، ثم تتلوهم بقية الوفود .
لا عن ابن فرحون ، دخول الموحدين
دخل الموحدون بلدة طريف والجزيرة
ى منها إلى إشبيلية[٢] . بيد أن هذه الرواية
س ، تعارضها رواية أخرى هى رواية
ن تدخل الموحدين فى شئون الأندلس
ش موحدى وُجه إلى الأندلس ، دخلها
و أنه حينما كان عبد المؤمن يعسكر بجيشه
فد عليه على بن عيسى بن ميمون قائد
دم إليه طاعته ، ثم عاد إلى الأندلس ،

وابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٤ ، والحلل الموشية
ة السيراء ص ٢٠٠ .
.

ش آخر بقيادة موسى بن سعيد ، ثم
نهاجى ، وكانت مهمة الموحدين فى شبه
ثوار معاً . وكان عبور هذا الجيش
سنة ٥٤١ هـ . وبعد أن استولى الموحدون
روا إلى مدينة شَريش حيث انضم إليهم
م ساروا إلى مدينة لَبلة ، فأعلن صاحبها
وقصد الموحدون بعد ذلك إلى مِرتلة ،
ئذ تحت سلطان منافسه سيدراى بن وزير
، وردوا أمرها إلى ابن قسى . وساروا
وكانا لنظر ابن وزير ، وعلى بطليوس
أعلن ابن وزير الطاعة ، وأطلق سجينه
ريدين ، وكان قد تغلب عليه وسجنه

. ٢
ج ٦ ص ٢٣٤ .

الله بن العربى ، ولد القاضى أبى بكر
وتم فتح إشبيلية فى اليوم الثانى عشر من
م)[2] وكتب بالفتح إلى عبد المؤمن ،
س ، ثم قدم إليها بعد افتتاحها بقليل ،
يحمل إليه بيعة أهلها ، حسبما ذكرنا
.

بإشبيلية ، عبد العزيز وعيسى ، أخوا
، عند فتحها دون أمير يتولى حكمها ،
وبغى كلاهما وطغى ، واستحلا سفك
ظلهما مسرحاً لشر ضروب الفوضى ،
حب لبلة ، فاعتزما الفتك به ، فغادر

ج ٦ ص ٢٣٤ .
، وابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٤ ، وابن الأثير
ى ان افتتاح الموحدين لإشبيلية كان فى سنة ٥٤٠ ه

من معاقل ابن عزون ، ثم سارا ومعهما
برة حتى افتتحوها ، وقتلوا من بها من
بحر بعد ذلك إلى المغرب ولحقا بمراكش
كره فى أخبار الخوارج على عبدالمؤمن[1]

إشبيلية وغربى الأندلس ، بادر فبعث
بقيادة يوسف بن سليمان ، وندب برّازاً
. وسار يوسف فى قواته أولا إلى لبله ،
ه ، وتلا ذلك إخضاعه لطلياطة ، وحصن
ضع مدينة طبيرة ، وأعلن صاحبها عامل
ن ميمون صاحب شنتمرية الغرب وقادس
حمد بن على بن الحجام صاحب بطليوس ،
لميفة عبد المؤمن ، فقبلت وكان لها وقع
مقابلة الخليفة عبد المؤمن ، وهو بسلا
دين تقدم ذكرهم وفى مقدمتهم سيدراى

واقتحمت طائفة منهم الحصن ، وفتكوا
هدى إليه من ملك النصارى ، ونصبوا
ولاءهم للدعوة الموحدية ، وذلك فى
مبر ١١٥١ م) ، وبذلك انتهت رياسة
ا أول من أعلن الخروج والثورة على

سيما فى علم الكلام والتصوف ، وشاعراً
ى نظمه . فمن ذلك قوله يشيد بثورته :

ولا الحرب تطفأ بالرّقا والتمائم

موازدها ماء الطلى والغلاصم

ونضرب بالبيض الرقاق الصوارم

السيراء ص ٢٠٠) . ويسميه ابن الخطيب بصاحب
رة البرتغال الناشئة (أعمال الأعلام ص ٢٥١) .

غرب فى هذا العصر :

فحسبك أن تلقى وانت مبور

على كل حال لا يدوم سرور

إذا أعرضت أبقى لداك عسير

فإنّ أبا بكر بذاك جـدير

فما بعـده حرٌّ إليه نُشير(٢)

— ١

الحوادث فى غربى الأندلس ، وما انتهت
منذ إشبيلية حتى شلب فى قاصية ولاية
الأندلس .

يحي بن غانية المرابطى سلطانه عليها ،
شتالة ، وغادرها زعيمها السابق القاضى

٢ و ٢٠٤ ، وأعمال الأعلام ص ٢٥١ و ٢٥٢ .

ومضاعفة الجزية المفروضة عليه . والظاهر
مطله واستمهله بعض الوقت . واتصل
المسوفى والى إشبيلية الموحدى ، وكان
، واجتمع الإثنان خفية بمدينة إستجة ،
رطبة وقرمونة للموحدين . ويقول لنا
عبد المؤمن « بما أحب» دون أن يوضح
التخلى ، وربما كان ذلك هو معاونة
ى ثم فإنه لما بعث ملك قشتالة سفراءه
قبض عليهم وبعثهم إلى قلعة بنى سعيد
مشددة ، واضطر النصارى إلى الإفراج
غانية قرطبة إلى غرناطة ، وهى آخر
الجزيرة ، وذلك فى جمادى الثانية سنة
ر اللمتونى مع جماعة من قادة المرابطين.

لإحاطة (مخطوط الإسكوريال السالف الذكر)
٣٩ فى ترجمة ابن غانية .

وكان قرآنه مزارا معروفا يتبرك به حتى
عشر)[٣] .

العلج فلـوج غرناطة إلى حصن بنى بشير ،
أمواله وذخائره ، وكانت مقادير طائلة
. ثم خطر له أن يلحق بابن أخى مولاه
جلا من أهل سرقسطة يعرف بابن مالك ،
ا علم الموحدون بما حدث ، سارت منهم
لى الحصن ، واستولوا على سائر ما كان
نها ذخائر جليله[٤] .

ناباهاً ، وجندياً وافر الجرأة والشجاعة ،
فس الوقت سياسياً فطناً ، وحاكما وافر

خلدون ج ٦ ص ٢٣٥ ، وابن الخطيب فى الإحاطة

ج ١ ص ١٠٣ و ١٠٤ .
سكوريال) لوحة ٣٩٢ .
سكوريال) لوحة ٣٦٠ .

د أنه كان احتلالا قصير الأمد ، ذلك أن
انية ، على التخلى لهم عن قرطبة ، لم يفهم
صن أندوجر ، يرقبون الفرصة لاحتلالها ،
بيلية ، جهز فى الحال حملة موحدية بقيادة
ازرها قوة أخرى بقيادة يوسف البطروجى
لمؤمن فى نفس الوقت لإمداده بالعساكر ،
، جيشاً موحدياً بقيادة أبى زكريا يحيى
صوب قرطبة ، فلما شعر ملك قشتالة
يرد أن يشتبك وهو بعيد عن قواعده
فغادر قرطبة فى قواته لأيام قلائل من
سطوا سلطانهم عليها ، وذلك فى شهر رجب
لائل على ذلك حتى احتلوا مدينة جيان ،
ناً ، ويحاولون احتلالها[1] . ثم استولوا

ض القرطاس ص ١٢٥ .

بلنسية وابن مردنيش بعيد عنها ، ثورة
ان عبد الملك بن شلبان فى حكمها . فارتد
ى حين . ولم يشر إلى قيام هذه الثورة ،
بار(1) . بيد أن هنالك نص آخر يشير
عن رسالة موحدية ، بعث بها الخليفة
بن سعد » من حضرة مراكش مؤرخه
الظاهر من نص هذه الرسالة ، أن هذه
ن سعد ، كانت تعلن « التوحيد » شعارا
قتحام بلنسية ، وإخضاع الثورة ، قد
للدعوة الموحدية . كذلك يبدو من هذا
الميل إلى الدعوة الموحدية ، وأن ابن سعد
، ويدعو الخليفة عبد المؤمن فى رسالته
حول فى الدعوة الموحدية ، ويلفت نظره

الجزء الثانى – رقم ١٣١٣ و ١٣٩٤ .

) سنة مليئة بالأحداث الهامة بالنسبة
أن نعتبر أن أهم حادث وقع فيها ، هو
البكر محمد . ونحن نعرف أن الدولة
ية ، وأن عبد المؤمن ، حينما أتيح له أن
كن قيامه فى الخلافة نتيجة وراثة أو ولاية
نتيجة لاختيار مختلف القبائل والطوائف
رغم من كونه لم يكن من قبيلة المهدى ،
مهدى ، أوثق أصحابه وتلاميذه صلةبه ،
منذ وفاة المهدى ، تطوراً عميقا ، وقام
ة بأعظم دور ، وأبدى فى مصارعةخصومها
سحى عاهلها القوى يقود مصايرها بعزم
الموحدية ، تحبوه بمطلق تأييدها وطاعتها .

شارة إليها ، الرسالة العاشرة ص ٣٦ و٣٧ . وقد
ص ٤٤٣ .

ا ، وأنهم لما رغبوا إليه في ...
، محمداً بالذات ، ورغبوا إليه فى أن
ؤمن لم يكن له فى ذلك كله قصد ينويه ،
مع حوله بسلا شيوخ الموحدين وطلبتهم
وتقدمهم الشيخ الأجل أبو حفص عمر
لك ، وأنهم يرون وجوبه وتنفيذه ،
. الشرع ورسومه ، وأكد سائر الطلبة
جوب تحقيقه ، « لأن فيه من إبقاء الأمر
اتباع الدين من أخلائه وأحبابه ، وقطع
تيابه ، والنظر فيما يجمع كلمة الموحدين ،
لقصد الصالح وأعقابه ، ما ابتنى عليه
هم وإطلاقهم » . ثم يزيد عبد المؤمن على
د سابق ، ولا نظر لاحق ، وأنه لما رأى
الأمر وعقده ، استخار الله فى الاتفاق

ص ١١٨ .

الأساسية فى القضاء على الدولة المرابطية ،
لم يكن ثمة شك فى أن تحقيق هذه المهمة
بعبقرية عبد المؤمن ، ومقدرته العسكرية
أن يتطلع عبد المؤمن إلى الاحتفاظ بثمار

الموءمن لم يحقق ولاية العهد لولده ، نتيجة
ئل ، حسبما يؤكد لنا فى رسائله ، ولكن
ن ، دبره عبد المؤمن بالتفاهم مع بعض
بتوطد مركزه ، وكثر أولاده من حوله ،
ى أمراء العرب من بنى هلال وزغبة
يهم ، ودفع إليهم من يقول لهم ، أن
د من بنيه ، يرجع الناس إليه من بعده ،
من فى بادئ الأمر ، إكراماً لأبى حفص

ر – الرسالة الثالثة عشرة ، ص ٥٦ – ٦٠ .
رة ، ص ٦٢ .

ية ومالقة والجزيرة الخضراء ، والسورر
صنهاجى ، ومن الكتاب الفقيه أبا الحكم
طفيل . ويضع البيذق تاريخ هذه التولية
الخليفة أعطى ولده يوسف حكم إشبيلية .
التاريخ . وولى ولده أبا الربيع حكم تادلا ،
إلينا البيذق بهذه المناسبة بعض البيانات عن
عمر ويوسف شقيقان وأمهما صفية بنت
٥٤٨ هـ ، وُلد للخليفة ولده يعقوب بقصر
ابن وزير ، وولد عمر الرشيد فى عرض
ند ولايته صبياً صغيراً ، وأمه لمطية من قبيلة
يد اسماعيل ، وأمه بنت ما كسن بن المعز ،
وأخوه موسى وأمهما من بلاد السوس[٢] .

١١٧ ، وابن الأثير ج ١١ ص ٧٩ ، وابن خلدون
و١٣٧ .

عمية بارتكاب هذا الجرم . ووقع القتل
عشر من شعبان سنة ٥٤٩ هـ . فلما بلغ
كبه من شنيع السفك بأهل لبلة بمحض
له بن أبي حفص إلى إشبيلية ومعه أمر
بن محمد ، وأخذاه يوم الفطر مكبلا ،
سليمان ، فاعتقل بمنزله ، واستمر على
وسار ابن يومور في ركبه ، فعفا عنه
عثه إلى تلمسان صحبة ابنه السيد أبي حفص
فقته[1] .

ر صاحب باجة ويابرة إلى مراكش ،
ونسو هنريكيز ، وهو المسمى في الرواية
وانه على الثغور ودأبه على غزو أراضيهم
م ، وتشتيت شملهم ، فوعده الخليفة

٣ ، وروض القرطاس ص ١٢٧ ، وابن خلدون

، أو ثلاثة من غرسه كان إيراد زيتونه
ؤمنية على رخص أثمان الفواكه[٤] .
الوزير أبا جعفر بن عطية ، دخل على
ى قبة مشرفة على البستان ، فسحره جمال
ؤمن ، فأبدى له أن المنظر الحسن إنما هو
جرى الخليفة عرضاً لعسكره ، ومرت
، وكان إلى جانبه وزيره ، فالتفت إليه
جعفر لا ثمارك وأشجارك »[٥].

م (سنة ٥٥٢ هـ) فى الطواف بنواحى
من أشياخ الموحدين وطلبتهم وحفاظهم ،

.
. ١٢

وفود القبائل من سائر تلك الأقطار ،
يعاً بالرعاية والإكرام ، « وأفهموا فى
ائد الدين المتين ، ما شرح صدورهم ،
وتمسكهم بدعوة التوحيد .

مقاصدها ، فى العمل على إحياء الدعوة
قبائل بما يجب عليهم نحوها من الولاء
ج والردة، وتنقية النفوس من الشوائب .
رمضان سنة ٥٥٢ هـ ، وصدرت عن
ضة ، من إنشاء كاتبه أبى عقيل بن عطية ،
ة كتبت بأسلوب بليغ مشرق[1] .

الأحداث المباركة ، فكان بعد الحج
من قرطبة إلى مراكش ، تحقيقاً لرغبة
أحد المصاحف الأربعة المشهورة التى

سائل الموحدية ، وهى الرسالة السابعة عشرة

ف السيدان أبو سعيد وأبو يعقوب ولدا
الخليفة بأعظم آيات التبجيل والإجلال ،
اليواقيت والأحجار النفيسة ، وتابوتاً من
ر ، وعمل لحمله كرسى فاخر كذلك ،
دمة جيشه فى حملاته تبركاً به ، وقد حمله
ولبث هذا المصحف النفيس لدى الخلفاء
دولتهم .

بإنشاء المسجد الجامع بمراكش ، وبدئ
ه ، وأنشأ له « ساباطا » يوصل إليه من
بصنعه فى الأندلس ، من خشب العود
لفضة ، وصنع له مقصورة من الخشب

ى السودان ومصر والأندلس » ص ٢١٠ و ٢١١ .
قصة هذا المصحف وحمله إلى المغرب كاملة مفصلة ،
ئع التحف والذخائر (نفح الطيب ج ١ ص ٢٨٤ —
١١ و ١١٦ ، والمعجب ص ١٤٢ .

النصرانية فى المناطق القريبة ، وكان
، قد استولوا على حصن أندوجر ،
ك بقليل ، فهاجم ابن يكيت ، حصن
ى ، وتغلب على الحصن المذكور ،
مراكش ، ثم عاد فجهز حملة ثانية ،
استولى منها فى تلك المرة على حصنين
[٣] ، وهما يقعان جنوبى قرطبة ، وبعض

عبد الله بن أبى حفص والى إشبيلية ،
ن ، وكتب إلى ابن الحجام صاحب
بد الله فى قواته من إشبيلية وهى تزداد
والمجاهدين ، حتى وصل إلى بطليوس

Aln

بقيت بأيدى المرابطين ، من بعد وفاة
ة ٥٤٣ ، واستطاع واليها ميمون بن يدّر
عوام السبعة . فلما تتابعت الحوادث ،
. الأندلس الغربية والوسطى ، وتوالت
، شعر المرابطون فى غرناطة بتحرج
فبعث واليها ميمون بن يدر إلى عبدالمؤمن
ن ، فأجابه عبد المؤمن إلى طلبه ، وأمر
سبتة ، وولده السيد أبا سعيد والى سبتة
فسارا إليها ، واستقبلهما ميمون وحاميته
لدينة ، وعاد ميمون وصحبه مع عبد الله
صحبته إلى مراكش ، حيث أنزلوا منازل
زاق . وندب عبد المؤمن ولده السيد
سبتة والجزيرة ، فاستقر بها مع حامية

. ٣٢ و ٣

نه ، وبعث إلى ألمرية بادئ ذى بدء حملة
وقتلت عدداً من النصارى ، ثم ارتدت
، وعلمت من أهله أن النصارى بقصبة
عاً عن المدينة . وعلى أثر ذلك سار السيد
الموحدين ، ومعهم قوة أندلسية بقيادة
ابق ، بينما قصد إليها من البحر أسطول
له بن سليمان . وضرب الموحدون حول
نيق ، وابتنى السيد أبو سعيد فوق الجبل
راً يمتد إلى البحر ، وأمامه خندق عميق ،
لى المدينة . وشعر النصارى بالقصبة منذ
ن بعاهلهم ، وهرع ألفونسو السابع أو
ة ، لإنجاد المحصورين فى جيش قوامه
ه محمد بن سعد بن مردنيش أمير شرقى
سلمين . وكان مقدم الأمير المسلم فى هذا

ن المغرب القسم الثالث ص ٣٣ .

ا ، ووصل ابن عطية إلى ألمرية ، وقد
الحصار، ففاوضهم ، ونجح فى إقناعهم
رية فى أواخر سنة ١١٥٧ م (ذوالقعدة
دام سبعة أشهر ، وعاد الثغر الإسلامى
ى زهاء عشرة أعوام . وكان السيد
إلى غرناطة خشية عدوان القشتاليين .
ردنيش اضطرا إلى الانسحاب خائبين ،
ض ألفونسو السابع فى طريق العود إلى
ليها فى بلدة مورتلة (مورادال) وذلك
ن مردنيش فى قواته إلى بلاده[٢] .
غرب تطورات جديدة . وذلك أن عليا
وحدون ، سار إلى ثغر طبيرة الصغير ،

La Fuente: Historia General de Es
: ابن الأثير ج ١١ ص ٨٤ ، والبيان المغرب
١ ص ٢٧٢ ، وابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٧ .

قد طلبوا إلى السيد أبى يعقوب إقالة
هم ، ومن ثم فقد عين لولاية شلب وبلاد
ون الهزرجى ، وبعض الحفاظ الموحدين .
ف فى النصف الأول من سنة ٥٥٢ هـ ،
ابن عطية قد قام بمهمته فى ألمرية بعد أن
ليس من الممكن أن يكون اشتراكه فيها
قطت ألمرية كما رأينا فى أيدى الموحدين

ـ ٥

بمراكش حادث محزن ، هو نكبة الوزير
ن عقيل بن عطية .

جعفر ، وظهوره خلال المعركة التى

.
. ٣٤

ر به ، وتتبع عوراته وسقطاته » واغرى
يقول لنا ابن الخطيب « فبروا وراشوا
ى جعفر ، ممالأته اللمتونين ، وإسرافه
ائف ، وفوق ذلك ، فقد كانت زوجه
أمها ابنة زينب بنت على بن يوسف[٢] ،
لريب ، وتدمغه فى نظر المتعصبين من
ى جانب الوزير عبدالسلام الكومى ؛ رجل
منيعة ، هو القاضى مروان بن عبدالعزيز ،
سعى فى إطلاق سراحه من سجنه الطويل
واليها إسحق بن محمد بن غانية ، فعبر
مه ابن عطيه ، وعاونه على الانتظام فى

ال إن والدة عبد المؤمن « تعلو » لما توفى زوجها
الد عبد السلام الكومى ، ورزقت منه بابنة سميت
السلام الكومى لأبيه (أخبار المهدى ابن تومرت

ا ص ٢٧٣ .

صل إلى مراكش ، حتى أمر عبد المؤمن
أيام قلائل إلى الجامع مهانا حاسر الرأس
طبقاتهم ليعلنوا مايعلمونه من أمر الوزير
طلبة ، ووفود الأندلس ، وطلب إليهم
ما يعلمه عن ابن عطية من سوء ، وما إذا
زير عبد السلام الكومى ، قد رتب أعوانه
لحضور بما اقتضاه هواه . ولم يرتفع لسان
صاحب شلب وباجة السابق ، حيث أكد
ليه مضاعفاً ، وأنه لو عين الخليفة للوساطة
من واجبهم أن يعظموه وأن يهادوه . فلما
سجن معه أخوه الكاتب أبو عقيل بن عطية ،
شهر ، وأبو جعفر ، يتوسل إلى الخليفة

٢ ، و٢١٦ ، وفى التكملة (القاهرة) رقم ١٧٥٠ .
(١٩٥٦) ج ١ ص ٢٧٤ .

. . . فيقولون لنا إن عطية بن أبى بكر
. . . ابطين ، الذى فصلنا أخباره فيما تقدم ،
. . . وأكرم وفادته ، وحظى لديه ، وجعله
. . . حة ابن عطية ، زينب بنت أبى بكر أخت
. . . عبد المؤمن أشياء وأقوال نسبت إلى
. . . عليه ، وقرر أن ينكل به ، وصدر عنه
. . . م ، فكان من ابن عطية أن قال لزوجته
. . . ض إذا دعى إلى مجلس الخليفة ، وأن
. . . ففعلت زينب ما طلب إليها ، وتمارض
. . . أفضى إلى بعضهم بما بلغه عن الوزير ،
. . . نه إلى بعض ولد عبد المؤمن . ووقف
. . . م سبب فى نكبة ابن عطية[1]. ولما توجه
. . . ٥٥ ه إلى تينملل لزيارة قبر المهدى ،

. . . ذكرنا فيما تقدم نقلا عن ابن الخطيب ، أن زوجة

أن عبد المؤمن ندم أشد الندم على مثل
ما يؤسف له ، أن يضطر المؤرخ إلى أن
ة ، فى سيرة رجل عظيم مثل عبد المؤمن
سلامية فى المغرب والأندلس ، وامتازت
البطولة ، ولكنا ربما استطعنا أن نلتمس
كانت تضطلع به الدولة الموحدية الفتية ،
هذه الصفحات القاتمة من سحب على سيرة

ن الخطيب فى الإحاطة (١٩٥٦) ج ١ ص ٢٧٣ –
، والاستقصاء ج ١ ص ١٥٢ – ١٥٤ . ونود
دمه لنا ابن الخطيب ، وهو سنة ٥٢٧ ه – لا يتفق
عن على بن يوسف ثم عن ولده تاشفين ثم عن حفيده
ناحية الزمنية ، إذ يكون عمره حين كتب عن على
قيم الأمر إذا قيل لنا إنه كتب عن الأمير إبراهيم ،
شرة من عمره .

تصورها الرواية النصرانية . سيف الدولة بنهود .
أدبه وشعره . ابن عياض يدعو لنفسه فى بلنسية .
نجاحه فى انتزاع مرسية . استرداد ابن عياض لمرسية
سية . مصرعه والخلاف حول ذلك . محمد بن سعد
سعد وحقيقة أصله . ولعه بمصادقة النصارى والتشبه
المالك النصرانية . عقده لمعاهدات صلح مع أمير
عته . حليفه ابن همشك . أصله ونشأته . أعماله
صاهرته لمحمد بن سعد . استيلاء النصارى على قواعد
. استيلاء النصارى على ألمرية وقلعة رباح . استيلاء
سية ومرسية استيلاؤه على بسطة ووادى آش .
أواسط الأندلس .

ضد المرابطين فى أواسط الأندلس وفى
العامة ، التى اضطرمت بها الأندلس
لثورة قد اجتاحت فى الوقت نفسه شرق
كانت الثورة فى شرق الأندلس ، أعرق
فى الغرب ، وكانت تُسيرها منذ البداية
سية الخالصة ، فكانت تضطرم ضد

دلس ، نفس المكانة ، التى تحتلها قرطبة
بارها قاعدة لسلطان المرابطين ،ومركزهم
وكان للمرابطين عناية خاصة بتأمين ثغر
ثغر ، والممالك النصرانية ، يولونه الصفوة
لاتها الأمير مزدلى بن تيولتكان ، محررها
هر تميم بن يوسف ، ومحمد بن يوسف
غانية . وكان على ولايتها حينما اضطرمت
لبة ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن على
عبد الملك مروان بن عبد الله بن مروان
القضاء الأمير تاشفين بن على فى ذى الحجة

. نشوبها فى الغرب ، ونادى ابن حَمْدين
ورة بقواعد شرق الأندلس ، وهاجت
واليها عبد الله بن محمد بن غانية ، وقاضيها

ن المدينة إلى ابن عبد العزيز ، بأن يتولى
لايتكم من ترون من شيوخكم ، فوقع
ل منهم بالمدينة ، وأراد هذا الزعيم الجديد
ستطع ، ثم تولاة الخوف والروع ، ففر
ووقع إجماع الناس على اختيار القاضى
فسعى إلى الانفراد به ، أبو محمد عبد الله
ش ، وأقنعاه بقبول الإمارة ، فقبلهامكرها
ى نفس السنة ، وولى عبد الله بن عياض
لال ذلك فى غاراتهم وعيثهم فى أحواز
ثغر وسار إلى شاطبة ، فخرج المرابطون
وا النساء ، والتقى جند بلنسية بالمرابطين ،
رابطون ، فعادوا إلى الامتناع بالقصبة ،
ابن أبى جعفر محمد بن عبد الله لإنجاد
بة ، وكلاهما يضمر فى نفسه أن يفوز بها ،
أدرك عبد الله بن محمد بن غانية ، الوالى

و واليها السابق أبي عبد الرحمن بن طاهر ،
١١٤م) . وفي أثناء ذلك ، أحاط الجند
عطر ، وغادر القصر خفية ، وتدلى من
ية ، وهنالك قبض عليه ابن ميمون أمير
الله بن غانية ، وكان ما يزال بالمرية ،
.

م الجند للرياسة عبد الله بن محمد بن سعد
ه ، وأسكنوه قصر بلنسية . وفي آخر
لدينة ، وقد وصلته بيعة أهلها ، وهوفي
با وحصن ثغورها . ثم عاد إلى مرسية ،
يش أميراً عليها من قبله ، وهو عم محمد
بعد ، ويعرف بصاحب البسيط ، لأنه
د حسبما نذكر بعد(٢) .

— ٢١٤ ، وابن الخطيب في أعمال الأعلام ص٢٥٦ .

الثورة فى بلنسية وتطوراتها ، أن نتناول
أعمال الشرق .
بعد بلنسية ، وكانت تحتل فى النصف
كز الدفاعى ، الذى تحتله بلنسية فى النصف
لثورة ، واضطراب الأحداث السياسية
ى هاتين القاعدتين من أحداث وتطورات ،
م كان شأنهما حينما اجتاحت ريح الثورة
الغرب والشرق معاً .
سية فى الوقت الذى اضطرمت فيه بقرطبة ،
هذه الآونة بالذات تضطرم الثورة أيضاً
منهم ، يدعى أبو محمد بن الحاج اللورقى ،
ث فى رياسته سوى بضعة أسابيع ، خلال
م رغب فى التخلى عن منصبه لما آنسه من
سيف الدولة بن هود ، قد غادر عندئذ

، ٢١٦ ، وكذلك فى التكملة (القاهرة) رقم ١٧٥١ .

. ونقل إلينا ابن الأبار عن ابن صاحب
د الله الثغرى كان قائداً بمدينة كونكة ،
ار إليه والتحق بخدمته ، وفى خلال
الحاج ثم تبرمه من الرياسة ، فبعث
بن أبى جعفر قاضياً ، وذلك فى منتصف
بداً بالظهور والتعلق بالرياسة ، وحشد
در بهم عند نزولهم بالأمان ، وقتلهم ،
ؤمروه ، وأن يُقدم للقضاء أبو العباس
ى ،فوافقوه على ذلك . ولما عقدت له
سه وتلقب بالأمير الناصر لدين الله ،
لموقة ، وعين لقيادة الخيل زعنون أحد
ابن عبد العزيز فى مقاتلة المرابطين بها ،
ا سراح الثغرى وصهريه . فسارإلىمرسية
ى كونكة . وعاد ابن أبى جعفر إلى متابعة
ين ، وفرار أميرهم عبد الله بن غانية إلى

لحاج وغيره من أعيان مرسية اللاجئين
وهكذا بدأ ابن طاهر إمارته ، فى جو
ولم تمض أيام قلائل على رياسته ، حتى
. الرحمن بن عِياض قائد جند الثغر فى
در بالسير إلى مرسية ، وتلقاه فى طريقه
، تقدم ذكره ، وسلمه إياها ، ثم سار
رسية ، الذين خرجوا إلى لقائه والسير
هادئاً فى قصره ، ولا يدري بما يدور
، مرسية ، وقد برز الناس إلى لقائه ،
حسن ظنه ، ودخل ابن عياض القصر ،
، إلا وقد نُزِع من رياسته ، فانتقل
توقيراً له ، وإشفاقاً لضعفه . وتم هذا
ة ٥٤٠ هـ (أكتوبر سنة ١١٤٥ م) .

. ١٧

، وقتلهم وزيره ابن الشماخ وطائفة من
ان ، وكان قد ثار بها قاضيها ابن جزى
منه . ثم سار إلى غرناطة بدعوة أهلها ،
قاضى ابن أضحى ، ولكنه لم يوفق إلى
٥٣٩ ه عائداً إلى جيان . وسرعان ما ألفى
والمغامرة ، فبعث إليها أولا قائده عبد الله
منها بعد أيام قلائل ، ثم توالت الحوادث
ى ابن عياض قائد جنود الثغر على مرسية ،
ا الحاضرتين . فبعث إليه ابن هود بولده
صطحبه معه إلى بلنسية ، ثم سار ابن هود
ها ، فعجل ابن عياض فى اللحاق به ،
زل بالقصر الصغير ، فعهد إليه ابن هود
س مكتفياً بلقب الإمارة ومظاهرها ،
ـه (أوائل سنة ١١٤٦ م) .

بصر الفونسو السابع أو الفونسو ريموند يس
ث فى الأندلس ،وأمدوه بعونهم، فكيف
ا ؟ والجواب على ذلك نجده فى الرواية
واية ألفونسو السابع» فهى تقول لنا إن
فى قرطبة بعث إلى ألفونسو السابع ملك
ة وقلاعها ، وهى من أملاكه التى تغلب
ضرائب المطلوبة ، فندب ألفونسو أربعة
نريكى ، وأرمنجود ، وبانسيو ، ومارتن
أراضى أبدة ، وبياسة ، وجيان وغيرها،
ات فى قواتهم، وأغاروا على تلك الجهات
اسة ، ونكلوا بسكانها المسلمين، وعندئذ
نوا بطاعته ،فاستجاب لدعوتهم ،وسار

قب بسيف الدولة وبالمستنصر ، شخصية
بنى هود أصحاب الثغر الأعلى ، وحماته
، فإنه لم يكن يتمتع بشىء من خلال
ى عن روطة ، آخر قواعد مملكة سرقسطة
س ، وآثر أن يعيش فى أراضيه وتحت
د المسلمين ، يحقق بها إذا استطاع بعض
الأندلسية ، واقتطاع ما يمكن اقتطاعه
ولة فى حوادث الثورة ضد المرابطين ،
، مثل قرطبة وغرناطة وجيان ومرسية ،
سة ، ولكنه كان يقوم بها بوحى ملك
، لانتهاز الفرص السانحة ، خلال هذا
الأمة الأندلسية ، ولم تكن دعوات

M. Gaspar Remiro, cit. Crónica del
اً تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين
ية ص ٢١٦ .

ـكه قد يطرب الحزين الحزين

ء إذا ما اسـتقل يوماً قطين

ـع فقلبى مع الرفاق رهين

ـه تسلُك الظبـــاء العـين

ك وتعزى لمعطفيك الغصـون

ما تجلت عن مثلهن الدجون(١)

*

ى عياض الدعوة لنفسه ببلنسية ، وكان
س نائباً عنه بها ، وكان قد عهد فى نفس
من قبل ، يشترك فى حوادث مرسية
الإمبراطور ألفونسو ريمونديس ليعقد
، فعاد من سفارته هذه ، وزعم أن
تعان على دخولها بطائفة من الخوارج

شرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٤٢ هـ
ابن الأبار إنه توفى قتيلا من جراء سهم
(¹). ويقول الضبى إنه قتل بالعكس خلال
بة من بلِّش وحمل جثمانه إلى بلنسية ودفن
بلنسية محمد بن سعد بن مردنيش، وأعلن
ارة من بعده، فبايعوه على ذلك. ويقول
فاة، أشار إلى من اجتمع إليه من الأعيان
ى أن يوصى برياسة ولده لأنه كان يشرب
ل بلنسية بايعوا ابن سعد، ونصبوه أميراً
سية فقد اختار أهلها للإمارة عليهم نائب
كنه لم يمكث فى الإمارة سوى فترة يسيرة
عنها لابن سعد أمير بلنسية. وهكذا نجح
ث ابن عياض بأكمله، وخلفه فى إمارة شرق
لأولى سنة ٥٤٢هـ (أكتوبر ١١٤٧ م)

، وابن الأبار فى الحلة السيراء ص ٢٢٠.

قلاع طرطوشة المنيعة تسمى بنشكلة ،
وإذن فقد كان حينما تولى إمارة شرقى
من عمره . وقد كن أبوه سعد بن محمد
، حينما حاصرها ألفونسو المحارب ملك
١١٣٣م) ، وأبدى فى مدافعة النصارى
عوا الحصار غير مرة ، إلى أن وفدت
بن غانية ، وكان ما كان من انتصار
سيما فصلناه من قبل فى موضعه ، وعمه
ر ابن عياض ، ونائبه فى بلنسية ، وهو
رة .

ن باسمه ولقبه ، وصفاته الغريبة الفذة ،
، فهو وفقاً لاسمه المدون جذامى ، أو

ير الواقع جنوبى طرطوشة .
٤٩٢ ، فى ترجمة أبى يوسف يعقوب المنصور .
يها .

ت . ويزودها بأسباب الرخاء و...
ن المال والإقطاعات ، وذهب فى ذلك
شكنس ، وهو المسمى بيدرو دى أثاجرا
قها وأراضيها ، وقد أنشأ بها هذا الفارس
ء هذا الإغداق الفياض على النصارى أن
وم المختلفة على رعاياه المسلمين[4]. وكان
Rey Lo أو Lobo أعنى « الذئب» . وفى
م الأخير أطلقه عليه النصارى لما أثر من

رة القديمة) ج ٢ ص ٨٥ .
Dozy : Rechercbes (1881) V·I. p. 365-Co
Almoravides p. 113 & 311
انية Albarracin . وقد كانت أيام عصر الطوائف

علام ص ٢٦١ ؛ وكذلك . Dozy: Recherches.

A. Piles Ibars : Valencia A

شرة أعوام ، تم عقد معاهدة أخرى مع
ا إتاوة قدرها عشرة آلاف دينار مرابطية
ين الذين يقطنون فى بلنسية ودانية فندقاً
مجانياً فى كل أسبوع ، وتعهدت جمهورية
لأحد من رعايا الملك لوبو فى طرطوشة
قدم يراسل كثيراً من الملوك النصارى فى
يا القيمة . ومن ذلك أنه أرسل إلى هنرى
هب والحرير والخيل والجمال ، وبعثه

ئق عزمه وشجاعته وإقدامه ، كما ظهر
خطيب إنه «كان له يومان فى الأسبوع ،
ه ، ويجود على قواده وخاصته وأجناده،
بها على الأجناد ، ويتخلل ذلك لهو كثير»

F. Codera: Decad. y Desp,. de de los

. ولما سقطت سرقسطة فى أيدى النصارى ،
همشك إلى قشتالة ، وخدم ملكها حيناً ،
لأندلس ، وخدم اللمتونيين بعد أن أعلن
لما ندب يحيى بن غانية لولاية قرطبة
سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) التحق بخدمته .
عالم التالى ، وتسمى بأمير المسلمين ، وكان
ثوارها ، بعثه ابن غانية رسولا إلى قرطبة
. ولكن الحوادث اتخذت يومئذ فى قرطبة
الأندلس ، وتوالت الإنقلابات فى قواعد
، وقد تغلب يومئذ على بلنسية ، ولم يمض
همشك فرصة لاحتلال حصن شقوبش ،

.٨٣
. ٣٢٢
. ٣
M. Gaspar Remiro :

ون الفرص لانتزاع القواعد القليلة الباقية
صدتهم هزيمة إفراغة المروعة (٥٢٨هـ)
لثورة فى الأندلس ضد المرابطين ، وشغلت
ذود عن نفسها ، وشغل الزعماء الثائرون
ل الثغر الأعلى ، بأن الفرصة قد سنحت
قية ، داخل الثغر الأعلى تنحصر فى لاردة
ر طرطوشة الواقع عند مصب نهر إيبرو
د إمارة برشلونة . وكانت طرطوشة أولى
النصارى . وكانت قد غدت فى أواخر
امرين من رواد الحملات البحرية ، التى
ورة ، فدعا البابا أوچين الثالث إلى حملة
ارى من الأرجونيين والقطلان والبيزيين
رامون برنجير أمير برشلونة » وضربت

. Se

ج ١ ص ٣٠٦ و ٣٠٧ .

قد كانت هذه القواعد ، تابعة من قبل
فى أيدى الأرجونيين ، أصبحت تابعة
لمرابطى ، وإذن فقد كانت هذه القواعد
الإسمية على الأقل . بيد أن ابن مردنيش
، وكان ارتباطه برباط الصداقة والمهادنة
دون أية محاولة لإنقاذها ، تفسد علائقه
فقد كان الدفاع عن هذه القواعد النائية
غير ميسور . ومن ثم فإن ابن مردنيش
، وإن كان قد لبث يعتبر نفسه حامياً
عة ، يدل على ذلك أنه حينما عقد معاهدة
فيها أن تتعهد چنوة بألاتوقع أية أضرار
، وقد كانت چنوة ضمن البلاد التى

روض القرطاس ص ١٧٦ ، والإحاطة ج ٢
Codera : Ib

س يومئذ، من تفرق كلمتها وتبدد قواها
نى به الموحدون ، مذ ثبتت أقدامهم فى

ند استولى فى نفس الوقت على معقل من
ة رباح ، وذلك فى أواخر سنة ٥٤١ ه
، ثغر ألمرية بأشهر قلائل . وقد أحدث
ثغرة خطيرة فى خطوط الدفاع الأندلسية .
هذه القلعة الشهيرة فى حوادث الصراع

مل على توطيد سلطانه .وقد كان حريصاً
أو داخلى ، حتى لقد بلغه خلال سيره
ى هاجموا حصن « حلال » فكر إليه ،

طاس ص ١٧٦ . وراجع : **Lafuente : Hist**





ابن وزير ، ابن مردنيش ، بأن يسرع
بة لأنها دون دفاع . فآمن ابن مردنيش
ة ، وسبقه من قرطبة جاسوس موحدى
دث ، واعتقد هؤلاء فى صحة مانسب
وصل ابن مردنيش بقواته إلى إشبيلية ،
، ونازلها ببعض قواته حتى وصل إلى
امها ثلاثة أيام ، وقد شاع الاضطراب
ى واليها السيد أبو يعقوب منتهى الحزم
شياخ والطلبة والحفاظ الموحدين، ومعهم
بن عزون صاحب شريش ، وكان أشياخ
ق الأسوار ، ويحرصون كل الحرص
دون داخل المدينة اجراءات صارمة ،
، واعتقلوا الكثير من الناس . وأدرك
دع بما جاء فى الخطاب المزور ، وأن
تد على عقبيه ، دون أن يفوز بطائل .

، بادر فارسل عسكراً إلى قرمونة لإنجاد
(٢) .

فتح المهدية ، وقع فى المعسكر الموحدى
ة الداخلية ، وهو مصرع الوزير محمد
ال ابن صاحب الصلاة ، أن عبد المؤمن
ل سنة ٥٥٣ هـ ، عند خروجه إلى غزو
. رأينا مما تقدم ، أن هذا الوزير قد لعب
ب(٤) ، دوراً كبيراً فى مصرع الوزير

ستضعفين ، بأن نجعلهم الله أئمة ، وجعلهم الوارثين» ،
به فى بيان المصادر لوحة ٢ ا و ب . وسوف يكون
وراجع أيضاً البيان المغرب – القسم الثالث – ص ٤٠ .
– المخطوط سالف الذكر لوحة (٥ و ١٤) ، والبيان

بق ذكره (لوحة ١٢٠ ا) .
ص ٣٥ ، والإحاطة (١٩٥٦) ج ١ ص ٢٧٣ .

ه ونفوذه يهيمن على سائر الشئون ،
نقل أخبارهم إليه ، فكان مما نقل إليه
، ويأتون فعالا قبيحة ، فتأثر الخليفة
بتحقيق هذا الأمر ، فقاموا بالمهمة ،
بطلان التهم الموجهة إليهم ، فأدرك
له . ولما حدث أثناء حصار المهدية من
بد السلام ، على رأس الجيش المهاجم .
الأسلاب والغنائم والأموال ، واحتجز
أشياخ الموحدين فى حقه ، وشكوا من
كون ابنه أبا حفص ، هو صلة الوصل
تهم . ولما تم فتح المهدية ، وتمزيق
ؤمن فى قواته إلى تلمسان ومعه وزيره
للخليفة من عمال ابن عبد السلام ،
قرابته كوميه ، وتجرئهم على سلب

والمغرب ، البدء بتكسير الإمبراطوريه
الأقصى ، ومن شاطىء البحر المتوسط
التكسير الثلث في الجبال والوهاد والأنهار
يه الخراج ، وأن تلزم كل قبيلة بأداء
كان عبد المؤمن هو أول من قام بمثل

—

دية ،واستكمال سيادة الموحدين على سائر
من عنايته واهتمامه . ولم ينس أن الحركة
يان ، وتهديد قرطبة وإشبيلية ، قد تتفاقم
الجزيرة . ومن ثم فقد حزم أمره على
ونها ، ولينظم وسائل الدفاع عنها .

لمخطوط المشار إليه لوحة ٢٢ ا ، والبيان المغرب

قصائدهم بالتهنئة ، فى مختلف المناسبات

، سوى ماوقع فى هذه الآونة بالذات
رع واليها ابن يكيت ، ومحاصرة قصبة
أبى يعقوب على كتاب الفتح ، يتضمن
لده الخليفة ، بأن يعجل بالإنجاد والغوث.
ن الأندلس وإتمام فتحها ، وإذكاء حركة
عفة البعوث العسكرية إلى شبه الجزيرة ،
دينة كبرى بها . ومن حسن الحظ أننا نجد
الضخم ، فى رواية بن صاحب الصلاة ،
والوثائق المتعلقة بذلك ؛ شاهد عيان وثيق
قوب والى إشبيلية ، والسيد أبى سعيد والى
وع . وبالرغم من أنه يقرن روايته فى معظم

— المخطوط السالف الذكر ، لوحة ٢٥ .

التبجيل والملق ، التي تفصح عن طبيعة
لينا فى نفس الوقت كثيراً من المعلومات
مصدر آخر .

لب الإنجاد إلى والده الخليفة ، وإشبيلية
عان ما وصل رد الخليفة من معسكره
خ ربيع الأول سنة ٥٥٥ هـ « يعرف فيه
خيل الله لهذه الأصقاع ، وحماية ذلك
به الخليفة ، من سريع العون وبالغه ،
الخليفة على المنابر ، وساد البشر بين الناس .
ن الخليفة ، مؤرخ فى التاسع من ربيع الأول
» ، بإنشاء مدينة كبرى فى جبل طارق ،
صلاة « بالجبل الميمون القديم البركة ،
المفتتح منه دانيها وقاصيها ، وطايعها
للأمير عند إجازته بالعساكر ، ومستقراً
المنشورة إلى بلاد الروم » . وكان الكتاب

اوا البناء فى الموضع الذى وقع الجميع
حر ، مما يلاصقه ويليه ، وزادت الآمال
، وتحققوا اليمن والسعد والفتح فى بنيان
لى أبى يعقوب بإشبيلية فى إزعاج الفعلة
ن فيه بناء من القصور المشيدة والديار ،
دل بها الأرض ، مبنية بالحجر المنجور
وهذا شريف البقعة كريم التربة ، عظيم
المسامتة إلى الجوزاء ، وكل ما استودع
ه ، مما زكى وفضل وجل ، وأثمر عن
الفواكه ، كشجر التين والعنب والتفاح
س والأترج والجوز وغير ذلك ، على
الظل والوبل ، وماؤه عذب زلال ،
س مدة إقامته للبناء على ما ذكرته فيه ،
ريح ، عاينها الثقات مدة البناء المذكور ،
به فسدت الرحى ، لعدم الاهتبال بها ،

ان السيد أبو يعقوب يعتزم العبور إلى
أعمال فى جبل طارق ، ولكنه ما كاد يركب
ملته أبناء استيلاء ابن همشك على قرمونة ،
تد من فوره إلى المدينة ، وقد اضطربت
ر لإنجاد الحامية ، ومقاتلة أهل قرمونة ،
ل سنة ٥٥٥ ه (مارس سنة ١١٦٠م) ،
فة بإنشاء مدينة جبل طارق .

— ٣

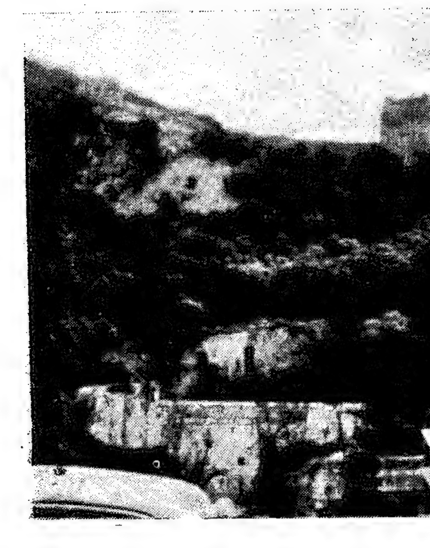
نة الجديدة بجبل طارق ، ليعبر إلى شبه
أحواز فاس ، سار إلى سبتة فى جموع
ياح ، وبنى جشم ، وبنى عدى وغيرهم .
حتشاد الناس على الشاطىء لرؤية موكب
، فى قوله : « وبرز إليه يوم إجازته

المخطوط السالف الذكر لوحة ١٣ و ١٤ .

جديد البيعة ، فأدخلوا بترتيب معين ،
ددوا له البيعة والطاعة ، وكان القضاة
ن يدى الخليفة ، فخطب أبو الحسين
رأبو محمد المالقى وغيرهم ، وكانت خطبهم
ا يوجبه الشرع من العهود والرسوم ،
« بتقبيل اليد المباركة »[1] .

عبد المؤمن باستدعاء الشعراء ، ولم يكن
يستأذنون فيؤذن لهم . وكان يوماً عظيما
هذه الوفود الحاشدة ، عدة من أقطاب
ن صاحب الصلاة ، وصاحب المعجب
عبد الله محمد بن حبوس من أهل فاس ،
الب البلنسى المعروف بالرُّصافى ، نزيل
العنسى ، والقرشى القرطبي المعروف
بن صاحب الصلاة الباجى ، وأبو بكر

- المخطوط – لوحة ١٥ و ١٦ .



فوق سطح صخرة طارق

ويمتد حد السهم كالعو زالعو

وأنت لدين الكفر ماح وماحــق

عبد الله محمد بن غالب الرصافى البلنسى

مطلعها :

قبست ماشئت من علم ومن نور

ليلا اسارٍ ولم تثبت لمغرور

نور الهداية تجلــو ظلمة الزور

ح الطود طود الهدى بوركت فى الدور

على الأساسين من قدس وتطهير

قصر على مجمع البحرين مقصور

معظم القدر فى الأجيال مذكور

له من القيم جيب غير مزرور

وجدّد فيها ذلك الحبرَ الحُبْرُ
ولابن نُصير لم يكن ذلك النصـر
كما حلّ عند التمّ بالهالة البـدرُ

أجمل موقع ، وأثنى على ناظمها الفتى ،
فر هذا فيما بعد لدى السيد أبى سعيد والى
بينهما ، بسبب تنافسهما فى حب الشاعرة
كونى ، فقبض عليه ، واتهم بالاشتراك
سنة ٥٥٩ هـ(٣) .

زهاء شهرين ، وسماه « جبل الفتح »
لاحتفال بها ، وغمرها بالضيافات وقضاء

للمراكشى ص١١٩ — ١٢٢ ، وفى أعمال الأعلام

لشهير الذى تعاقب فى تأليفه بنوسعيد ، واختتم
سيد . وقلعة يحصب أوقلعة بنى سعيد هى اليوم القرية
ل غرناطة .

ج ١ ص ٢٢٣ و ٢٢٥ و ٢٢٦ .

، وعظائم الأمور .

—

، عائداً إلى المغرب ، غادره السيد
إلى إشبيلية .
يلية على خطورته ، وأهل قَرْمونة على
الفتهم لابن هَمْشك ، ومحاصرتهم للحامية
وب لمحاربتهم حملة من الموحدين بقيادة
. وسار الموحدون بقيادة ابن أبى حفص
ومعه أبو العلاء بن عزون فى قوة من
ل قرمونة . وكان ابراهيم بن همشك ،
ولم يعبأ بأمرها . وضيق الموحدون على
، حتى استطاعوا التفاهم سراً مع رجل
الأكبر ، فتم ذلك ، ودخل الموحدون

غرب — القسم الثالث ص ٤٦ .

ين أسلموا رغم إرادتهم ، ومع حليفهم
على أن يسهلوا له دخول المدينة فى ليلة
، دفاع قوى ، وقد غادرها واليها السيد
تبق بها سوى الحامية الموحدية . فسار إليها
ن ليالى جمادى الأولى سنة ٥٥٥ هـ ، تمت
ابن دهرى ، باب الربض بغرناطة ،
ابن همشك وأصحابه المدينة ، وفر أنصار
بمن بها من جند الموحدين . ولما رأى
ة الموحدية ، بعث إلى صهره محمد بن سعد
ب إليه الإنجاد ويطمعه فى أخذ غرناطة ،
سمت إليهم فرقة من الجند النصارى بقيادة
ا تسميه الرواية العربية ، وهو حفيد القائد

ية صاحب البيان المغرب (القسم الثالث ص ٤٦) .
سنة ٥٥٦ هـ ، وهو لا يتفق مع منطق الحوادث

المخطوط – لوحة ٢٤ ا و ب) .

لأندلسيين والنصارى ، وكانت تبلغ ألفى
الصلاة مايدل على أن ابن مردنيش قد
الخطيب يقول لنا إن ابن مردنيش قد
ق الربوة العالية المتصلة بربض البيّازين ،
ردنيش[٣] . واضطرم القتال فى الحال
ابن همشك وحلفائه النصارى ، فاختل
الدائرة ، وكثر القتل فيهم ، وغرق
وكان بين القتلى الشيخ أبو محمد عبد الله
أشياخ الموحدين ، وأكابر الأندلسيين .
إلى مالقة . وكانت نكبة موحدية بالغة
لمظفرة إلى القلعة الحمراء ، ومعه جملة
م ، والتنكيل بهم ، وازهاقهم بمرأى

. La Veg
لى بضعة كيلومترات من قرية الطرف Atarfe فى
عليه اليوم اسم Majorrocal

أورقلة (أرخل) وهم يبلغون نحو ثمانية
فصل بين محلة ابن همشك ومحلة صهره
رهم حتى وصلوا إلى قرية دلر على مقربة
ل على وادى شنيل ، قبالة جبل السبيكة
والعشرين من شهر رجب سنة ٥٥٧ ه
بن سليمان قائد الجيش الموحدى أشياخ
ف القبائل ، ووعظهم وذكرهم بأن الجنة
ن سبيل الله . وفى مساء هذا اليوم ركب
وأمامهم المشاة والطلائع من المصامدة ،
، وكانت ليلة منيرة صافية الأديم ، وعند
بن همشك وحلفائه النصارى فوق جبل
ن على أعدائهم على غرة ، قبل أن يتم
مهم خيولهم ، واضطرمت بين الفريقين

احي فى منطقة غرناطة ، إلى إعلان الطاعة
، والقائد يوسف بن سليمان بالنظر فى شئون
نابة من كان بها من الموحدين المحصورين
وسادتها السكينة والهدوء[1] .

إلى قاعدته جيان ، ولكنه لم يقف بها ،
جعفر الوقّشى ، فامتنع بها ، وحاصرها
حولها من الأراضى ، وانتسفوا زروعها ،
قاً ، ثم غادروها عائدين إلى قواعدهم[2]

، والقائد ابن سليمان بأنباء النصر يوم
كان ما يزال برباط الفتح قبالة سلا ،

(1) ابن صاحب الصلاة فى كتاب « المن بالإمامة »
ص ١٠٦ ، والإحاطة (١٩٥٦) ج ١ ص ٣٠٩
القسم الثالث ص ٥٢ و ٥٣ ، وهو يلخص أقوال

. ١

ا القائد يوسف بن سليمان ، إلى قرطبة
شوال سنة ٥٥٧ ه ، وخرج أهل قرطبة
ستدعى إليها من إشبيلية عدة من أشياخها
ى عساكر ، وأبو بكر الخطار ، ويذكر
بين أولئك الكتاب المدعوين إلى العمل .
رطبة سائر الدواوين والأموال، التي جمعت
غدت قرطبة ، بعد إشبيلية قاعدة الحكم
بذلك رياستها وأهميتها وحيويتها القديمة ،
ب والأشياخ فى مختلف الأعمال ، واختار
م هو على النظر فى شئون المخازن (الشئون
ة للموحدين ، ولم يزل قائماً بهذه المهمة

سعيد حيناً بقرطبة ، ومعهما القائد الشيخ

امة لوحة ٣٣ و ٣٤ .

رب تنذر بتطورات خطيرة . وكان
ى فى موقعة السبيكة ، وهو بعدوة سلا
اف الجهاد بالأندلس ، فى البر والبحر
ب إلى سائر الجهات والقبائل ، لاستنفار
، وأمر بإنشاء الأساطيل (القطائع) ،
أعد منها فى مرسى المعمورة على شاطئ
ون قطعة ، وأعد الباقى فى مختلف ثغور
من العتاد والمؤن والعلوفات ، وكان
س هائلة فى وادى سبو ، فى حمى الجبال
نحاء إفريقية والمغرب ، وجلبت كذلك
، والدروع ، والبيضات ، والتروس ،
لى طوائف الموحدين والعرب الموالين من
لى الجهاد فى الأندلس ، وأكده ما وقع

امة لوحة ٣٩ والمراكشى فى المعجب ص ١٣١ .

إلى رباط الفتح ، كانت البقاع المجاورة فيما
وش الضخمة التي يقدرها المؤرخ المعاصر
ف راجل[2] . وتقدرها بعض الروايات
من الموحدين والمرتزقة العرب والبربر .
ألف راجل[3] ، وزعت عليهم جميعاً
يفة يستقر في محلته ، حتى استدعى إليه
ب ، وأهل الرأى ، وعقد مجلساً حربياً
رة الأندلسية الكبرى وتوجيهها ، سواء
ن أبو محمد سيدراى بن وزير ، فشرح
ه ، واقترح ابن وزير ووافقه الأشياخ ،
ن ، يسير أولها إلى البرتغال لمقاتلة ابن
) ، والثانى يسير إلى مملكة ليون ، وملكها

ة لوحة ٤١ .

ارة ، وأحضرهم بساعية وعقد سلطانية
لافة ، وأوصاهم بتنفيذ إرادته ومبايعته ،
د الأشياخ ، واستوثق من ولده أبى حفص
أبو حفص يتولى الوزارة والحجابة لأبيه
التالية تفاقم مرض الخليفة واشتد به الألم،
ى الثانية — وفقاً لرواية البيذق — توفى
أخذنا بهذه الرواية فلابد أن الوفاة كانت
وم الثلاثاء"، حيث كان اليوم الثانى من
وهو اليوم الذى أسقط فيه اسم محمد من
ة إن عبد المؤمن توفى ليلة الجمعة العاشر
مايو سنة ١١٦٣ م) ، وهى رواية تبدو
اريخ[٢] .وكانت وفاته بمحلته فى سلا ،
مره ، وقيل فى الرابعة والستين ، وكانت

بن خلكان ج ٢ ص ٤٩٣ .

ى اختلاف طبقاتهم ومراتبهم ، وذكرهم
واكتمال ولائهم وطاعتهم واشتغالهم
ات . ولما تمت البيعة حسبما تقدم ، سار
اكش ، ونزل فى دار الخلافة ، وتولى
، والحجابة على نحو ماكان مع أبيه ،
مل جثمان الخليفة الراحل إلى تينملّل ،
إلى جانب أستاذه وأمامه المهدى ، وفقاً

لية السيد أبى يعقوب يوسف للخلافة .

خ وفاة عبد المؤمن ، روايتى البيذق وابن صاحب
ويضعها ابن الأثير فى العشرين من جمادى الآخرة
كان فى العشر الأخيرة من جمادى الآخرة (ج ١
رين من جمادى الآخرة (المعجب ص ١٣١) .
مع ابن صاحب الصلاة . تاريخ الدولتين ص ٢٩ .
وابن صاحب الصلاة فى المنّ بالإمامة لوحة ٤٥

ة ضعيفة لاسند لها .

٦ —

، عبقرية فذة ، تنطوى على طائفة من
البطولة ، وقد شادت هذه العبقرية دولة
أواسط شبه الجزيرة الإسبانية شمالا حتى
نوبا ، ومن طرابلس الغرب شرقاً حتى
دتها فى ظروف صعبة ، وفى غمر الكفاح
متنابذة مفترقة الكلمة ، لم تعرف خلال
ولم تأنس لأى نوع من الخضوع والطاعة ،

قول لنا ابن خلكان إنه نقل هذه الرواية من كتاب
بيت المال بالديار المصرية ، فيه فوائد من أخبار

قوم عبد المؤمن بالمهمة الكبرى ، مهمة
وحدية الكبرى على أنقاضها ، وأنقاض
للدولة الموحدية حيناً ، تحتفظ بطابعها
بد المؤمن بعد أن تضخم ملكه ، وتوطد
بائل ، إلى إنشاء السلطة الزمنية الوراثية ،
ه الخطوة أعظم تطور حدث فى طبيعة
لحين ، خلافة زمنية سياسية ، ويتضاءل
فة الموحدية المؤمنية ، أعظم خلافة قامت
طبة الأموية تتفوق عليها بخواصها التمدنية
لفاء الغرب الإسلامى ، وإن كان عبدالرحمن
لاله الإنسانية ، بل نستطيع أن نعتبر أن
عصر عبد المؤمن ، وولده أبى يعقوب
صور (٥٢٤ ــ ٥٩٥ هـ) ، وهى حقبة من
كل مصادر قوتها ، وعظمتها .
سية ، وحياته العسكرية الحافلة بالغزوات

ت إيذاناً بالرحيل ، وكانت حركة الجيوش
، رسمه المهدى لمسيرها ، فيتقدمها اللواء
يكون بينها وبين الأمير نحو ربع ميل ،
كور تحف به خاصته ووزراؤه ، ثم تتبعهم
، ثم جند كل قبيل بترتيب خاص[1] .
خطط المعارك بنفسه ، وربما قاد جنده ،

الصفات العسكرية البارزة ، من أعقل
كان حازماً سديد الرأى حسن السياسة ،
كثير من الفطنة والكياسة .

صحاب المهدى وطوائف الموحدين ، بعد
أهل الجماعة وأهل خمسين وأهل سبعين ،
ن المصامدة وغيرهم إلى مراكش ، ولما
ين إلى ثلاث طوائف أو طبقات ، الأولى ،

لوحة ٤٣ ب) .

بعد أيام الخليفة أبى يعقوب يوسف،
، فى نجاح ثورة بنى غانية فى إفريقية،
ل الجيوش الموحدية ، فى معظم المعارك

كان عبد المؤمن ، وهو مؤسس الدولة
د والنظم التى يسترشد بها فى تسيير دفة
وفى جباية الأموال . وقد انتهت إلينا
ى جعفر بن عطية ، وجهها الخليفة من
ة ٥٤٣هـ ، إلى الطلبة والمشيخة والأعيان
ن أن يسمى بالأسس الدستورية لنظم
خصاً لما احتوته هذه الرسالة الدستورية

بعض العمال ممن لا يخافون الله ، يتسلطون
نحلون حرمات المسلمين ، وينقضون

ل موحدية » ص ٥٣ و ٥٤ .

أسباب تلك المنكرات ، هو أن قوماً
الأموز إليهم بطريق التدليس ، وذلك
هم بأن لايتركوا مباشرة الأمور إلى أحد
الأحكام مباشرة تعهد وتفقد ، وأنهم فى
ال وسلوك الطريق الوسط ، والتواضع
وعليهم أن يبحثوا عن المتسببين فى وقوع
م بعقابهم .

خرنا الله فى سد تلك الذريعة ، وصد تلك
نا أحكام المذنبين للكبائر ، وتعلمونا بنبأ
ه الخاسر ، دون أن تقيموا الحد عليه ،
كم إلى قتل أحد من كل من هو فى بلاد
داخل فى مضمارهم ، وكل من ترون أنه
مر الله تعالى والختل ، فعرفونا بجلية أمره
روحه ، لينفذ فيه من قبلنا ما يوجبه الحق
الشرع ويمضيه . فإياكم من مخالفة أمرنا

فى قطع تلك العادة الذميمة ، وتزويد
لانصراف ، ويقطع شأنهم من التكليف
د من الناس بأى شىء .

حكم فى الأموال ، وعدم المبالاة بالتفريق
من يفعلون بأموال الناس ماتقدم ، وتمتد
ؤون فى التعدى عليها ، ويطلب إليهم أن
ب السهر على صونها ، وحمايتها من التعدى
أرضه ، وأنه يجب عليهم ألا ينفذوا منها
ه .

كل ما جاء فى هذا الكتاب بدقة وأن يجمعوا
لعمال ، وكافة المقدمين للأعمال ، وأن تكتب
حدين ، وكل كورة من الكور ، وينذر

رض له إلا أن يحقق دعة المسلمين وأمانهم ،
ئولون عن هذه الرعاية ، وأنهم يجب أن

الموحدين ، وطلبة الحضر ، والطائفة
المهدى المصامدة بالموحدين ، لخوضهم
ل هذه الأنحاء بخوض فيه[٢]. واستقدم
ن النجباء من مختلف قواعد المغرب ،
تلمسان وغيرها — إلى حضرته ، وكان
حضروا إلى مراكش مع أستاذيهم أبى
بأمر هؤلاء التلاميذ الصغار أتم عناية ،
القرآن ، وكتب التوحيد وموطأ المهدى
ؤمن بأمر الحفاظ أشد عناية ، وأمر بأن
، وغيرهما من آثار المهدى ، وكان
صر ، وهم نحو ثلاثة آلاف حافظ ،

كاملا فى « نظم الجمان » وهى تقع فى عدة صحفات
ا فى باب الوثائق .
ض القرطاس ص ١٣٣ .
حة ١٥٣) .

بليغاً ، وأديباً ضليعاً ، إماما فى النحو
شاعراً ينظم الشعر الجيد ، وقد أورد لنا
شعرية مع وزيره ابن عطية[٣] ، وذكر
نيما هنأه أبو عبد الله الجيانى يوم انتصاره
أولها :

وكانت وجوه الدهر مسودة كلح

أصاب بنى التجسيم من بأسه طرح
بمهلك قوم كان وعدهم الصبح
أدباء العصر وشعرائه ، أبوالعباس أحمد

حة ٥٢ ب) .

النصارى واليهود . ونحن نعرف أن الدولة
ة ، وكان من الطبيعى ، وهى تحارب
يدة التوحيد، أن تكون شديدة الوطأة على
الموحدية بالمغرب ، وبسطت سيادتها على
المؤمن قراراً بوجوب خروج النصارى
حدد لهم فيه أجلا لمغادرة البلاد ، إلا من
ما للمسلمين الخلص وعليهم ماعليهم ؛ ومن
سروب ولم يعتنق الإسلام ، فقد حل دمه
ادر المغرب والأندلس كثير من النصارى
عباء الأسرة والأعمال ، وبقى منهم من
لام إنقاذاً لأنفسهم وأموالهم ، ومما يذكر
طبيب اليهودى الكبير موسى بن ميمون ،
ور القرار باعتناق الإسلام ، والقيام بأداء
رة الأندلس مع أهله ، فقصد إلى مصر ،

ن بنفسه ، وتضمنت ألوفاً مؤلفة من
(سنة ٥٥٤هـ) . وقد سبق أن علقنا على
دموية ، التى توالت فى عهد عبد المؤمن
هذه الظاهرة الدموية ، كانت أصلا راسخاً
بن تومرت ، كان من أشد الدعاة دعوة
، تطبيقها قسوة تدنو إلى الوحشية . ومن
، الدماء وسيلة مأثورة من وسائل تدعيم
، وكل قطر ، وقد كان عبد المؤمن
فليس بمستغرب أن يكون القتل الذريع
ذهب فى ذلك إلى حدود مثيرة مروعة .

*

ى ترجمة موسى بن ميمون (القاهرة ١٣٢٦ هـ)

ب أبا محمد عبد الله بن جبل . وقد كان
الأندلسيين ، فى بلاط مراكش ، مبدأ
لك لما كانوا يمتازون به فى هذا الميدان
لما كان لأعمال الوزارة وشئون الكتابة
الأساليب المشرقة العالية . وسوف نرى
العلماء والمفكرين بالأندلس ، بقية القرن
وحدية وكتابها البارزين .

جعفر بن عطية ، ثم أبو محمد عبد السلام
أبو حفص ، ومعاونه أبو العلا إدريس
وزارة بعد وفاته ، لولده الخليفة الجديد

وعمران موسى بن سليمان الضرير من أهل
جاج يوسف بن عمر .

بنوع خاص ، ولقى فى تنظيمها صعاباً
الجبايات » التى يتكون منها دخل الحكومة

اتسع نطاق الغزوات والفتوحات فى المغرب
ش الموحدية الغازية ، اضطر عبد المؤمن
ن مما استحدثه ، مانقله إلينا صاحب روض
لية والمغرب من برقة ، إلى السوس الأقصى ،
ساً ، وأسقط من هذه المساحة مقدار الثلث
ها من التوالف ، ومابقى فرض عليه الخراج ،
ن الزرع والمال ، وهكذا تحررت السياسة
فرضته عليها تعاليم المهدى ، ولتتطور
ن ضروب النفقة العسكرية والإدارية .

* *

عشر من البنين ، وهم أبو يعقوب يوسف
وأبو عبدالله محمد المخلوع من ولاية العهد ،
سعيد عثمان والى غرناطة وقرطبة ، وأبوعلى
أبو الربيع سليمان ، وأبو زكريا يحيي ،

ة السادسة – ص ٢١ و ٢٢ .

٤٢ ب ، والبيان المغرب القسم الثالث ص ٥٦ .

٣٩١ .

المرابطية

هُد المرابطيّ

طين وعهدهم . شرح لاسباب هذه الحملة ضد المرابطين .
سوة أمير المسلمين نحو المعتمد . مطاردة كتب الدين
بطين في الجهاد وإنقاذ الأندلس . تقاعسهم في حرب
م المرابطين للأندلس . طابعه العسكرى الخشن . وثائق
ن والذود عنها . توصياته بشأن الحكم . اهتمامه بتجنب
القضاء . توصيته بحسن اختيار القضاة . حجر المرابطين
كتب الغزالى . إصرارهم على هذه المطاردة حتى أواخر
عيث الجند والعبيد المرابطين . ملاحظات ابن عبدون
ذلك . الحكم على العصر المرابطى والمبالغة فى ذلك .
الحكم المرابطى : الأمة الأندلسية وتحريرها من مظالم
رحدة المغرب واستقراره . ما شمله من تعمير ورخاء .
رضى منذ حركة المهدى .

حادثاً من أهم الحوادث ، الحاسمة فى تاريخ
مل عديدة ، عسكرية وسياسية واجتماعية .
، أن نستعرض هذه العوامل ، التى أدت
التى شادتها عبقرية يوسف بن تاشفين ، وهى
ن على قيامها وتوطدها أكثر من نصف قرن ،

، وبالرغم من ورعه وتقواه ، من العزم
رف . وهذا مايصوره لنا المراكشي ، عند
ى تبرز لنا روح الحكم المرابطي على حقيقتها :
ن السيرة ، جيد الطوية ، نزيه النفس ،
باد والمتبتلين ، أقرب منه إلى أن يعد فى
فقه والدين ، وكان لايقطع أمراً فى جميع
ولى أحداً من قضاته ، كان فيما يعهد إليه
صغير من الأمور ولا كبير ، إلا بمحضر
ه مبلغاً عظيما ، لم يبلغوا مثله فى الصدر
هاء على ذلك ، وأمور المسلمين راجعة
موقوفة عليهم ، طول مدته . فعظم أمر
ه الناس إليهم ، فكثرت لذلك أموالهم

راء العصر ، هو أبو جعفر أحمد بن محمد
كان :

ى دراسة الشريعة وأصول الدين ، وذلك
دينار ، ويحيى بن يحيى ، وعبد الله
ورة النفوذ العامى ، ولكن يقف نفوذهم
اء . بل كان الفقهاء أيام الدولة المرابطية ،
سة علم الفروع من العبادات والمعاملات
ء دون غيره . وهذا ماينوه به المراكشى
سلمين ، ويحظى عنده ، إلا من علم علم
ت فى ذلك الزمان كتب المذهب ، وعمل
حتى نسى النظر فى كتاب الله وحديث
مشاهير أهل ذلك الزمان يعتنى بها كل
ر كل من ظهر منه الخوض فى شىء من
المسلمين ، تقبيح علم الكلام ، وكراهة
ىء منه ، وأنه بدعة فى الدين»(٢). وقد

الحيوش المرابطية ، من مهمتها فى إنجاد
حت الأندلس جزءاً من الدولة المرابطية
فى سبيل الله ، لبثت حيناً آخر شعار
فكانت موقعة أقليش ، وكانت موقعة
ى ، ظهرت فيها الحيوش المرابطية ،
.

، وخصوصاً بعد أن اختفى من الميدان
بالحرأة والشجاعة والبراعة العسكرية ،
ممد مزدلى ، ومحمد بن الحاج ، ومحمد
دة المرابطون، مما انغمسوا فيه من ثروات
وتأثر الحند المرابطون ، أبناء الصحراء
ذه القواعد العظيمة ، والوديان النضرة ،
ة الحيوش المرابطية ، ومنعتها القديمة ،
أساسية فى حماية الأندلس ، ورد عادية

م) ، وحذا حذوه فى ذلك على ، فاختار
ه (١١٣٨م) . واختار تاشفين ولده
١١٤٥م)، وهو فى وهران يخوض مع
شاء القدر أن يكون إبراهيم خاتمة ملوك

فى هذا الاختيار لولاية العهد ، بشروط
البكر ، وإنما كان يجرى وفقاً لمشيئة الملك
لخلافته . وكانت ولاية الأندلس ، وقيادة
بكر ، إذا نحى عن ولاية العهد ، وذلك
تميم ولد يوسف الأكبر ، حينما انتخب
لبث والياً للأندلس وقائداً عاما للجيوش
وخلفه فى منصبه الأمير تاشفين بن على،
مير بن على يتشح بولاية العهد ، فلما توفى
ين من الأندلس ، ومنح ولاية العهد :

لس ، ومنها قرطبة ، بالثورة على
لأمير أبو زكريا يحيى بن غانية ، آخر

ں ، وقفاً على الأمراء والقادة المرابطين
فيما تقدم أسماء عدد عديد من هؤلاء
عد الأندلسية ، منذ الأعوام الأخيرة
ة العهد المرابطى ، وكان فى مقدمة
رائل ، مثل الأمير سير بن أبى بكر
ى الحاج والى بلنسية ، ثم سرقسطة ،
مد مزدلى والى قرطبة وهو من أبناء
والامير محمد بن عائشة ولد يوسف ،
ى تينغمر والى قرطبة ، وهو ابن أخت
شبيلية ، وهو أخو على بن يوسف ،
ى أيضاً إشبيلية وغيرهم . أما مناصبه

ن ج ٦ ص ١٨٥ .

فى الغرب كانت ثورة المريدين، وزعماؤها
، وابن المنذر ، وأبو بكر بن المنخل ،
بمواهبهم الأدبية والشعرية . وفى أواسط
ورة كلهم تقريباً من القضاة . فى قرطبة ،
ن حمدين ، وفى غرناطة كان هو القاضى
ن قاضيها ابن حسون، وفى بلنسية كان قاضيها
ان قاضيها أبو جعفر الحشنى ، وكان خلفه
ب الكتاب والشعر ، هو أبو جعفر عبدالرحمن
مل، ويمكن أن نرجعها من بعض الوجوه،
حكمهم بالأندلس ، أن يقضوا على معظم
ة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يقضوا على
الأخص ، أن يقضوا على نفوذ الفقهاء ،
حسبما تقدم من خواص الحكم المرابطى ذاته .
ستونية ، كانت منذ بدايتها تعتمد فى شئون

ة المرابطية ، ودعامتها الأولى ، وكانت
ت لواء الدعوة الدينية الإصلاحية ، التى
دولة عسكرية ، نشأت فى مهاد المعارك
خصيمة من وثنية وغيرها ، وخرجت منها
لطانها على أنحاء المغرب ، وأن تقيم الدولة
صحريون جنوداً يمتازون بوافر الجرأة
لقتال كاتب معاصر هو الجغرافى المؤرخ ،
شجاعتها وطرائقها فى القتال فيما يأتى :
ت لغيرهم . وكان قتالهم على النجب أكثر
يقفون على أقدامهم صفاً بعد صف ،
طوال ، وما يليه من الصفوف بأيديهم
، يزرقها فلا يكاد يخطئ ولا يشوى ،
، فهم يقفون ما وقفت منصته ، وإن
أثبت من الهضاب ، ومن فر أمامهم لم

ة خاصة من فرسان جزولة ولمطة وزناتة
صة لحرسه من النصارى ، معظمهم من
نمت هذه الفرقة فى عهد ولده على ، حتى
، يتألف من النصارى المرتزقة ، ويقوده
ة « بارتر بتير » والذى تحدثنا عنه فيما تقدم،
ن تسميها الرواية العربية « بالجند الروم
، وكانت تمتاز دائماً ببسالتها ، وفائق دربتها .

ن يقوم على نظام خماسى . فيتقدم الجيش،
، وحملة القسى ، والرماة ، ويرتبون فى

، فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب » المشتق من كتاب
، ونقل بعضه الحلل الموشية ص ١٠ و ١١ .

ة ، واستمر يجيش بهذه النزعة إلى الجهاد،
ولده على . ثم خبت هذه النزعة حينما
ذ فورة المهدى ابن تومرت ، وأضحى
عية عن كيان الدولة التى أنشأته ، ولم يعد
ى كانت تتوجها غزواته الجهادية ضد
أن يشغل بأمر الدفاع عن نفسه فى مختلف

نود والطبول[1] . وقد لعبت طبوله فى
صارى ، وبث الرعب فى قلوبهم . وكان
ن من سبعة عشر ألف فارس ، منها
وبقرطبة ألف فارس ،وبغرناطة مثلها ،
أربعة آلاف الباقية موزعة على مختلف
بالدفاع عن الحدود والقواعد المتاخمة

ت الدولة المرابطية ، فى البداية ، نظراً
لحباية ، فكان يوسف بن تاشفين يقتصر
روض ، مثل الزكاة والأعشار وأخماس
ضخمت الدولة المرابطية ، وتضاعفت
الأندلس ، واتساع نطاق أعمال الجهاد ،
رعية المتواضعة تكفى لمواجهة مسئولياتها
إلى فرض الإتاوات على أهل المغرب
لجأ أيضاً إلى تحصيل الأموال من اليهود ،
رق والوسائل . وكان يوسف بن تاشفين
اق الإسلام ، وشجعه على ذلك بالنسبة
فع فى أحد الكتب ، على حديث منسوب
نوا بالنبى العربى ، وأن يعتنقوا الإسلام ،

، شمال غربى لوشة بولاية غرناطة .

ن ، وفى شئون الجبايات، لما كان يحبوهم
عوا معاملة المسلمين ، واشتطوا فى تحصيل
على شئون الدولة المالية ، كما غلبت

ـ

ولة المرابطية ، وطبيعة وسائلها فى الحكم،
ورميها بأقصى النعوت والصفات ،وجنح
ح عهدها وحكمها .

دوزى ، وحملته على المرابطين ، والدولة
فى هذا الموضوع . ومن الأسف أن هذه
ن ، وعلى عهدهم بالأندلس ، قد تناقلها

فى وصف مدينة أليسانة « وصف المغرب وأرض
شتاق للإدريسى (طبعة دوزى) ص ٢٠٥ .

ذوى الجلد الخشن ، ولم يكن بوسعهم
رقة الأندلسية ، وكان كل شيء لديهم

المرابطين) ، بالرغم من كونهم أكثر
كانوا يمتازون بالقحة نحو الأندلسيين ،
ان فادحاً ، حتى أن الأمير على ، اضطر
يحشد فى جيشه أولئك الذين كان قائد
ى ء جليقية ، وقطلونية وإيطاليا ، وبلاد
لها أحد . فقد كانوا يعاملون الأندلس
ق لهم ، من نقد ومال ونساء . وكانت
طيع ضدهم شيئا . وكان ضعفها فى ذلك
ترك السلطان للنساء ، أو على الأقل إلى
لأمير على يترك لزوجته قمر كل شىء ،
رائهن كبار الأعيان ، ومادام فى وسعهم
وا ما شاءوا . بل لقد كان فى وسع قطاع

لى الأغلب عن روح واضح من التحامل .
لتحامل العلامة المستشرق كوديرا ، فهو
لدرها دوزى فى حق المرابطين :
مجحفة بالنسبة لحكم المرابطين . ولما كنا
من مكانة دوزى العظيمة ، الذى حذا
ند أنه يجب علينا أن نقول شيئاً من عندنا ،
تند فى أقواله إلى وقائع مأخوذة من الكتاب
عيش بكثير من التحامل ، وهذا يرجع
وإلى تطبيق هذا التعصب بالنسبة للأمة
يم ، وإلى أن يستخرج النتائج بالاستناد

Dozy : Histoire des Musulmans d' Espa
Dozy : Recherches (Ed. 1881) Vol. I. p.
و١٥٧ و١٦٨)

F. Codera : Decad. y Desp. de los Alm

مرت بالسوس »[1].

بن يوسف) رجلا صالحاً مجاب الدعوة ،
نه كان ضعيفاً مستضعفا ، ظهرت فى آخر
ة ، من استيلاء النساء على الأحوال ،
ير من لص أو قاطع طريق ، ينتسب إلى
دم »[2].

أولا أن المراكشى يجانب الدقة التاريخية
ذر عنه فى مقدمته ، ثم هو بعد ذلك كاتب
لدية وصنيعة بعض أمرائها ، ومن ثم فإنه
جة قاطعة ، ومن جهة أخرى فإنه يوجد
لمؤرخين وكتاب ، عاش بعضهم فى العهد
طين وأيامهم ، فمن ذلك ما يقوله صاحب
بن تاشفين :

ب . . . . وكان
قدم إليه بيعة أهلها ، حسبما أشرنا إليه فى
القرطاس عن ابن جنّون الفقرة الآتية :
ادقة خالصة ، وصحة مذهب ، ملكوا
ربى المحيط ، ومن مدينة بجاية من بلاد
دان . لم يجر فى عملهم طول أيامهم رسم
فى حاضرة ، وخطب لهم على أزيد من
ورخاء متصل ، وعافية وأمن . . كان
فى بلد من أعمالهم خراج ولامعونة ،
لمخزنية ، حاشا الزكاة والعشر ، وكثرت
ووقعت الغبطة ، ولم يكن فى أيامهم
هم ، وأحبهم الناس إلى أن خرج عليهم
مس عشرة وخمسمائة »[٣] .

نقله أيضاً السلاوى فى الإستقصاء ج ١ ص ١٢٨ .

ول الأول فى ذلك هو سير بن أبى بكر
يلية وبطليوس . وفى اعتقادنا أنه لوكان
جوداً فى شبه الجزيرة فى تلك الفترة ،
الدموية ، وهذا العيث الفظيع . على أنه
ة أمير المسلمين فى معاملة المعتمد بن عباد
سى الذى وقع ، كانت أيضاً مادة خصبة
وقد كان لما صدر من المعتمد فى سجنه من
ى تصوير هذا الأمير الشاعر ، بالرغم من
ومثالب ، فى صورة الشهيد الذى يستحق
بالأخص ، فضلا عن الأدب والشعر
خين المشارقة . وقد كان لحملاتهم العنيفة
ر الأثر فى إذكاء هذه الحملة التى صدعت
عصرنا .

اية عهد على بن يوسف من مطاردة كتب
الأصول وفى مقدمتها كتب الغزالى . وقد

ل ، وغير ذلك مما كانت مظاهر العاصمة
المجتمع المرابطى ، تؤيده فى ذلك الوقت
الملتهبة التى شهرها المهدى ضد المرابطين
ى بعد أن سقطت الدولة المرابطية ومحيت
على هيبة المرابطين وسمعتهم بصفة نهائية .
دع من هيبة الدولة المرابطية ، ولتسبغ
ت اللاحقة ، ذلك اللون القاتم ، الذى تأثل
خ والكتابات المتعاقبة ، من الأخذ به

ة قد لبثت طوال عهد مؤسسها العظيم
دولة مجاهدة ، تحتفظ بكثير من فضائلها
تمسك بأحكام الكتاب والسنة . وقد كان
متقدم ، بعد عبورهم إليها إخوة منقذين ،
سياستهم ومراميهم . وقد ناقشنا هذه المسألة
، وأوضحنا مالها وما عليها ، على ضوء

ن تلك الفترة التى حكموا فيها الأندلس .
نبالغ فى تقدير هذه النزعة الجهادية ،
ندلس ، فإنه يوجد ثمة مايغشى صفاءها ،
ن كانت لديهم بعد نصر الزلاقة الحاسم ،
بة وضربها فى الصميم ، وكان بوسعهم
أن يستردوا مدينة طليطلة العظيمة ، قبل
ربة الزلاقة . ولكنهم لم يبذلوا هذه المحاولة
سعها عند الكلام على نتائج موقعة الزلاقة .
ة عهد على بن يوسف ، استرداد طليطلة ،
ى فى سنة ٥٠٣ هـ (١١٠٩ م) ، والثانية
أخفقوا فى المرتين ، بالرغم مما بذلوه فى كل
سة كانت قد ولّت ، والوقت قد فات .
بعد ذلك بقليل ، وشغلت بحروبها الأهلية ،
ه الفرصة ، لما دهمهم بالمغرب من ثورة
ن يبعثوا إلى شبه الجزيرة بقوات كبيرة .

العسكرية ، والصفات البدوية النقية ،
م أمة متمدنة كالأمة الأندلسية ، وكانت
لبعت عليه الأمة الأندلسية من الأساليب
لحكم المطلق فى صورها البغيضة ، أيام
لبطل المرابطى ، وحزمه وبعد نظره ،
تلطف كثيراً من وقع الحكم الحديد ؛
صنيعة . واستطاع ولده علىّ فى أوائل
أندلس وتقديرهم . وقد كان فى الواقع
سن النيات بالنسبة للأندلس ، والذود
سيما تدل عليه عدة من الرسائل الرسمية ،
، والتى وفق البحث أخيراً إلى نشرها ،
حى السياسية والنظامية المتعلقة بتاريخ

محمود على مكى فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية
حوم الأستاذ ليڤى بروڤنسال ، وحصل عليه معهد =

ق العقاب »[٥] ، وكذا فى الرسالة الثالثة
سنة ٥٠٠ هـ ، ولعلها أول رسالة وجهها
ها يوصى بالطاعة والولاء للوالى أبى محمد
وما نهاكم عنه تركتموه »[٦] .
ه الرسائل ، تدل على أن الأمير كان يعنى
بداد ، واتباع الشورى ، وعدم الاستئثار
بكر فى الرسالة التى يوجهها إليه بتاريخ

السابع والثامن فى الصحيفة المذكورة ، تحت عنوانه
س ١٠٩ – ١٩٨) .
المجلد المشار إليه ص ١٦٨) .
لمجلد السالف) ص ١٦٧ .
رة (ص ١٨٠ و١٨١) .
.
.

يتبعه ، فإن توانى فى ذلك ، فله أن يرفع
بعد ذلك حث على تحصيل الزكوات ،
دون تحريف ولا تبديل[٣] .

ن الرسائل المرابطية : فهى من جهة تدلى
من نيات صادقة فى الأخذ بيد الأندلس،
عما كانت تحرص عليه الحكومة المرابطية

سوأ صور الحكم المرابطى المطلق . ونحن
يوسف ، بتحريض فقهائه ، من مطاردة
الإمام الغزالى ، ولاسيما كتاب « إحياء
نت هذه المطاردة طوال العهد المرابطى ،

. ١٨
ة من المجموعة فى ص ١٧٠ – ١٧٤ .

عض هم ، وأن هؤلاء كانوا يرتكبون
ة من التعدى والأذى . وهذا ما يسجله
هو أبو محمد عبد المجيد بن عبدون ،
ثان من كتاب الأندلس الذين خدموا فى
سالته التى وضعها عن القضاء والحسبة ،

أو لمطى ، فإن الحشم والعبيد ومن لا يجب
، ويأتون أبواباً من الفجور كثيرة ،
مع السلطان ، فإنهم عتاة . ويمتاز بذلك
ى له حاجة من المرابطين ؛ لأن العبيد

٥٣٨ الغزيرى بالإسكوريال وقام بنشرها الدكتور
لرابطية ، وذلك فى مجلة المعهد المصرى بمدريد
. وقد نشرناها نحن فى باب الوثائق .
ن ج ١ ص ٦٧ ، والصلة لابن بشكوال (القاهرة)

سطراب أحوال الدولة المرابطية بالمغرب ،
واشتداد حركته فى أواخر عهد على بن
ئذ إلى تشديد قبضتهم فى مختلف القواعد ،
ت بوادر الخصومة والجفاء ، قد ظهرت
س مظاهرها ثورة قرطبة التى اضطرمت
ت بعنفها على حالة الأندلسيين النفسية ،
ووسائله . وكان انشغال حكومة مراكش
على شئون الأندلس ، عاملا له أثره فى
، وترك حبله على الغارب ، إلى الحكام
ط الشعب الأندلسى وحفيظته ، وشعوره
ر حكم أجنبى ، أضحى يرهقه ، وأضحى

لموجز لظروف الحكم المرابطى وأحواله

ما يبدو من سياق ما سبق .
ة المنشورة بعناية الأستاذ ليڤى بروڤنسال ص ٢٨ .

ن لقد قعد المرابطون بسلطانهم ...

ى ، ولكنهم لم يحاولوا تغيير أساليبه
الحركة الفكرية والأدبية ، بل بالعكس
قضيتهم ، فكان معظم وزراء الدولة
ر كتاب الأندلس وأدبائها ، وكان بلاط
اسيمه لأهل الأندلس ، مدبجة بأقلام
كر بن القصيرة ، وأبى القاسم بن الجد ،
، عبد الله بن أبى الخصال ، وغيرهم .
يقال إنه بقيام الحكم المرابطى بالأندلس

ذلك : « إن ذلك لم يحدث بأى حال .
انت تسير حتى يومئذ . وإنه ليمكن أن
شخصيات التى تضمها معاجم التراجم ،
لأدباء ، أو بعبارة أخرى ، فإن رجال

يطل بالأندلس أكثر من أربعين عاما ،
شرين عاما ، فالدولة المرابطية لم تعش
جيلين ، هما عصر يوسف بن تاشفين ،
ر فى عهد على لم تطل ، ومذ ظهر محمد
ب أحوال الدولة المرابطية بالمغرب ، ثم
.

ة الاستقرار — مذ أتم يوسف بن تاشفين
ت والقبائل الخصيمة ، وتأسيس مدينة
ة ورخاء ، بعد أن هدأت فترة الحروب
بية . وتمتعت الأندلس ، منذ الزلاّقة ،
تمثل هذه الفترة من السكينة والرخاء .
ف ، تعانى من حكم أولئك الطغاة
الإرهاق ، ولاتكاد تفيق من الحروب
على الآخر ، والغزوات المتوالية التى

F. Codera . Decad. y Desp. de

وكانت بعد أن خفت عنها وطأة الحرب

ابطين بشئون الجهاد والدفاع ، تستطيع

إلى تحصيل أرزاقها وأقواتها ، فى هدوء

ء من الرخاء الذى كان ينقصها من قبل .

ا يمكن أن ينسب إلى الحكم المرابطى من

العهد المرابطى ، بأنه كان بالنسبة للأمة

ت فيه بنوع من الدعة والرخاء . وهذا

مير المسلمين يوسف بن تاشفين : « أقامت

فى رفاهية عيش ، وعلى أحسن حال ،

» (1) .

ة ريب فى أن المغرب ، كان يتمتع بمثل

بن تاشفين ، وأوائل عهد ولده على ،

نراء ثورة ابن تومرت . وإنه ليكفى أن

أواسط القرن الخامس الهجرى قبل قيام

، ولا من يقوم عليهم، وأحبهم الناس،
سنة خمس عشرة وخمس مائة »(١) .
لى عهد يوسف بن تاشفين وأوائل عهد
قيام حركة المهدى ابن تومرت تبدلت
ساد، وغاض الأمن والرخاء، على نحو
ر عهد على « ظهرت مناكر كثيرة،
لى الأحوال، واستبدادهن بالأمور،
، ينتسب إلى امرأة قد جعلها له ملجأ
بالغة فى هذا التصوير، فإن الذى لاريب
ت ضربة قاضية، لكل ما حملته الدولة
ر والأمن والرخاء، وأن المغرب لبث
ن والموحدين، يعانى كثيراً من أسباب
حدين. وتوطدت دعائم الدولة الجديدة .

خيرة . الحجارى صاحب المسهب . أبو محمد عبد الله
أبو القاسم بن بشكوال . بعض الشعراء المتخصصين .
ى . ابن سيد اللص . أمير الزجل أبو بكر بن قزمان .

من نصف قرن ، أنفق معظمه فى أعمال
ن الدولة المرابطية ، سواء بالمغرب أو
قبل كل شىء ، ولم تكن بطبيعتها البدوية
دن الرفيعة ، أوتتجه إلى رعاية العلوم
سح لها مجالا للأخذ بمثل هذه الأساليب ؛
ه يمكن القول ، بأن الحركة الفكرية ؛
طى ، فى حالة ركود نسبى ، ولم تحظ
، بل يمكن أن يقال أيضاً ، إن ما عمدت
وث الكلامية والفلسفية ، كان له أثره فى

كة الفكرية بالأندلس ، كانت فى عهد
، تجوز حركة اندفاع قوى ، وأن العلوم

ف من حشد أعلام التفكير والبلاغة بها ،
سانه البليغ فى تدبيج الأوامر والمراسيم ؛
حظته ، هو أن الدولة المرابطية، إذا كانت
البلغاء ، للإعراب عن رغباتها ومخاطباتها،
لدره ، ولم يستهوها رنينه وروعته ، اللهم
ء ينظمون مدائحهم لعلى بن يوسف وولده
الشقندى فى رسالته عن يوسف بن تاشفين
لأندلس فى مدحه ، ما أجروا له ذكراً ،
ه الشعراء مدائحهم سأله المعتمد أيعلم أمير
نهم يطلبون الخبر»[1] .

ستعرض تلك الجمهرة من العلماء والأدباء
ة القصيرة — فترة العصر المرابطى — ويأتى
ء والأدباء ، الذين ظهروا فى أواخر عهد

لس ، وقد نشرها المقرى فى نفح الطيب (القاهرة ،

اد والغوث من يوسف بن تاشفين .
اعتزل ابن القصيرة وقتاً حتى استدعاه
ن القصيرة كاتباً بليغاً مبدعاً ، ويصفه
الناثر ، القائم بعمود الكتابة ، والحامل
لة النظم » . ويصفه ابن بشكوال فى الصلة
ن فى أنواع العلم» . وقد انتهت إلينا من
نها أولانص المرسوم الصادر عن يوسف
لى ، وهو مدبج بقلمه ، وقد أوردناه
ردها لنا صاحب القلائد ، وهى جميعاً
كان ابن القصيرة شاعراً جزلا فى نفس
شعره قصيدة فى هجو ابن ذى النون ؛
. وتوفى ابن القصيرة فى جمادى الآخرة

لابن بشكوال (القاهرة) رقم ١٢٥٣ ، وقلائد
الإسكوريال السالف ذكره لوحة ٦٤ و ٦٥ .

خدم فى بداية أمره دولة بنى عباد . ولما
لة ، ثم استُدعى للكتابة فى بلاط على
ن فى سنة ٥١٥هـ . وقد أورد لنا صاحب
رسالة عن أمير المسلمين إلى أهل سبتة ،
ى لفاس وسبتة ، ورسالة إلى أبى محمد
ه فيها إلى التزام الحق واتباع العدل ،
يحثهم فيها على نبذ الشقاق والتطاحن(٣) .
بن أبى الخصال ، وأخوه أبو مروان
عود بن خلصة ، ابن أبى الخصال الغافقى ،
ولد فى سنة ٤٦٥ هـ ، وسكن قرطبة
غة والسير ، وبرع فى الكتابة والنظم ،

) والإحاطة (١٩٥٦) ج ١ ص ٥٢٨ - ٥٣١ .

لة (القاهرة) رقم ١٢٦٧ ، وقلائد العقيان .

صال عدة مؤلفات قيمة منها كتاب « سراج
النوادر لأبى على القالى ، وزهر الآداب
ن الحمامة » ، وهو فى مناقب الصحابة .
ومنهاج الحسب الثاقب » فى نسب رسول
وله أيضاً آثار شعرية كثيرة . وقد سبق
ير تاشفين(٣) .

كوريال المخطوطة رقم ٥٣٨ الغزيرى ، ونشرالمراكشى
ور حسين مؤنس كاملة فى مجلة المعهد المصرى بمدريد

صلة لابن بشكوال (القاهرة) رقم ١٢٩٤ . والإحاطة
، والمعجب ص٩٦ ، ونفح الطيب ج ٢ص ١٣٧ ،
P. Boignes : Historiadores y Geografi
سائل ابن أبى الخصال الصادرة عن على بن يوسف فى
ن السابع والثامن) ص ١٦٧ — ١٧٤ .
المطرب من أشعار أهل المغرب » شيئاً من نظمه ص

الفتح بن خاقان ، فهو إشبيلى من كتاب
دى البليغ المسجع ، وهو الذى اتبعه فى كتابيه
طاف فى أول أمره بقصور الطوائف ،
أبا إبراهيم إسحق بن يوسف بن تاشفين ،
ب له كتابه « القلائد » مشتملا على تراجم
ه وكتابه . وانتقل فى أواخر حياته إلى
اً ، منحرف السلوك ، فانتهى بأن توفى
الذى أشار بقتله هو على بن يوسف(١) .
محمد بن يوسف الأنصارى ، يكنى
ن من أعلام العصر المرابطى فى البلاغة
المجيدين ، والشعراء المطبوعين ، كتب
يام أن كان والياً للأندلس ، وألف فى
اباً سماه « الأنوار الجلية فى أخبار الدولة

لكان (ج ١ ص ٥١٥) .

يضاً : على بن عبد العزيز بن الإمام
كن غرناطة ، وكان من الكتاب المجيدين
أبى الطاهر تميم بن يوسف أيام ولايته
على بن يوسف[3] .

ن كتاب الأندلس فى البلاط المرابطى ،
لقيم العلمية والأدبية ، وأهمية الأساليب
ولة ، وأوامرها ، والإفصاح عن
ت رعاية محدودة المدى ، مقصورة على
عة المستنيرة ، التى تعتبر الحركة العلمية
عريقة متمدنة ، كالأمة الأندلسية .

٢ —

لأدبية بالأندلس ، فى العصر المرابطى ،

طوط الإسكوريال السالف الذكر لوحة ٤١٥ .
(الحاشية) .
السيراء ص ٢٢٢ — ٢٢٤ .
سكوريال) لوحة ٣٣١ .

سياسته . فأما أولها أبو عبد الرحمن بن طاهر ،
طاهر أمير مرسية أيام الطوائف ، وأحد
صنوه فى العلم والأدب ، وفى سحر البيان
راً مطبوعاً . عاش بعد خلعه من الإمارة
عزلةمطبقة ، وهو يشهد تطور الحوادث
سعد بن مردنيش زعيم الشرق ، وانهارت
ابن طاهر فى الدعوة الموحدية ، ثم عبر
، وتوفى بها فى سنة ٥٧٤ هـ[١] .

بها الخليفة عبد المؤمن ، ويحاول فيها أن
حية والمنطقية . وقد وضعها على طريقة
طمئنة المؤمنة الراضية ، والنفس النزوعية
حديثها على عهد المرابطين ، وتصفه بعهد
ق قضية المهدى وشرعية إمامته ، وصحيح
النزوعية الأمارة بالسوء فى النهاية بصدق

ترجمة ضافية لابن طاهر (ص ٢١٦ – ٢٢٢) .

ى مطالعها :

قولا تبين لذى لب حقائقه

وملبسها السندس الأخضر

بأكمامها فهى لا تظهر

ة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) .

أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن الوقشى [٢]
يان . وكان ابن همشك حينما هزم فى موقعة
) ، قد فر منسحباً إلى الشرق ، وطارده
وكان بها الوزير الوقّشى فامتنع بها ودافع

الكافية فى براهين الإمام المهدى رضى الله عنه تعالى
امل فى «نظم الجمان » وهى تستغرق منه عدة صفحات

لة السيراء ص ٢١٢ – ٢١٦ ، والتكمله (القاهرة)
هل المغرب ص ٨٠ و١٠٨ .

وهاجت به عذب الحمام مرودا
على العشر فى وردى له فأزيدا

فأبصر خيــل المشركين طريدا
تغادرهم للمرهقــات حصيــدا
يعيد عميد الكافرين عبيــدا[٢]

ـه (١١٧٨ م) .

العصر المرابطى ، أبو الحسن عبد الملك
بابن الأزرق ، وهو من أهل قرطبة ،
ن قاضى الجماعة أبى القاسم بن حمدين
عفر بن حمدين وانتزع الرياسة لنفسه ،
لمية ، وانقطع إلى العبادة ، فى بعض

حمة ضافية للوقشى (ص ٢٣٠ – ٢٣٦) .
الجزء الأول من مخطوط باريس لوحة ١٦) .

ط بجيشه على مقربة منها ، كان أبو الحسن
نتيال ، هما اللذان خرجا لمخاطبة الأمير تميم
غوث والإنجاد ، ولكنه لم يستجب إلى هذا
م (٣) .

— ٣

لأدباء المؤرخين ، وأعلام الرواية المحققين ،
رنا فى تاريخ الأندلس ، وتاريخ الأدب

بدهم ، أبو الحسن على بن بسّام الشنتريني ،
أقيم وأشهر كتب الأدب والتاريخ فى هذا
جميعاً . وابن بسام من أهل غربى الأندلس
غادرها فى شبابه إلى إشبيلية حينما اضطربت

. وراجع ص ٩٦ من هذا الكتاب .

لمعتمد بن عباد ، وكتاب في شعر ابن
واهر في ترسيل ابن طاهر » ومجموعة
ابن بسام بأسلوبه المشرق ، الذى يغلب
وإشراقه ، كما يمتاز بملاحظاته النقدية
لجدير بالذكر أنه لم يُعرف عن ابن بسام
ل على موائدهم أسوة بمعظم زملائه ،
طبة سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) (٣) .

بن وزمر الحجارى ، صاحب كتاب
جارة حسبما يدل على ذلك اسمه . ولما
ى ، غادرها مع أهله ، وطاف بعدة
وسار منها الى قلعة بنى سعيد (أو قلعة
لملك بن سعيد ، وهو من أقطاب علماء

م الأول) طبعة جامعة القاهرة ص ٢ و ٣ .

يرة ، وكذلك Pons Boigues :ibid ; No 171

س ، وبها ولد سنة ٤٦٦ هـ . ودرس على
على الصدفى . ثم انتقل إلى ألمرية ، وعاش
راية والتاريخ والأنساب . وكتب كتابه
ار ، فى أنساب الصحابة ورواة الآثار» .
وفى بألمرية شهيداً حينما دخلها النصارى
(أكتوبر سنة ١١٤٧ م) [٢] .

مر الطرطوشى السالمى ، من أهل طرطوشة
، وكان متقدماً فى فنون عديدة من الأدب
ة مؤلفات أشهرها كتابه « درر القلائد
جغرافى . وكتاب « السالك المنظوم والمسلك
١ م) [٣] .

ى حلى المغرب » ج ٢ ص ٣٥ و ٣٦ ، والمقرى ج ٢
Pons Boig
ص ٣٣٧ ، والصلة رقم ٦٥١ ، وكذلك :

P· Boigues : ibid ; No. 187 وكذلك فى . ٧٢

ى ورواتها ، ولاسيما علماء قرطبة ، وقد
، وجاء ابن الأبار بعده ، فوضع له ذيلا
أبو جعفر بن الزبير فوضع له ذيلا آخر
صلة » إلى يومنا من أنفس وأوثق مصادر
، غير « الصلة » عدة مؤلفات أخرى ،
ب « الفوائدالمنتخبة والحكايات المستغربة»
اب المستغيثين بالله تعالى عن المهمات
ت بلغت نحو الخمسين مؤلفاً . وتوفى ابن
ة ، فى رمضان سنة ٥٧٨ هـ (أواخر

٤ —

يكن الشعر خاصتهم الأولى ، وإن كانوا

P. Biogues :

لابن الأبار (القاهرة) رقم ٨٣١ ، وفى وفياته

ـ الفرص لنكبته ، وأبو جعفر يتحفظ

ووزارتى وتأدبى وتهـــذبى
زويت عن الدنيـا بأقصى مرتب
متغضـــب متغلب مـــترتب
ويقوم فى فكرى أوان تجنبى
ر مع أخيه وبعض أقاربه على الانضمام
. بقلعتهم فى بنى يحصب . ولكنه جبن
ر إلى بلنسية، ولكن عمال السيد اكتشفوا
، وكان مصرعه فى جمادى الأولى سنة

لجيد . فمن ذلك قوله :
أما حبره ليل ، أما طرسه فجر
وسمعى وفكرى فهو سحر ولا سحر

وراعى المنية بالمرصـــــد[3]

الزجل الأندلسى ، وهو محمد بن عيسى
ل قرطبة ، برع فى الشعر والأدب، وبرع
ة عوام الأندلس أوبعبارة أخرى فى نظم
الطريقة بديعة يتحكم فيها ألقاب البديع ،
اعر ، وبلغ فيها أبو بكر مبلغاً حجره الله
البالغة ، وحارسها المعلم ، والمبتدى فيها
مام الزجالين على الإطلاق » . وخدم ابن
احب بطليوس ونال لديه حظوة وجاها.
تردد بينها وبين غرناطة . ولما قام ابن
لمطاردته ونكاله ، وذلك بسبب « شكاسة

ج ١ ص ٢٢٢ — ٢٢٧ .
الإسكوريال رقم (١٦٧٣ الغزيرى) لوحة ٥٦ .
رقم ٢١٢ .

ن بحـــال رواق

ن فى غلظ ساق

ن فيـــه الفواق

ح ولقى الصباح[1]

(1) ...قيان ص ١٨٧ ، والإحاطة فى مخطوط الإسكوريال
...ا ابن الخطيب كثيراً من أزجاله ورسائله النثرية .

العلاء بن زهر . ابنه عبد الملك . ولده أبو بكر .
رى . تأملات .

ـ ١

من أعلام المحدثين والفقهاء ، فى العصر
فى ميدانه أرفع مكانة . وكان فى مقدمة
لس ، ولمع الثانى فى غربى الأندلس ،
ة والفقه فى ذلك العصر .
ن بن محمد بن فيرُّه الصدفى . أصله من
كان مولده ونشأته ، ودرس فى سرقسطة
ر اليد الباجى ، وأبو العباس العذرى ،
الشرق فى سنة ٤٨١ هـ ، وحج ودرس
شهر علماء العصر . ثم عاد إلى الأنداس
ع صيته العلمى ، واشتهر بالأخص بتبحره
، ولكنه استعفى فأعفى ، وانقطع لنشر

لس ، وآخر أئمتها وحفاظها » . وتولى
فى سنة ٥٠٨ ﻫ ، ولبث به مدة وعرف
لتزام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،
به . ثم صرف عن القضاء وانقطع للتدريس
كتاب ترتيب الرحلة »، وكتاب « العواصم
لدح الرسول، وكتاب « قانون التأويل »،
ب « القبس فى شرح موطأ مالك » وبلغت
ربت أمور الدولة المرابطية بالأندلس ،
اضى ابن العربى البحر إلى المغرب ، على
ا ، ولقى الخليفة عبد المؤمن بمراكش فى
حها ، وقدم إليه بيعة أهل إشبيلية ، ولما
، توفى القاضى ابن العربى خلال الطريق ،
نفس السنة (١١٤٧م) . ومما تجدر ملاحظته

٣٣ . وكذلك : Pons Boigues : ibid; No 143

التفسير . انتهت إليه ، وإلى زميله القاضى
ا ، ولى قضاء غرناطة ، فظهر فيه بكفايته
رمضان سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٦م)[٣].

، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد
سرقسطة ، ومولده بألمرية سنة ٥٠٢هـ ،
دماً فى علم الكلام ، وكاتباً بليغاً وشاعراً
ن قاضى مراكش المرابطى إلى كتابته ،
اس خطة الإمامة ، واستمر بها ، حتى
وحدين . ولما وقعت النكبة ، واستباح
العباس حيناً ، وكتب له النجاة ، حتى
واتصل بالسادة الجدد ، أعنى الموحدين .

نفح الطيب ج ١ ص ٣٣٥ – ٣٣٧ ، وكذلك :

) ج ١ ص ١٧٥ – ١٧٧

الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية
علوم القرآن والسنة وكان فقيهاً متبحراً ،
عديدة ، وتولى القضاء بغرناطة وألمرية ،
كل ما تقدمه من كتب التفسير ، واشتهر
« الأنساب » ، وانتهى إلينا من مؤلفاته
الإسكوريال .
ة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م)[٢]. وكان فوق
دح المرابطين :
أزاهر تبـدو من فتـوق كمائم
عيون الأفاعى من جلود الأراقم[٣]

رجمة ضافية لأبى العباس ج ١ ص ١٨٩ – ١٩٣ ،
عبد الملك إن مولد أبى العباس كان بألمرية سنة ٤٩٢ هـ
فى التاريخين. وراجع التكملة لابن الأبار رقم ٢٠١.
الأندلسية) ترجمة رقم ١١٠٣ .
كذلك P. Boigues; ibid; No 109 ، والمطرب

س أحمد بن محمد بن زيادة الله التقى
لحديث والأدب ، وولى خطة الشورى ،
ة حيث تولى بها قضاء الجماعة ، وعلت
لكنه كان سيئ التصرف ، كثير الرعونة ،
ى أمواله ، واعتقله ببلدة أندة على مقربة
مقتله فى سنة ٥٥٤ هـ(١١٥٩ م)[٣] .

بن إبراهيم الأنصارى ، ويعرف بابن
حافظاً متقناً ، فقيهاً ظاهرى المذهب على
فى الحديث عنوانه « المنتخب المنتقى »
ى نوازل الشرع . توفى قتيلا ببلبلة خلال
ى فى شعبان سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤م)[٤] .

حة ٢٥٦ .
P. Boigues: ibid; No 164 فى
. ١٧٤
. ١٦٢

حافظاً ، بصيراً بالفتوى . ولى قضاء شاطبة
نيش ، ثم ولى إلى جانبه قضاء أوريولة ،
الحلال ، نكب معه ، واعتقل شهوراً ،
يولة ، ومنصب الشورى بها ، إلى أن توفى

معد بن الفرج ، أبو الحسن بن عز الناس ،
وتجول فى بلادالأندلس يدرس أينما حل ،
ان من أساتذته أبو بكر بن العربى ،
شد ، وبرع فى الفقه والأصول والحديث ،
دم الأمير أبى زكريا بن غانية ، أيام إمارته

ك فى P. Boigues : ibid;No 168
ى فى P. Boignes : ibid;No 176
ك فى P. Biogues : ibid;No 147
خزانة الرباط المصور ، السفر الأول لوحة ٤٤ ،

وط ، ثم ولى قضاء شلب ، وتوفى فى

العصر ، أحمد بن على بن أحمد بن خلف
ه من جيان ، وكان إلى جانب ذلك أديباً
لفاته « كتاب الإقناع » وهو من أجل
رلة » وهو فى القراءات أيضاً ، وكانت

الفقهاء والحفاظ ، القاضى الأجل ،
اليحصبى السبتى ، وهو إن كان أكثر
ى ، وشارك فى الحياة العقلية الأندلسية

٤٧٦ هـ ، وتلقى العلم حدثاً عن أشياخ

البريطانى – السفر الرابع لوحة ١٤٨ ا .
ريال (١٦٨٢ الغزيرى) .
.
٢٠١ – ٢٠٣ .

يه بالتنويه والتقدير ، ثم رحل إليه ولقيه
راكش (سنة ٥٤٠ هـ) ، فأجزل الخليفة
طراب بسبتة وخلع أهلها طاعة الموحدين ،
تحريض في ذلك إلى القاضي عياض .
انية ، وانقلب على الموحدين ، فلما قدم
صارها ، عاد القاضي فسعى في الاعتذار
ا عنه ، وعن أهل سبتة ، وسار القاضي
ليستعطف الخليفة ويلتمس صفحه ، فعفى
عينه بمجلسه ، ثم مرض عياض بعد ذلك
جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩م) ،
ضعه .

لحفاظ ، ومن أعظم أئمة عصره في الحديث ،
بارعاً في علم الأصول والكلام ، حافظاً
ط والأحكام ، أبرع أهل زمانه في الفتيا ،
شاعراً مجيداً ، حسن التصرف في النظم ،

، الذين ظهروا فى العصر المرابطى ،
عضهم فيما يلى :

خلف النفزى من أهل شاطية ويعرف
للمسائل ، بصيراً بالفتوى ، خبيراً بعقد
ستظهراً لمقدمات ابن رشد ، ولى خطة
رعه ، وزهده ، وتوفى فى جمادى الأولى

صاحب الصلاة من أهل باجة ، وكان

بة الكتانية المحفوظ بخزانة الرباط ، برقم 553 ،
- ١٤) .

٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٤٦٩ ، وقلائد
لإحاطة - مخطوط الإسكوريال السالف الذكر ،

بعد عند الكلام على نظم الحكم الموحدى .
. ١

قنطرة السيف من أعمال الغرب ، وهى
لرية على جماعة من أقطاب العصر مثل
بى الحصال ، وغيرهم ، وبرع فى الحديث
فى الفقه ، وتولى خطة الشورى ، وكتب
نقلها ابن الأبار كلها ، وتوفى بمراكش

بن إدريس التجيبى من أهل مرسية .
غيره من شيوخ العصر ، وبرز فى الفقه ،
، وتقلد خطة الشورى وأحكام القضاء
ية ، وعرف بالكفاية والنزاهة ، وتوفى
(ه

طى ، حركة دينية خاصة ، اتخذت طابع
طائفة المريدين فى غربى الأندلس . وكان
اس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله
من أهل ألمرية ، وبها ولد سنة ٤٨١هـ .
عليه الزهد والورع ، ومال إلى طرق
ألف عدة تصانيف منها «كتاب المجالس»،
ابن حزم ، وكانت بينه وبين القاضى
فقهية . والظاهر أنه قد أثار بكتاباته
به إلى على بن يوسف ، فاستدعاه إلى
وذلك فى صفر سنة ٥٣٦هـ (١١٤١م)،
مين على ما كان منه فى حقه[٣] .

لأعيان (ج ١ ص ٦٧) . وكذلك فى الصلة لابن

ى دعوة شعارها « التهليل والتكبير » .
، مؤرخ الموحدين عن « ثورة المريدين »
يخه المسمى « المن بالإمامة » ، ولكن هذا
إليه هنا ، هو أن ابن قسى كان جانب إلى
والكلام ، وكان أديباً وشاعراً من شعراء
نظمه .

ل لواء دعوة المريدين ، محمد بن عمر
. وكان فقهياً متمكناً ، وأديباً بارعاً ،
ا تقدم شيئاً من نظمه .

، أبو بكر بن المنخّل الشلبى ، وزير
جزلا ، وقد انضم بعد انهيار الثورة فى
ن مدح الخليفة عبد المؤمن خلال وجوده
طائفة من نظمه ، ومن ذلك قوله مخاطباً

. ١

ى رجب سنة ٥٦٧ هـ .

ـد . ومن ذلك قوله من قصيدة :

لاشك يقضى ولوجـــه السقم

يا خالق العرش ومجــرى القلم

لولا سنى منك يجلّى الظلم[٢]

بالشرق أيضاً أبو العباس أحمد بن معد

، ويعرف بابن الأقليشى ، أصلهم من

لعباس ونشأ . ودرس ببلنسية، وإشبيلية،

الأدب ، وكان من أساتذته أبو محمد

بو القاسم بن ورد ، وغيرهم من أقطاب

٥٣ هـ ، فحج وجاور بمكة . وحدث

٢ .

رقم ٢٠٠ ، وفى الذيل والتكملة لابن عبد الملك ،

مرسية ، وكان فوق براعته فى علوم
اللغة ، شغوفا بالتصوف مؤثرا له . ولى
ـقدرته ونزاهته ، وكان حافظا متقنا ،
ـر سنة ٥٦٥ هـ[٢] .

اللغة ، أو محمد عبد الله بن محمد بن السيد
ن غربى الأندلس ، كما يدل على ذلك
سية ، ودرس بها ، وكان فضلا عن أدبه
اللغة ، يجتمع إليه الناس من كل فج ،
ـه ، وكان حجة ثقة ضابطاً . وله عدة
ـحه لكتاب « سقط الزند »[٣] لأبى العلاء
بأنه أجود من شرح أبى العلاء صاحب

ـم ١٦٧ .

ـة إحياء تراث أبى العلاء المعرى » وأصدرته وزارة

وشاء له البيت الرفيع سليمان
غيوث ولكن الخواطر نيران
ن منتصف رجب سنة ٥٢١ ﻫ (يونيه

ن بن محمد بن مغيث . وقد ولد بقرطبة
علوم اللغة ، وكذلك فى الرواية وعلم
ة ابن بشكوال حسبما يحدثنا فى « الصلة » .
.

. الله ، ويعرف بالتدمىرى لأن أصله
ع فى الآداب العربية واللغات ؛ وكان
وقتا فى ظل بنى حماد . وله عدة مؤلفات
رح على كتاب الفصيح لثعلب ، وشرح

عيان (ج ١ ص ٢٣٢ و ٢٣٣) ، وفى الصلة

لك فى Pons Boigues : ibid; No 161

يحيى بن الصائغ التجيبى المشهور بابن
ولة بنى هود ، ونبغ فى الرياضة والفلك
الرياضية ، التى ازدهرت فى ظل المقتدر
أبو بكر بن إبراهيم المسّوفى ، وهو ابن
، حُكم سرقسطة فى سنة ٥٠٨ هـ ،
ق عليه ثقته ورعايته ، بالرغم مما كان
ل عليه معاصره الفتح بن خاقان فى كتابه
، وقال فى حقه : « نظر فى تلك التعاليم ،
يم ، ورفض كتاب الله الحكيم » . ولما
٥١ هـ (١١١٨ م) ، غادرها ابن باجّة
لى المغرب ، وتوفى بفاس سنة ٥٣٣ هـ
فلاسفة الأندلس ومفكريها . وقد كتب

، وهى تقع على مقربة من جنوب غربى جيان .
كوريال (رقم ١٦٨٢ الغزيرى) .

د ، وهو يومئذ من أشهر أطباء الأندلس
لج. ولما استولى القشتاليون على طليطلة
وتجول فى مختلف ربوع الأندلس ،
وبها توفى سنة ٤٩٩ هـ (١١٠٥ م)[٢] .
ة بن عبد العزيز بن أبى الصلت . وقد
على أقطاب عصره ، ولاسيما أبى الوليد
والفلسفة والطب والفلك . غادر وطنه
رح إلى مصر فى سنة ٤٨٩ هـ ، فى خلافة
ه الأفضل شاهنشاه ، تحدوه آمال كبيرة
رزقاً ورغداً ، ونزل بثغر الإسكندرية ،
اتصل بالأفضل بواسطة بعض حاشيته ،
خيبة أمل يعبر عنها فى شعره :

–٤١٦ . وقد سبق أن تحدثنا عن ابن باجة فى تاريخ
بن باجة فىالبحث الغربى باسمه اللاتينى **Avempace**
– مخطوط المتحف البريطانى – السفر الرابع .

مات ، والتصديق بالمحالات ، وضعف
نها المعاصرين ، وينعتهم بأنهم « رعاع
الأمير يحيى بن تميم ، استمرت حظوته
ى له كتاب الحديقة أو « حديقة شعراء
» للثعالبي . وكان أمية ابن أبي الصلت ،
جزلا . وله ديوان شعر أشار إليه ابن
منها تلك الأبيات التي قالها قبيل وفاته ،

بأني إلى دار البقاء أصير
إلى عادل في الحكم ليس يجور
وزادي قليل والذنوب كثير
بشر عقاب المذنبين جدير
فثم نعيم دائم وسرور

بعناية الأستاذ عبد السلام هارون ، ص ٢٤ و ٣٠ .

؛ ومن مؤلفاته «كتاب الطرر» ، الذى
كان مع براعته فى الطب أديباً ، وشاعراً

إلا الفؤاد وما منه لها عوض
صحت وفى طبعها التمريض والمرض
فقد يسُد مسدّ الجوهر العرض

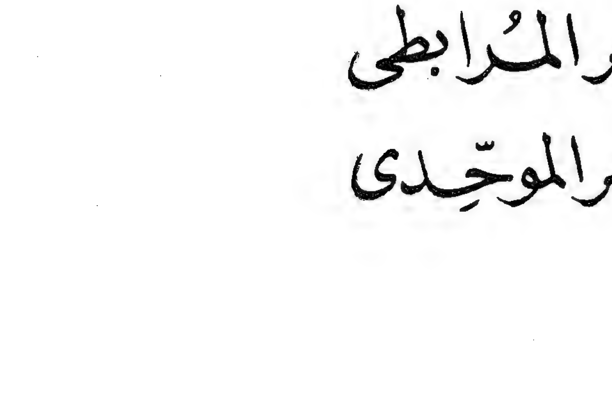
أ على قول ابن الأبار ، بقرطبة فى سنة
دفن فى إشبيلية .

بد الملك بن زهر ، وهو المعروف فى
د الملك فى الطب براعة أبيه وجده ،
عتبر عبد الملك بن زهر أعظم طبيب فى
ويعتبره تلميذه ابن رشد أعظم طبيب
إشبيلية ، واتصل بالمرابطين وصنف

، والقفطى فى أخبار العلماء ص ٥٧ ، وكذلك فى

لعلوم والآداب ، ومنهم عبقريات بارزة
، تحمل على كثير من التأمل . وإنه ليغدو
شيء من الروية ، أن نقول إن الحكم
سير الحركة الفكرية الأندلسية ، وعاقها
ن يقال فى ذلك هو أن ما اتخذه المرابطون
الكلامية والشرعية والفلسفية ، وتوجيهها
الأصول ، قد يكون له أثره فى سير هذه
الغ فى تقدير هذا الأثر . أولا لأن هذه
العلمية والأدبية ، قد تأثلت جذورها
يطل أمده بالأندلس ، ولم يلبث أن زالت
والمطاردة التى اتخذت ، ثم جاءت ثورة
عاملا له أثره فى إذكاء الحركة العقلية ،
.فاع .

لابن زهر وجده عبد الملك – مخطوط المتحف البريطانى
ة لزهر بن عبد الملك رقم ٩٠٧ . وراجع عن بنى زهر
ة ص ٢٠٣ ، وفى نفح الطيب ج ١ ص ٤٣٧–٤٣٩ .


المُرابطى
الموحِّدى

ا النصرانية . تفاقم الخلاف بين أوراكا وألفونسو.
لان بطلان الزواج . معارضة ألفونسو فى ذلك .
ريمونديس فى جليقية . استياء أوراكا من مسلكه
أهل شنت ياقب ضد الأسقف . التجاؤه إلى حماية
ا إلى شنت ياقب ومقاومتها . عودها إلى مهاجمة المدينة
الأسقف وارتقاؤه إلى المطرانية . الحرب بين أوراكا
ران ديجو وإخوته . غضب الشعب والبابا . أوراكا
. الصلح بين الملكة وابنها والمطران . سعى البابا إلى
خين فى الحكم عليها . ألفونسو ريمونديس ملك قشتالة
اهتمامه بالقضاء على سلطان الأشراف . أسرة لارا
البرتغال . زواج ألفونسو ريمونديس من ابنة رامون
نزوات المتبادلة بين المسلمين والنصارى .

ل الطوائف » ، تاريخ الممالك الإسبانية
لادى ، حتى وفاة ألفونسو السادس ملك
يه سنة ١١٠٨ (شوال سنة ٥٠١ هـ) .
الك النصرانية ، خلال العصر المرابطى ،

واصيهم . ولبثت قواته فى حصن لييط
أن حاصره المرابطون وقوات الطوائف ،
جاد فلول حاميته ، ثم أخلاه (١٠٨٩م) .
واستولى عليها سنة ١٠٩٣ . واشترك
السيد الكمبيادور ، وعاث فى أنحائها ،
بطية المتأهبة لاستردادها (١١٠٢م) .
ولده على ، عبر إلى شبه الجزيرة ،
معه قوات مرابطية ضخمة ، ونفذت
قشتالة ، يقودها الأمير أبو الطاهر تميم
بقوات قشتالة ، وكان الملك الشيخ —
، وبعث معها ولده الطفل سانشو ليبث
ر أن تكون موقعة أقليش « زلاقة »
تل فيها الإنفانت الصبى سانشو ، وحيد
الة وأكابرها (٢٩ مايو سنة ١١٠٨م)
يعش ألفونسو بعد هذه الضربة طويلا ،

إنابة فيها أن يزوجهما من ابنتيه أوراكا
كونت ريمون بأورّاكا ، وهى ابنة الملك
، وتزوج الكونت هنرى بتريسا ، وهى
خمينا نونيس ، ومنح ألفونسو أورّاكا
ريسا وهنرى إمارة الأراضى التى انتزعها
البرتغال) ، وهى التى غدت فيما بعد
شبه الجزيرة . وهكذا بدأ النفوذ الفرنسى
بعد أن تسرب إلى شئونها الدينية على يد
طران برنار ، مطران طليطلة ورئيس

قشتالة كان وراثياً . وقد واجهت ألفونسو
موقعة أقليش مشكلة صعبة ، هى مشكلة
ها فى وصيته التى وضعها قبيل وفاته .
توفى منذ سنة ١١٠٧ م ، بعد أن أنجب

. ٣٩٠ — ٣٨

ـقب أوراكا من زواجها بألفونسو ملك
ـفاتها ، إلى ولدها ألفونسو ريموندیس ،

ـن حصن منيون فى أكتوبر سنة ١١٠٩م .
ـلكة فى قوات قشتالة مع زوجها الملك ،
ـان المرابطون قد احتلوا عندئذ سرقسطة ،
ـم ينل مأرباً . وسرعان ما دب الشقاق
ـف واضحاً بين الزوجين فى كل شىء .
ـصدر الخلاف الرئيسى . وكانت أوراكا
ـت أن تستأثر بجميع السلطات فى قشتالة
ـد سائر الرجال الذين يشك فى ولائهم
ـع مناصب الدولة . فثار ألفونسو غضباً
ـن حقوقه الملكية . يقول المؤرخ لافونتى :
ـنى موهوباً يتمتع بصفات الجندى الخشنة ،
ـقيقاً . وكانت الملكة من جانبها لا تراعى

لعة كاستلار (سنة ١١١١ م) بحجة أنها
ا تصدع من هيبة العرش .
دخول المعركة . ذلك أن الأمير هنرى
ا أخت أوراكا ، كان يطمح إلى عرش
، عبر إلى فرنسا ليبحث عمن يساعده فى
طريق أراجون ، واتفق مع ألفونسو على
لة ثم يقتسمانها فيما بعد .
ى الوقت حول الأمير الطفل ألفونسو
ثيرة فى جليقية تحت رعاية وصيه الكونت
اكا بملك أراجون ، أراد الوصى أن يعلن
سية جده . وكان هنرى أمير البرتغال يؤيد هذا
قلعة كاستيلار ، بادرت فأرسلت رسلها إلى
راف جليقية خشوا من انتقام ملك أراجون .

M. Lafuente : Historia Gener

الحرب الأهلية ، وتحركت قوات ليون
وات أراجون والبرتغال ، والتقى الفريقان
سبولفيدا من أعمال ولاية شقوبية . وكان
لارا ، ولكنه ما لبث إزاء عنف هجوم
ر إلى برغش ، وخلفه فى القيادة زميله
، النهاية عن فوز قوات أراجون ، وكان
القتلى (نوفمبر سنة ١١١١ م) .
رجونى قشتالة ، وهو يعيث فى أراضيها
سار الملكة ، واعتدى الجند على الكنائس .
فانضموا إلى الملكة ،وأعلنوا الأمير الطفل
وقرروا أن ينقلوه لدى أمه فى قشتالة ،
خلمريث ، ومعهم فرقة قوية من الجند .
سدهم ، ونشبت بين الفريقين على مقربة
أن ينتزع الملك الطفل . وهزم الجلالقة ،
المعركة أن يحمل الطفل وأن يفر به ناجياً

ثروات وموارد طائلة وأتباع عديدين ،
سي الذى تجوزه قشتالة . وكان الأسقف
لحزم ، كثير الأطماع ، متحفزاً ، شغوفاً
الا كتراث بالوسيلة ، وهو ما كان يتفق
ر ، الذى كان ينتقل فيه الناس بسهولة
حنثون فى كل وقت بالعهد أو بالصداقة
بارزاً لأهل عصره ، وللطبقة السائدة
، وهكذا ، سوف نراه صديقاً للمالكة
كة البرتغال ثم عدواً لها ، وصديقاً للملك
نراه يحارب إلى جانبهم ثم يحارب ضدهم

عوام التالية ، وانقسمت اسبانيا النصرانية
حيث البلاد والموارد حزب ملك أراجون ،

R. Altamira : Historia de Espana y
(Barcelona (1900) V. I. p. 357 & 858

الشديدة بين الزوجين . ولم تمض أشهر
لد فى بالنسيا بطلان الزواج بصفة رسمية ،
ك أراجون أعلن بطلان القرار البابوى ،
لاستيلاء على ولاية ريوخا .

لاقل تتعاقب ، أحياناً فى صف أورركا ،
فى مسلكها المشين لاتنى على شيء ، وقد
الكونت پيدرو دى لارا كل الشئون ،
، يجرى ذكرها على كل لسان . وكان
ماوسع لتوطيد مركز ألفونسو ريموئديس
دى تراڤا مؤدب الملك وزملائه الثوار
ده ، وسارت فى بعض قواتها إلى شنت
حاولات ، فاضطر الأسقف إلى إعلان
أن سار الكونت دى تراڤا ، وتريسا
، وحاصرا الملكة أوراكا . وكانت
، دفع حدودها إلى أراضى مدينتى

ها بعنف ، حتى اضطرت أن تلتجئ مع
م الثوار فيها النار غير مكترثين بصفتها
ارج طلباً للنجاة ، تطاول عليها الثوار
تعهدت لهم بأن تعين لهم أسقفاً آخر يوافق
فقاً لرغبات أهلها . أما الأسقف دجو ،
هلكوا في الكنيسة حرقاً .

حتى زحفت على المدينة قوات جليقية ،
راعتزمت الملكة عندئذ أن تعاقب أهلها
ل المدينة ، وخرج كبراؤها من قساوسة
سقف بأن تصفح عنهم ، وأن يُرفع عنهم
هى الأمر بأن اشترطت الملكة ، أن ينزع
إخوة » ، وأن يقسم الكبراء يمين الطاعة
فى من أبنائهم وأقاربهم رهينة ، وقررت
وفرضت على المدينة غرامة فادحة . ثم
، وأعيد الأسقف إلى منصبه ، وردت

كانوا أو نصارى ، وإلا تعاون أحداً من
عادت أوراكا على رأس حملتها الغازية إلى
ياقب النهر أولا ، وما كاد يتم عبورها ، حتى
إلى أحد الحصون ، وقُبض كذلك على
أسقف أورنسى ، وكانوا جميعاً مع الجيش.
وقع فى شنت ياقب وفى رومة . ففى
ضبه بأجلى مظاهره حينما قدمت الملكة
ديس ياقب . وأما عن موقف رومة ،
ارنة اسبانيا ، بأن يعقدوا مجلساً دينيا ،
ة ، إذا لم تفرج عن المطران خلمريث ،
جهة أخرى فقد ثار شعب شنت ياقب ،
ران ، وزاد فى حماستهم وثورتهم مقدم
قواته . وعندئذ اضطرت أوراكا ،
ن . ولكنها لم تقم برد أملاك الكنيسة ،

كما سوياً كل الأراضى التى ورثتها أوراكا
استمر على حاله ، ولم تثمر فى حسمه
شخصية تحول دون كل توفيق ، وتذكى
النفوس . وكان ولدها الملك الفتى ، قد
فرقة قوية من فرسانه واستطاع أن يقبض
وأن يلقى به إلى السجن . ولكن الكونت
برشلونة ، ورفع هذا الحادث من سمعة
رة أشراف قشتالة ، الذين كانوا ينقمون
ومع ذلك فإن هذه الملكة الماجنة استمرت
ية المشينة ، حتى نهاية حياتها .

داً لحياة ذميمة ، فياضة بالفجور والفضائح
طرمة ، وتوفيت أوراكا ملكة قشتالة فى
فى سائر أنحاء اسبانيا النصرانية ، ملوكا ،
، واختفت من حياة قشتالة العامة ، شخصية

، ويدمغها بأقسى النعوت . ومن هؤلاء
تاريخه[1] بشدة ، ويقول : « يجب علينا
ة تاريخنا القومى » . ويضع لوقا التوى ،
ية سائر المحن والخلافات التى حدثت على
« امرأة متهورة وشجاعة » ويتحدثون عن
هذا بينما يرفض الأب فلورس[2] وغيره ،
طيش التى نسبت إليها » ويرجعون المسئولية
بات إلى الملك ألفونسو المحارب ، وينسبون
دينية ، ويصفونه بأنه زوج همجى ومسىء
رجال الدين ، وملوث ومخرب للمعابد ،
لم يتورع عن محاولة اغتيال الأمير الصبى[3].

Sandoval : Historia de los R

Flórez : Historia de

M. Lafuente : Historia Gener

ما تزال تحتل عدداً من الحصون داخل
القديمة ، وقام والدها فى الملك ، أخذ
بيده من حصونها ، وأخذ ألفونسو
دعاوى ملك أراجون ، وتحرير أرض
الملكين يتأهب لمقاومة خصيمه . وكان
ذ بقواته إلى أراضى قشتالة حتى صار
قشتالة وكان يقودها الكونت دى لارا .
. وسرعان ما تدخل بينهما الأساقفة ،
يسلم الحصون التى تحتلها قواته فى مهلة

به ، ولم يمض عامان آخران حتى عاد
س فى قواته إلى لقائه . والتقى الجيشان
ساقفة مرة أخرى ، وتكرر السعى القديم
ن جانب ملك قشتالة ، فى أن يرد إلى
.

الأمراء المسلمين فى طرطوشة ومكناسة
رعته الساحقة ، ثم مصرعه فى يوليه
يل فى موضعه .

سو ريمونديس فى مستهل حكمه ، فهو
راتهم التى توالت منذ عهد أمه أوراكا .
را ، التى كانت تناهض العرش أحياناً،
البالغ . وكان عميدها پيدرو جونثالث
سرى ، وأخوه ردريجو ،وكان ألفونسو
على عشيق أمه ، وأن يعتقله ، ولكنه
موت أوراكا ، واستطاع أن يستولى
ألفونسو بالسير إلى بالنسيا ، واستولى
مقدمتهم الكونت پيدرو دى لارا ،
منطقة الأستر ياس (أشتوريش) .
درو ، فغادر قشتالة مرة أخرى إلى
ذه السابق ، واشترك مع ملك أراجون

ى كل مقاومة ومطارحة على ...
ا . وكان البرتغاليون ينقمون على ملكتهم
ة لخليلها الكونت پيريث ، ويطالبون بتقديم
. ولما آنس القواد البرتغاليون ضعفهم ،
ة ، أعلنوا باسم ألفونسو هنريكيز ، أنهم
ومليكها ألفونسو ريموندیس ، وهكذا عاد
قضى على مشاريع خالته تريسا العدوانية .
ج أثناء ذلك من دونيا برنجيلا ، ابنة رامون
١١م) ، وكان هذا الزواج عاملا فى توثيق
إمارة برشلونة ، واستطاعت هذه الأميرة
ذكائها فى بلاط قشتالة ، أعظم نفوذ ،
ماره الأول ، يصغى إلى نصحها فى سائر
ك على ذكائها وحسن إدراكها للأمور[1] .
...و بإخضاع بعض ثورات محلية فى منطقة

La

السلمية والسلام فى مملكته ، حتى استدعى
حث خطط الحرب ضد المسلمين (سنة
ة ، قد أخذت قبل ذلك بقليل تتوالى فى
تاشفين بن على بن يوسف شئون الأندلس
ا نحن من قبل تفاصيل الغزوات التى قام بها
، والغزوات التى قام بها القشتاليون فى
أن نعود إلى ذكرها هنا . بيد أنه مما
توالت فيها غزوات القشتاليين لأراضى
التى اشتدت فيها وطأة ألفونسو المحارب
الأعلى . وقد سبق أن فصلنا كيف أحرز
ة القلاعة جنوبى بلنسية فى سنة ٥٢٣ ﻫ
لك أراضى بلنسية ، وعاث فيها ، ثم عاد
واستولى عليها فى سنة ٥٢٧ ﻫ (١١٣٣م)
سوارها ، وموته على أثر تلك النكبة ،
ضان سنة ٥٢٨ ﻫ)

سية راميريس ملكها للغزاة. سعيه إلى طلب الصلح .
اجون وناقارا . عقد الصلح بينهما . غزو ألفونسو
قشتالة للأندلس . موقعه بين المسلمين والنصارى
لأندلس مرة أخرى . معاونته للثوار ضد المرابطين .
ط القواعد الإسلامية بالثغر الأعلى . غزو ناقارا
ة برنجيلا . وفاة غرسية راميريس ملك ناقارا .
تطور الحوادث . الزيجات الملكية . الحرب بين
تالة على تقسيم ناقارا . عود ملك قشتالة إلى غزو
. استردادهما على يد الموحدين . استرداد الموحدين
و ريمونديس . خلاله وأعماله . برنامجه فى مهاجمة
امون برنجير وأعماله الأخيرة . وفاته وخلاله .
رب بين الأخوين . هزيمة فرناندو واعترافه بسيادة
. الوصى جوتيرو دى كاسترو . سخط آل لارا .
مه لآل لارا . مطالبة آل كاسترو بإعادة الطفل .
لقشتالة . إعلانه لوصايته على ابن أخيه . تسليم
سترو. الحرب بين الأسرتين . هزيمة آل لارا .
باع فرناندو . استمرار الحرب الأهلية بين الفريقين .
ة فرناندو . استيلاء آل لارا على طليطلة . إعلانهم

التى حكمها منذ وفاة أخيه الملك بيدرو
أعظم ممالك اسبانيا النصرانية وأقواها ،
جه من أوراكا ملكة قشتالة ، أعظم عاهل
ونسو معظم جهوده الحربية فى محاربة
ة الباقية من بنى هود ، ثم انتزع سرقسطة
الشهيرة فى قلب الأندلس ، واخترقها
ى شاطئها الجنوبى (٥٢٠ هـ — ١١٢٧م) .
صلنا حوادثها فيما تقدم ، ضعف وسائل
فتتاحه سرقسطة ، والقضاء عليها كحاجز
حققه ألفونسو السادس بافتتاح طليطلة ،
دلس معرضة للغزو النصرانى من الشمال
الإسترداد النصرانية La Reconquista
ئق قوى ، وتنوه الرواية الإسلامية
ديد بأسه . فيقول لنا ابن الأثير فى
أساً وأكثرهم تجرداً لحرب المسلمين ،

م قلائل فى إمارة برشلونة ، وكان أميرها
على القيام فى إمارته، وحاول ألفونسو
ية فرسان دينية على غرار جماعة بيت
، ولكنه لبث يحتضن مشروعه حتى

الموحدين لأشياخ .(الترجمة العربية ، الطبعة الثانية

وفرسان الأسبتارية **Hospitallers** من أشهر
وسطى فى بداية الحروب الصليبية . والجماعة الأولى
ية » وقد أنشئت سنة ١١١٩ م فى بيت المقدس عقب
إلى قبر المسيح ، وأفرد لهم ملك بيت المقدس جناحاً
اشتقوا اسمهم « فرسان المعبد » . ونمت هذه الجماعة
ى من سائر الأمم ، ولعبت دوراً هاما فى حوادث
والأسبتارية هم أيضاً جماعة دينية من الفرسان ،
وادث الحروب الصليبية ، ولكنها كانت أضعف شأناً

عن الأرجونيين ، وأعلنوا فى بنبلونة
الهم ملكاً ، هو غرسية راميريس حفيد
١ ، وبذا انفصلت ناقارا عن أراجون ،
ستقلة من دول اسبانيا النصرانية .

رى ، فى مونتسون ، فى مجلس نيابى
الراهب راميرو ملكاً لأراجون ، وقبل
ن بتحريره من عهد الرهبنة ، وتولى
ة إنيس ابنة كونت بواتييه وأخت دوق
ون ، بعد أن كانت فى عهد ألفونسو
لكة صغيرة محدودة الموارد والقوى ،
حديدة هى مملكة ناقارا المستقلة .

رات الحديدة بمنتهى الاهتمام ، ويدبر
ضع الحديد يستقر فى أراجون وناقارا ،
، واتجه نحو ضفاف الإيبرو ، واستولى
ة بحجة حمايتها من المرابطين ، ولم يجرؤ

ى فى الكنيسة الكبرى ، واضحى الفونسو
مبراطور ، أو القيصر ألفونسو ريموندس
س ليون هذا ، عدة قرارات هامة ، منها
وق والامتيازات التى منحت للكنيسة على
افقة بمسعى المطران ريمون الذى حل محل
نها قرار يقضى بتطبيق القوانين والحقوق
حاء قشتالة والولايات التابعة لها ، وهى
ر ألفونسو السادس ، وترتب على هذا
ة ، وإلغاء بعض الإمتيازات التى انتزعها
صدر قرار بإنشاء نوع من الجند الاحتياطى
ى رجل قادر على حمل السلاح ، وذلك لرد
عقاب كل مجرم مهما كان شخصه ومقامه ؛
ثل هذه القرارات العادلة ، فى عصر كان

طين والموحدين لأشياخ (الطبعة الثانية) ص ١٧٦ ؛
Lafuente : ibid; T. III. p. 251; R. Altamir

ك اسبانيا النصرانية . بيد أن الخلاف لبث
ولاسيما على الحدود والألقاب الملوكية ،
وفكر ملك أراجون الراهب بأن يعوض
را ، ونزل له عن قلعة أيوب ومواضع
افتتحها من المسلمين ، واقترح أن يقدم
ولى عهد قشتالة . وكانت سياسة راميرو
جون ، إذ كانوا يرون فيها خطراً على
عى نفراً من هؤلاء المعارضين ذات يوم
ة ، وهى رواية يشك فى صحتها . وكان
شاريع راميرو بعين التوجس والغضب ،
ون ، وكان ملك قشتالة من جانبه يخشى
يهدد سيادته . ومن ثم فقد اعتزم ألفونسو
وزحف عليها بالفعل فى جيش ضخم ،
ال الفتى ألفونسو هنريكيز هذه الفرصة ،

R. Altamira

يتصف به الكونت رامون من الخلال
يار لايمكن أن يلقى معارضة من قشتالة
ط المصاهرة . ورحب الكونت رامون
زء عرش أراجون ، وعُقد القران الملكى
كن تجاوز العامين من عمرها ، وأعطى
دة على مملكة أراجون ، وتلقب رامون
اجون ، وأقسم كبراء المملكة يمين الطاعة

ينة سرقسطة أمام كبراء المملكة . ووافق
ه التصرفات كلها . وقدم دليلا على تأييده
لحصون التى كان يحتلها على ضفة الإيبرو
رامون من جانبه يمين الطاعة لألفونسو .
الدير مرة أخرى ، وأقام بدير سان پيدرو

كبرى حياتها القصيرة ، بعد أن لمعت حيناً

مع كونت أرقلة ، وكونت باليارش،
ورين . ولما غزا ابن الحاج والى سرقسطة
٥ ه (١١١٤ م) فاجأته قوات الكونت
واشتبكت معه فى معركة دامية قتل فيها
أمير المسلمين على بن يوسف صهره الأمير
ش كبير ، لغزو برشلونة والانتقام لمصرع
قطلونية وهو يثخن فيها ، وحاصر ثغر
رامون وحلفاؤه الفرنج ، ونشبت بين
من الفريقين ، وارتد المرابطون دون أن

ت رامون ، عقب وفاة زوجه الأولى ،

التى تقول إن ابن الحاج لم يقتل فى هذه الموقعة وإنما
و القشتاليين على مقربة من قرطبة فى سنة ٥٠٩ ه

لس ، وصراعه المتصل بعد ذلك مع
رة برشلونة ، ولقى الكونت فى مدافعهم
مزيمة شنيعة لحقت بالقطلان على أيدى
ربة من لاردة . ثم تفاقمت الأمور على
ة مقاطعة « بروفانص » التى كانت من
ر الكونت أن ينزل عن سيادة نصف
إذا مات أحد الشريكين دون وارث ،

حد جهوده مع ملك أراجون القوى ،
رب يؤمن من جانبه بفائدة هذا التعاون .
ى يعقدا نوعاً من التحالف يكون خطوة
ملكتين . وكان لكل من المملكتين فائدة
ت مملكة أراجون بالأخص مملكة برية ،
ثم فقد كان فى وسعها أن تتفرغ لمقاومة
، وكبح جماح أطماعه . وكانت قطلونية

، ومنحهم حصن « جرانينا » على مقربة
افتتاح هذه المدينة من أيدى المسلمين .
سنة ١١٣١ ، بعد أن حكم مملكة قطاونية

ث ، أعظم أمراء تلك الأسرة التى حكمت
ة تضم برشلونة ، وأحوازها ، وفى عهده
وازدهرت تجارتها ، وعم بها اليسر ،
حركة تمدنية وفكرية ملحوظة ، وكانت
برشلونة ، وڤيش ، ومزيسه ، وجيرندة
وبروڤانص ، وكانت حدودها الغربية

اتها، ولده الأمير رامون برنجير الرابع ،
ده الثانى برنجير رامون . وكان الأمير
نفس الطريق الذى رسمه أبوه ، وبدأ
رسان المعبد (الداوية) بقطلونة ، وتقرر

الفتى ألفونسو ريموندیس أو ألفونسو
، كذلك الذى عرفته فى عهد جده
مذ صفا له الجو ، ووضع على رأسه
ة إلى الخروج على سلطانه ، وكان هذا
كلتاهما تحرص على استقلالها ، وتعرض
ال بالأخص ، وهى المملكة التى نشأت
حمايتها ، ثم أخذت بمساعى خالته تريسا ،
بها ، وتوسيع رقعتها شيئاً فشيئاً . وكان
تريسا ، كأمه فى تحدى سلطان قشتالة ،
، مما يشغل ألفونسو ريموندیس ، اتصال
وه بمعاونتهم على بعض أراضى جليقية .
فى أوائل سنة ١١٣٧ م ، حينما ثار اثنان
، ورديجو بيريث فيوزو ، وكانا يحكمان
تمكن ملك البرتغال فضلا عن ذلك من


بلنسية
الجزيرة
شاطبة
دانية
يابسة
ميورقة
لقنت
أوريولة
مرسية
لورقة
بسطة
البحر المتوسط
الممالك الإسبانية النصرانية
فى عصر القيصر الفونسو ريموند يس
(الموافق لعصر الخليفة عبد المؤمن)

هو يعيث فيها تخريبا وقتلا وسبيا ونهبا .
ديدة فى البداية ، ولكن حدث أن فرقة
لتتابع النهب والسبى ، ولكنها لم تستطع
زيرة ، وفيضان الماء ، ففتك بها الجند
امبراطور وجنده (سنة ١١٣٨ م) ،
سخطاً . وحاول بعد ذلك بقليل أن ينتقم
عنها المسلمون أشد دفاع ، وكان فشلا

وحصن أورليا أو أوريخا Oreja وهو
بة » على مقربة من طليطلة، وكان أمنع
هرعت القوات المرابطية من قرطبة ومن
ى بن غانية ، وكان ألفونسو ريموندیس
فى انتظار القوات الإسلامية ، وكانت
على الحامية الموكلة بالدفاع عن طليطلة .

L

لة بولاية ريوخا وكل الأراضى الواقعة
ا جده ألفونسو السادس ، وأن يستولى
ى ، التى كان يملكها سانشو وپيدرو ملكا
ن القيصر يستولى على ثلثها ، ويستولى
ة قشتالة على هذا الجزء ، على نحو ما كان
يذاً لهذا الاتفاق زحف الكونت رامون
زحف عليها القيصر فى قواته من ناحية
لك ناقارا استطاع فى كثير من الشجاعة ،
، أما القوات القشتالية فقد استطاعت
ينبلونة ، واكتفى غرسية راميريس بأن
كة وينهك قوى خصومه . وكان غرسية
ى معارك حاسمة مع القوات القشتالية ،
اوضة وعقد الصلح ، وعاون فى اتخاذ

Lafuente : ibid; T. III. p. 228 - Iba
(١٥١ من هذا الكتاب)

ناقارا كرة أخرى (سنة ١١٤٣ م) .
لإذعان والتسليم ، وأخلى سائر الأماكن
لح بين الفريقين من جديد ، واتفق أن
منذ أعوام ، بالأميرة أوراكا ابنة القيصر
بالفعل فى مدينة ليون فى يونيه سنة ١١٤٤ م
ث هذا العصر ، ووضع بذلك حد للنزاع

ع كفاحها ضد المسلمين ، وذلك سواء
راضيهم بغزوات مماثلة ، أو محاولة انتزاع
وكان المرابطون قد استولوا على قلعة
، وذلك فى سنة ١١٤٠ م ، واتخذوها
اورة ، فحشد ألفونسو ريمونديس جيشاً
فرنانديث على رأس بعض قواته إلى منطقة
إشبيلية . وسار الإمبراطور بنفسه فى حملة
ى شهرين حتى سقطت فى يده فى يونيه سنة

وأرسلتا إلى قرطبة وإشبيلية ، لتعرضا
ثم أرسلت بعد ذلك إلى أمير المسلمين

اطور أيما ألم وسخط ، وأقسم بالانتقام
١١ م) فى قواته إلى أراضى الأندلس ؛
سف الزروع وأحرق القرى ، ووصل
وألمرية ، ثم عاد إلى بلاده ، مثقلا

المرابطين ، وكان من الواضح أن هذه
بها من القتل والسبي والنهب ، وعجز
التى أذكت سخط الأمة الأندلسية على
، وقد رأينا كيف استغل القيصر ألفونسو
عونه لمن لجأ إليه من الثوار الأندلسيين

حدين لأشباخ ص ١٨٣ و ١٨٤ وكذلك :

مير برشلونة ، فاستولت أولا على ثغر
(شعبان ٥٤٣هـ) ، ثم استولت على مدينة
ه) ، واستولت كذلك ، على إفراغة ،
ل الثغر الأعلى ، وقد سبق أن تناولنا هذه

را فرصة انشغال خصمه القديم الكونت
را ولايات أراجون المجاورة . وتفسر لنا
ا إن غرسية كان يرمى إلى إرغام الكونت
جعل ذلك شرطاً لعقد السلام بين أراجون
بلانكا كان قد تقرر زواجها من سانشو
ان قد عقد زواجه التمهيدى بالأميرة الطفلة
وقد اضطر الكونت رامون أن يشترى
ن يتعهد فى معاهدة الصلح التى عقدت بأن
١١٤٩) . بيد أنه ماكاد يشعر بانقشاع
ى الكنيسة يجثو أمام هيكلها مع عروسه

فى تطيلة ، وجددت بينهما معاهدة التقسيم
تف الملكان بالاتفاق على تقسيم ناڤارا ،
م القواعد والأراضى الإسلامية التى لم
كل أراضى بلنسية ، ومرسية ، وتعهد
رنت فى افتتاح ناڤارا ، وتعهد الكونت
رف بكل ما يحكمه سانشو ، وإذا توفى
و بسيادته على أراضى المملكة .

ناڤارا من هذه المؤامرة إلى حين . ذلك
ڤارا بالدون سانشو ملك قشتالة فى العام
ة قلهرّة بحضور الملوك الثلاثة ، ملوك
م عقد زواج القيصر الأرمل ألفونسو
ملك بولونيا ، وقدمت إلى قشتالة فى
د الوليد فى مظاهر واحتفالات باذخة .
نيا سانشا ابنة القيصر من زوجه الملكة
، تزوجت ابنة القيصر الثانية ، دونيا

قد عقد فى نفس الوقت زواجه الفعلى
قد بلغت عندئذ الثامنة عشرة من عمرها ،
سعها الأول ، عملت وصية مفادها ، أنه
كة أراجون على نحو ما كانت عليه فى عهد
جها الكونت رامون إدارة المملكة خلال
نت حيا ، فإنه يغدو الملك المطلق للمملكة
ل ما ترغبه بشأنها هو أن يعنى والدها بأن
ك وضعت الأميرة ولداً سمى رامون طول
إلى ألفونسو ، فكان هو وارث المملكتين

هر سانشو ملك ناڤارا الجديد الحرب على
ة راميريس ، واضطر الكونت رامون ،

الموحدين لأشباخ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ وكذلك :

د إلى مهاجمة الأندلس إلا فى سنة ١١٥٥م
ستيلاء على أندوجر وحصن البطروج ،
، ثم عاد الموحدون بقيادة ابن يكيت
على بعض الحصون النصرانية المجاورة ،
موضعه .

خاضها القيصر مع الموحدين ، هى معركة
لى قرطبة وغرناطة ، قد وضعوا خطتهم
، منذ سنة ١١٤٧م ، (٥٤٢ هـ) . وقد
لهذا الثغر الإسلامى العظيم ، ثم حوادث
يصر ألفونسو ريموندیس قد سار لإنجاد
ر معه حليفه محمد بن سعد بن مردنيش
جهود القيصر وحليفه المسلم ذهبت عبثاً ،
وحدين ، بعد حصار دام سبعة أشهر ،
سنة ٥٥٢ هـ) . وارتد القيصر فى قواته

وأن تحد من سلطاتهم ونزعاتهم الثوريه ؛
يحتل مركز السيادة والصدارة بين ملوك
ن ألفونسو ريمونديس يعلق ، على صفة
ن أن هذه الصفة لم يكن لها بالنسبة لباقى
فإنه كان يحرص على سلطانه كإمبراطور ،
حلم بإمبراطورية حقيقية ، تشتمل على كل
وامل التاريخية للوطن الإسبانى ، وتمتد
ى وحدة العرش القوطى ، وكان منذ اتشح
، يسير وفق برنامج مدروس راسخ ،
، الأول الإصلاح الداخلى فى الناحيتين
احية السياسة الخارجية يقوم على المحافظة
ئل السلمية والعسكرية » .
هو الهجوم العام على الإسلام ، وكان
Recon يستمد قوته من مصادر كثيرة ،
ن توحيد مختلف الأراضى والجهود ،

عير مرة . أما سياسة ألفونسو ريمونديس
صورها لنا النقد الإسبانى فيما تقدم، فلم
فه : سياسة التربص والغدر والعدوان
ين المتوثبين والمتخاذلين من زعمائها ،
ضيها بكل الوسائل . والواقع أن الجيوش
ك للمسلمين فى شبه الجزيرة أية هدنة .
الكبرى خلال الأندلس ، ووصل فى
م تستطع الجيوش المرابطية أن تقف فى
فى سنة ١١٣٥ ، دائب الغزو لأراضى
ة ، فقد كانت ثمة غارات مخربة على
أوريخا (أرنبة) . وفى سنة ١١٤٢،
قرطبة استجابة لدعوة ابن حمدين ،

ير لعهد ألفونسو السابع ، قدم به الأستاذ العميد
La Orden de Calatrava y su perspecti
La Orden de Callarava (C

بصر فردريك الأول امبراطور ألمانيا .
نت رامون ، ومنحه عهد الجزية على
ان الأمر من قبل . ثم سافر الكونت
يث كان يقيم القيصر ، ليتلقيا منه عهد
طريق ، وذلك فى السادس من أغسطس

أعظم أمراء اسبانيا النصرانية فى ذلك
، ومن أوفرهم ذكاء وعزماً ومقدرة .
أراجون الحقيقى . وكان سبيله إلى ذلك
حدة ، وكان حكمه يتسم بالقوة والحكمة
أن يتقى كثيراً من الحروب والمنازعات ،
بيد أنه كان كسائر أقرانه ملوك اسبانيا
، ولايدخر جهدا فى محاربتهم ، وقد
ية فى الثغر الأعلى ، وأن يقضى بذلك
كن من اسبانيا .

لك أن فرناندو ملك ليون بدأ حكمه ،
صين لقشتالة ، فجردهم من مناصبهم
لمؤامراتهم ودسائسهم ، فالتجأ هؤلاء
شو فى قواته ومعه الأشراف المبعدون ،
لمبعدين ، إلى مناصبهم ، وأن يرد إليهم
على أن يعترف بسيادته وأن يؤدى

ناقارا ، أن يرفع نير قشتالة عن مملكته ،
ن سانشو الثالث بادر بإرسال حملة قوية
أن يعقد الصلح على أن تبقى الأوضاع

كثيرة ، وكان يطمح بالأخص إلى أن
ركاً لمحاربة الموحدين ، الذين سيطروا
وا يهددون أرض قشتالة ، ولكن هذه

صروا على استعادة الملك الطفل استنادا
موقفهم ، لجأ آل كاسترو إلى فرناندو
ى ابن أخيه ، فسار ملك ليون فى الحال
عظم قواعدها ، وأعلن أنه يتولى الحكم
ه معظم الشعب القشتالى (سنة ١١٥٩م) .
، حتى أرغموا أخيراً على تسليم الملك
صطفاء آل كاسترو ، وتجريد آل لارا
ترتب على ذلك أن ثارت بين الفريقين
وأحرقت القرى ، وقاتل ملك ليون
أسرة لارا أخيراً على التسليم ، وأعلنوا
ن بالتزامها إذا أعيد إليهم الطفل الملكى
ع لذلك الغرض مجلس فى بلدة « سُرية »
ه ابن أخيه الطفل . ولكن حدث خلال
ل فارس جرىء من رجال آل لارا ،
قدمتهم الكونت ألمانريش إلى الفرار من

ن ، فإن ملك ليون لم يحظ بالعون المنشود
متاعبه أن قامت ثورة محلية فى أراضى
لمنقة على سلطانه ، وأخذ آل كاسترو
ذهم ، لما ارتكبوه من عسف ومظالم .
، فسارت فى أنصارها إلى طليطلة عاصمة
بقيام حكم الملك الطفل ألفونسو ، وكان
دعت جميع القشتاليين إلى الالتفاف حول
كاسترو . وكان ذلك فى سنة ١١٦٦ م .
يد ملكها الصبى ، الذى لقب بألفونسو
ت ، وتحول رجال الدين أخيراً عن ملك
دت قشتالة الهدنة مع ناڤارا ، وعقدت
ليون أخيراً أنه لا أمل فى مثل هذا الموقف
أن يترك حلفاءه آل كاسترو لمصيرهم ،
قشتالة ،والالتجاء إلى أراضى المسلمين ،
والانتقام ، وأسدل الستار بذلك مدى

ن فرسان المعبد فى وصيته بثلث مملكته ،
، كما خص فرسان الأسبتارية ، كذلك
يا تقدم كيف رفض الشعب الأرجونى
الوطن الأرجونى . وقد رأى الفرسان
، لأنها مسألة لاتحل إلا بقوة السلاح ،
وق ، واكتفوا بالمطالبة ، بأن يعوضوا
مهمتهم فى حماية الدين . ومن ثم فقد رأى
برنجير الرابع ، تعويضاً لفرسان المعبد
أراجون ومنتشون وكلامير وغيرها مع
دهم على العيش ، وكذلك حصل الفرسان
لك ، وعلى أن يعطوا نصيباً معيناً فى المدن
بشتر وسرقسطة ، وقلعة أيوب وغيرها ،
يكرسوا حياتهم لحماية النصرانية فى تلك

M. Lafuent

سه فى مأزق حرج . وكان ثمة فى طليطلة
س دير فتيرو ، ومعه راهب ورع من أسرة
ساً مقداما ظهر فى ميدان الحرب ، فتقدم
ـ إليهما بمهمة الدفاع عن قلعة رباح ،
روعهما يوحنا مطران طليطلة ، وألقى
قدم للدفاع عن القلعة ، فلم يمض سوى
مع حوله فى قلعة رباح عشرين ألف مقاتل ،
اع بالخيل والدواب والمال . وكان لهذه
ن مهاجمة القلعة . وفى الحال رأى الراهب
ن أن يكرسوا حياتهم للدفاع عن النصرانية
« فرسان قلعة رباح » (سنة ١١٦١م) .
لها ، وصادق البابا على قيامها ، وطبقت
طراد ، وتؤدى مهمتها فى مدافعة المسلمين
لأول ، ريموندو دى فتيرو فى سنة ١١٦٣م

شمال شرق برشلونة على مقربة من البرنيه .

لوحدين لأشباخ (الترجمة العربية ص ٢٦٨)

La Orden de Calatrava, p.

والبرتغال . التحالف بين ناڤارا والبرتغال . غزو
. توسط مطران براجا وعقد الهدنة بينهما . غزوة
ألفونسو هنريكيز لقب الملك . قانون وراثة العرش .
غال . جماعات الفرسان الدينية . ألفونسو هنريكيز
ة العربية .

المالك النصرانية الإسبانية ، لنلم بأخبار
الجزيرة الإسبانية ، لم يكن لها قبل أوائل
ك ، ونعنى بذلك مملكة البرتغال الناشئة،
المالك النصرانية ، وتأخذ معها بنصيب
ة .

ث رقعتها الإقليمية، أومن حيث أرومتها
ن حيث الرقعة الإقليمية ، فإنه يجب أن
إسبانية ، كان منذ العصر القديم ، يتميز
كانه يعرفون بأهل لوزيتانيا ، وهم جنس
يحتلون شرقى الجزيرة وأواسطها ، وكانت

ت ماردة أيام الدولة الأموية ، بالأخص
من المدن المتمردة الثائرة ، تضطرم بها
، وكانت أيام الفتنة الكبرى فى مقدمة
يق ، واستقلوا بحكمها عصراً .
يتانيا وهو الذى بقى بأيدى المسلمين ،
ى الأندلس . ولما قامت دول الطوائف
واتخذوا من بطليوس قاعدة لإمارتهم .
ر وادى يانة حتى المحيط ، ويشتمل على
حتى مدينة قلمرية[1] ، ويشتمل على ثغر
شمالى من ولاية لوزيتانيا ، وهو الذى يمتد
باً ، فكان النصارى قد تغلبوا عليه شيئاً
تالة معظم قواعده من المسلمين ، وآخرها
١٠٦ م (٤٥٦ هـ) ، وجعل فرناندو من
تغال » بالاشتقاق من اسم « بورتو كالى »

رنجية Columbria 'Cömbra

سبانية المتحدة هزيمتها الساحقة فى موقعة
ى شبه الجزيرة استجابة لصريخ ألفونسو
ن الفرنسيين ، لينجدوا إخوانهم فى الدين
السيل المرابطى ، وكان من بين أولئك
جونية ، هما الكونت ريمون البرجونى ،
ينتمى إلى فرع من فروع آل كابيه ملوك
ألفونسو السادس ومعاونته همة تذكر ،
صهما وغيرتهما ، فزوج الكونت ريمون
ر بالأخص فى محاربة المسلمين فى البرتغال
١٠٩٣ م) فقد عينه ألفونسو حاكماً لهذه
ابن عمومة الكونت ريمون ، بابنته غير
ڤينا نونيز .

بقليل فى سنة ١٠٩٤ م ، بعد أن أعقب
وهو الذى غدا فيما بعد القيصر ألفونسو
رتغال قريبة الكونت هنرى ، وكانت

ألفونسو المحارب وزوجه الملكة أوراكا،
نب ملك أراجون فى موقعة كامبودى
كة أوراكا، بيد أنه لما تطورت الحوادث
رقة ، تحول هنرى إلى مهادنتها ، ثم
ستقدم الحشود لمعاونتها ، وذلك مقابل
ى الواقعة على ضفة منيواليمنى . ثم توفى
١١١٢ م ، ولم يترك سوى طفل فى الثالثة
كة تريسا الحكم ، بطريق الوصاية عليه .
ا ، امرأة وافرة الذكاء والعزم والإقدام،
عيم سلطانها واستقلالها ، وتوسيع رقعة
ت خلال الحرب الأهلية فى قشتالة على
ى ترافا والثوار الجليقيين غير مرة ، ضد
كا والأسقف خلمريث ، وكيف استطاعت

R. Altamira : Historia de Espana y de la

يكثير ، وكان الأمير قد بلغ الرابعةعشرة
ب الفروسة وفقاً لتقاليد العصر ،وأجازه
الشعب يحبو أميره الفتى بحبه ، لما كان
روسة والتقوى ، ورقة الشمائل ، وتوقير
لتقديمه وتوليه شئون الحكم . وأخيراً دبر
ذه الأمنية ، والتف حول الأمير جمع
د أمه المستبدة ، فلقيته فى أنصارها فى
، فهزمت الأم ، وأسرت وألقيت
الأثيم ، ونفى خليلها أو زوجها الكونت
من أنصاره . وتولى الأمير الفتى ألفونسو
لك فى سنة ١١٢٨ م ، وقد بلغ الأمير

حكم إمارته مستقلا دون تبعية لأحد .
ستالة ، إذ كان يعتبر البرتغال إقليما من
واته على البرتغال بحجة العمل على إنقاذ

تاليين ، فهزموا هزيمة شديدة وبرح
حتى فرغ القيصر ألفونسو ريموندس
رتغال ، وتوالى الاشتباك بين الفريقين.
يلتقى مع القشتاليين فى معركة حاسمة ،
ه أن يتقدم بطلب الصلح إلى القيصر ،
ت المفاوضة إلى عقد هدنة بين الفريقين،
وإعادة الحدود بين البلدين ، كما كانت
يتفق على شىء بالنسبة للمسألة الجوهرية
تبعية البرتغال لمملكة قشتالة . وعلى أى
تمع القيصر وألفونسو هنريكيز فى خيمة
كل منهما إلى أراضيه (سنة ١١٣٨ م).
ن غزوة عظيمة قام بها ألفونسو هنريكيز
، أعنى فى سنة ١١٣٩ م (٥٣٣ هـ) ،
سلامى الضخم الذى حشده ولاة بطليوس
يسمى « أوريك » على ضفة نهر التاجُه،

، وكل من استطاع أن يقتل فى الحرب
ـهم .

، وقد نص القانون الذى وضع لذلك
ملك ، باعتباره أكبر قاض فى البلاد .
عزير ، ويعاقب على السرقات الكبرى
زوجة إذا زنت هى وعشيقها بالحرق ،
سه ، وكذلك يعاقب بالإعدام كل من
عليها من الأشراف ، وجب على المعتدى

ائم الضرب والجرح . وكل من اعتدى
رب ، عوقب بالكى بالنار أو بغرامة
لتعويض المناسب .

ال جنوبى نهردويره ، وتعرف فى الرواية

ولما نجحت هذه الجماعة فى سنة ١١٦٦ ،
ين بقيادة الفارس المغامر جيرالدو الباسل
سموا فيما بعد « بفرسان آفيس » وذلك
لسماة بهذا الاسم فى سنة ١٢١١ م .
منشئ مملكة البرتغال ، فى الرواية العربية
ت قلمرية فى البداية عاصمة البرتغال ،
ابن الريق(٢) أعنى ابن هنرى أو إنريكى
هنرى البرجونى والد ألفونسو) .

•

نسو هنريكيز . ويجمع معظمها على تسميته بابن الرنك
١٢٧ ، وابن خلدون ج ٦ ص ٢٣٩ ، والبيان
بن صاحب الصلاة كذلك بابن الرنك أو أدفونش
وتسميه بعض الروايات الأخرى « بابن الريق »
موحدية – الرسالة الرابعة والثلاثون – ص ٢٢٣

م ، سبعة يظلهم الله يوم لاظل إلا ظله ،
كون الأمير جامع كلمة الإسلام، وناصر
ظل عرشه ، يوم لا ظل إلا ظله ، فإنه
وقد آتاه الله السلطان ، وزينه بالعدل
محامد سيره ، ومحاسن أخلاقه على
أبو محمد عبد الله بن عمر بن العربى
شرح ذلك وتفصيله، ما عطر به أرجاء
وحضرة الخلافة ، لم يزل يطنب فى ذكر
دلس من الذل والصغار ، والحرب
ك ، وامتداد أيديهم إلى أهل الإسلام
اهتضام أهل الإسلام ، بما حدث بينهم
المحاولين للاستبداد بالإمارة ، وتقاتلهم
جال، بطول القتال والمحاربة والمنافسة ،
حرصاً على الانتقام ، إلى أن أوطئوهم

ناصر الدين ، وغلبته لحزب المشركين ،
كانت مرتبة عليهم ، بجزية المشركين ،
م ، عادوا إلى ممالأت المشركين ، وألقوا
هم على لقايه ، وصح ذلك عنده وعند
زال هؤلاء الثوار عن البلاد ، وتداركها
فساد ، ففعل ذلك . ولما تملكها ، رفع
يدد المفسدين ، واستبدل بهم الصالحين ،
ثم أضاف إلى ذكر ذلك ، ماشاهده من
، وتوقيره لهم ، وتنزيهه باسمهم ، واتباعه
امره ونواهيه ، وحمله عماله على السمع
لجديدة والقديمة بالخطبة لأمير المؤمنين ،
يعة ، وكانوا من قبل منكفين عن البيعة ،
رحه من عجايب سيرته ، ومحاسن أحواله ،
ة العلم ، ورصانة العقل ، ومتانة الدين ،
بول لكل ما يورده من صدق كلمته ،

رتمه والمناسك العظيمة ، وأعلن بالدعاء
بن أبى بكر ، وفقه الله تعالى ، وذكر من
ين ، ورفع جميع النوايب عنهم ، ما جهد
يه إلى المقام ببغداد على البر والكرامة ،
ضرة الخلافة ، فأبا إلا الرجوع إلى ذلك
الله تعالى ، ولو أقام لفاز بالحظ الأوفى
ه بأن يوفى حظه من الاحترام ، وولده
فى وقت تردده إلى ما لم يحرزه غيره مع
لذهن، وذكاء الحس ، واتقاد القريحة ،
بنصيبه ، حايز قصب السبق بين أقرانه .
الوطن، وقدتميزا بمزيد التوفيق من الأعيان
ويرعا من رعاهما ، فرعاية أمثالها ، من
د قال المحسنون، فليستوص بمن ظفر بهم
يدخل بعدهما من تلك البلاد [النائية] (1)

ـسالة

شرف عن بعض رؤساء الغرب
فتح أقليش أعادها الله بقدرته

(ـوظ بمكتبة الإسكوريال لوحة ٥٤ ا — ٥٨ ب)

الدين ، عماد الأنام وعتاد الإسلام ،
ـندر ، وظهيرى على الدهر ، الذى أجله
ـؤيد الإرادة ، مؤيد السعادة ، مجدد النمو
ـذى شد الأزر ، وأمد النصر ، وأعطى
وفرق بين الحق والباطل ، والحمد لله
، ونصر بسيفه الإسلام ، وغاظ به
ـار . والله تعالى يشفع سعوده ، ويضمن

أدام الله نصره ، حيث شاء من آلة
ـنعماء سربالها وأسحبنى أذيالها ، وصرف

يفيض فيضا ، على أرض تغيض غيضا ،
تر إشراق ، وقد نطقت ألسنة الأعنة
نة فى غمام القتام ، وسدت الهموات كل
ل فقبيل ، وأفضت بنا الخبرة إلى المدينة
لة الصدر ، ذات العدد العديد ، والسور
وغدونا يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة
نة بنقطها ، واكتنفناها اكتناف السبحة
عن العوم ، وحاروا وحاموا ، حين
، نخسف عاليها ، وننسف هاويها ،
أيدى الرياح ، حتى فض الختام ، وعض
ها بالقسر ، ونفخ فى صورهم ، ودارت
محق الربا ، وأذرتهم ريح النصر فصاروا
و بسطوا بسط كلب الوصيد ، وأخذتهم
ذة ، فخروا إلى الأذقان ، وسيقوا إلى
دنا ذلك المنزل ، وما أنخنا حتى رضخنا ،

ر دار ملتهم ، وأنار لهم الإسلام على منار
اشتهار الحسام المجرد ، وكشف الدين عن
ره ، وأقمنا بقية يومنا على ذلك إلى أن خام
، فعند ذلك أرحنا البواتر ، وغيضت تلك
يس، مبنياً على ذلك التأسيس ، يجر أذيال
الى بالتوالى ، ويشترى العوالى بالعوالى ،
لاترى إلا مساكنهم كأن لم يغنوا بالأمس ،
صبة ، والقوم فى السجن والحصر ،
فى الخاتم ، والمحصور مأسور ، وصاحب
لا ، ونوسعهم ضراً ونكالا مسافة اليوم ،
جنده ، فعدنا إلى محلتنا ، وقد أمل الكال
ل احتراسا للمحلة بطلائع تحرس جهاتها،
ذر ، ويفوت الحذر ، لاكن كفاية الله خير
ذلا ، قد حشد أقطاره وحشر أنصاره ،
جيشاً قد أسرا إلى ذمر ، وانطوى على

ناسق ، ولا مار إلا السما والطارق ،
لنصيحة والآراء الصحيحة ، أبا عبدالله
مة وليّيّ أعزهما الله ، فجالا فى مضمار
معنا على كلمة الله متعاقدين ، وخضعنا
المجتبى ، وقيل يا خيل الله اركبى ،
النهايات ، والأسنة تجول فى آمادها ،
شهم بفرصته ، وطار السهم لفوضته ،
أبوابها ، ولاذوا بأوتادها وأسبابها ،
لام الأسوار ، قد شرعوا الأسنة من
ضاقوا الأفنية ، وقاربوا بين الأخبية .
اه ، وساقته وأولاه ، ونهضنا بجملتنا
والنصر يبلغ إلينا سلامه ، وتوجهنا
ع الفجر من مُجابه ، ولا كشر الصبح
ة الأعلام ، واتسعت أقضية المسلمين
سح الصبح نفسه ، ولبس السنان لمعان ،

، وتصاولت القيول ، فعند ذلك تواقف
فبرز فارس من العرب ، فطعن فارساً
موكبه ، فانتهج ، ما أرتج ، وانفتح
لطت الخيل ، بل سال السيل ، وأظلم
صان ، ودجا ليل القتام ، وضاق مجال
، والأرماح بالأشباح ، ودارت رحى
والضرب تفتك بأبطالها ، فلثغر الصدور
لنهار ، ولا مسخ الغبار ، حتى خضعت
اتصل الهلك بالشرك ، وعادت الضالة
إيمان الإيمان ، وفر الصليب سليباً ،
لهم الحيف فهمدوا ، واطفأهم الحين
ما نجا إلا أقلهم ، وحانوا فبانوا ،
ت تلك الهنات ، عن رسوم جسوم
ضعة الخدود، عاثرة الجدود، وأخذت
. وملئت الأيدى بنيل وافى الكيل ،

٣

ـــالة

رقسطة والجمهور فيها

تميم بن يوسف بن تاشفين

مير واستغلبها أعادها الله

فوظ بمكتبة الإسكوريال لوحة ٥٥ ا –٦١ب) .

جديه على أعداء الله ، ثابت بن عبد الله ،

اد الله .

رفيع القدر والمحل ، لحرم الإسلام يمنعه،

حه عنهم ويدفعه .

ك لاشترا دارحسناه ، بمجاهدة عداه ،

بارك شعبان ، عن حال قد عظم بلاؤها،

عظيم، وجهد أليم، قد حل العزا والخطب،

ى عبيد الأوثان ، أهل الكفر وأصحاب
ذ به بعد الله الجمهور ، بأمة هى وقايد
، هو المطالب بدمايها ، إذا أسلمها فى آخر
ن أحجم عن لقايها ، فالى الله بلك المشتكا ،
لده أمير المسلمين المرتضى ، حين ابتعثك
ه ، نادباً لك ، إلى مقارعة العدو المحاصر
صمين بحبل طاعته ، والمتحملين السبعة
ومشايعته ، من أمة قد نهكهم ألم الجوع ،
رح بهم الحصار ، وقعدت عن نصرتهم
جوعاً يجرون ، يلوذون برحمة الله
رعون ، حتى كأنك قلت أخسئوا فيها
صل الله برك بتقواه ، على مقربة من هذه
سباب النصرة ، بتلك العساكر التى أقر
ها ، فسرعان ما انثنيت وما انتهيت ،
ناء ، ناكصاً على عقبيك عن الأعداء .

، والبلد الذى إن استبيح لأعداء الله ،
الأمير الأجل ، هذه أبواب الجنة قد
ية ولا الدنية ، والنار ولا العار ، فأين
، وأين الهمم المرابطية ، فلتقدح عن
جتهادها ، وملاقاة أعداء الله وجهادها ،
الى لمن يجاهد فى سبيله أن ينصره ، ولمن
ذا أيها الأمير الأجل ، ألا ترغب فى
ب شيطانه ، والدفاع عن أهل إيمانه ،
ببصيرة فى ذات الله إلى إخوان الشيطان
ب ، ونهر للرماح والسيوف ، ولاترض
جميع الأمصار . ولاتك كمن قيل فيه :

ولايرزأ من العدو فتيلا

، عذر فى التأخر والارعوا، عن مناجزة
ير الأجل ، اعتذار تقوم لنا به الحجة
إسلامكم إيانا ، إلى أهل الكفر والإلحاد،

يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة
الله ولى الثار لنا منكم ، ورب الانتقام ،
الإسلام ، وعند الله لنا لطف خفى ،
عنكم ، وهو الحميد الغنى . ومن متحملى
نا على ما لم يتضمنه الخطاب ، ولا استوعبه
غاء إليهم واقتضاء مالديهم ، ان شاء الله
وبركاته .

٤

الة

ين إلى الأمير الأجل
مة « القلعة » رحمهما الله

لسابق ذكره لوحة ٧١ ب — ٧٢ ا) .

، ولا أمال عن الهدى والرشد سعيك .
ع من شعبان المكرم سنة ثلث وعشرين

رآ ، ليس منكم من تدفع به كريهة ،
فتى وأى وقت تفلحون ، ولأى شىء
ـ كثيراً ، فقد دفع بفضله الأهم الأكبر ،
ا بعد أغطية أبصاركم ، وقصروا حبل
ى واعلموا أن وراء مجازاتنا إياكم جزاء
ا بعد هذه الهناة لداعى الرشد بين مطيع
، أمر جامع ، فانكم لو خلصت غيوبكم ،
ى قلوبكم ، لظهر أمركم وعلا جدكم ،
حوا فى سبيل الله وطاعته أخلص النيات ،
ت ، وكونوا من الحذر والتقوى على مثل
، الله مدداً يأتيه من خلفه ، والله يقطع به ،
كن آذانكم مصيخة لما يطرأ ، فإن كان له
ساقه ، وأقمتم الحزم على ساقه ، والله تعالى
متكم إلى الصواب ، أنه الحميد المجيد ،

الأعداد ، وتظاهر الأجناد ، فحسبناهم
ذلك وذكرناهم ، فما نجعت فيهم الموعظة ،
حول الله لضياع ، ولا نألوكم إلا اهتبالا
اع ، فطيبوا أنفساً ، واطمئنوا قلوبا ،
اً ، إنه هو الفتاح العليم المنان الكريم ؛
ن كتبنا ثانية ، إلى ولاة أعمالنا كلأهم الله
جيل إنفادها نحوكم من كل الجهات ،
الأوقات ، ثم لاتزالون من بالنا بأحق
له تعالى ، وهو سبحانه يوفقنا لصالح
وإذهاب مكترثكم ، وحسم عللكم ،
ويصلح أمرهم ، ويسد ثغرهم ، ويحفظ
، وتبلغوا أبقاكم الله سلاماً كثيراً أثيراً

، واعتيام الأسلحة والأفراس ، والجمع
عيد والتخصيص والتأكيد، وعرض الآراء
كل نحو والاجتهاد، لوكان العون موجوداً،
، والله يخزى كل خاين ماين بأسخاطه
ه ورداه ، ويوشك مقارضته وإرداه بحوله
ان نكون لديكم حاضرين، لأسرعنا بذلك
سنا ثان ، ولاقعد بنا عن معالجة نصركم
ث نظر ، ونحن نردفه بما يكون عليكم ألم
كم ويسكن مروعكم، فمالنا والله يشهد هم
لذلك والاستجاع ، والاجتهاد ، والتوفر
لمعين المنجد ، فلم يزل يعضد على ما يرضيه

يا ، وتتخذونهم وراءكم ظهريا ، والرماح
موس فى حياض المنية لم تُكرع ، فإنكم ثلة
كم ، وناهضوكم بلبوسكم ، وحاربوكم عاما
أسلح من حُبارى ، وأشرد من نعام .

وواديهم سلاحاً وكراعا ، قد غزوكم
بالحدران ، وبؤتم بالندامة والخسران .
والحفر ، أكرهتم زَحافهم ، وكنتم —
، وأين ؟ وقد فرض الله الواحد منكم
صابرة يغلبوا مائتين » . هذا ، وكلمتكم
من صارم ، وطرف ونحض وركايب

ل يبهره العاطل . لا بالحنيفية تحرزتم ،
رى بماذا تقلدتموها هندية واعتقلتموها
ق ، وملكتموها مغارب ومشارق ؟

الوهن والفشل ، طى عزائمكم ، لاكن
ما من إيقاظ ذوى الملكات ، يكفنا عن

م .
ا ، بعد الرجا ، واحذروا حلما أغضبتموه ،
ا صدراً أحرجتموه ، وليثاً من أجمته
كم ، وإعذارا لكم ، لنوردنّ الفار منكم
ولنتجاوزنّ السوط إلى السيف ، ولنبدلن
جم منكم عن الإقدام ، أنه سلم من الحمام
سل إلى جذع مائل ، وشهادة الأبرار إلى
منكم فى حرب ، أو أبلى بطعن أوضرب ،
رة والكرامة يدا بيد ، فاختاروا لأنفسكم
رقابكم ، والسلام على من حمى الإسلام .
، الكاتب البليغ الأريب ذو الوزارتين
لمسلمين » .

ـو ، قصمه الله عدداً ، وقضى وطراً ،
اية الأمير أبى يحيى أعزه الله ، وبقيادة هذا
انت [عند] مقدمنا هذا الحصن خيل
رغب وشملهم الصغار ، والرغم ، وتحققنا
ت فى الإ . . . نبساط والإسهال ، والدنو
ن البرد إلى الدفىء ، والله يجعلها للمسلمين
باء العدو ، قصمه الله ، الآن خامدة ،
ستأصل الله ، بحد أمير المسلمين نعمتهم ،
سف طارفهم وتلادهم ، وألفيت الحضرة
نها كل مأخذ ، وسرى فيهم كل مسرى
ه ، وكثر الدعاء لأمير المسلمين أيده الله،
عليهم من جمال سيرة ، ولقيته فلقيت كل
ا كلا لما استذاع وظهر ، تمم الله النعمة،
تبه الكرام بما بلغ الأمل، وحسم العلل، وأنا
لك الثغر ويسده، إن شاء الله عز وجل» .

ه ، وحافظ على كتاب الله الذى يسره
له بتقواه وزينه ، من مناخنا بكرنطة ،
ان وثلاثين وخمس مائة ، وبحمد الله من
قول فبعده يترتب ويتنظم . وقد جاء
الله فهو أجذم .

الشكر ، ونذكر نعمه السابغة ، علينا
الرشد ، وقوة على طاعته نحمل بها من
نن الأحمد ، ونستعيذه من قلب لايخشع
حية لاتطاع ، وهواً يتبع ، ونصلى على
، وأرسله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً ،
لغ رسالة ربه وهداه ، وصبر على مشقة
ى رجاه ، إلى أن بلغ الكتاب أجله والدين
ه زَواه ، صلى الله عليه وعلى صحبه الذين
ا من والاه ، وعادوا من عاداه .

بيل النجاة لسالكها ، ولاحظ فى الإسلام
لوا بشىء من مسنوناتها ، ومفروضاتها ،
نوا أنها كما قال سبحانه « إن الصلاة تنهى

لبين ، وإعتماد الحق المخلص فى الدارين ،
ى الجليس كمثل القين ، والصاحب الصالح

، الذى هو من قواعد الإيمان والرشاد ،
يان ، واتصال الهدو بفضل الله وللأمان .
وسلم أنه قال : « مثل المجاهد فى سبيل
صلاة ولاصيام » .
منكم الرفق بالرعية ، والحكم بالتسوية ،
، فهى العنصر الذى منه الاستمداد ، والأصل

مور ، التى هى جماع الإثم والفجور ،
، فاجتهدوا فى شأنها ، وأوعزوا فى جميع
ول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
مولة إليه » .

ا ، مما أوجبه الله تعالى فى حقوق المسلمين
رضة للأرزاق المسماة ، فليوخذ مافرض
يه عليه أفضل الصلاة والتسليم .
هل الذمة ألا يتصرف أحد منهم فى أمور

جميعكم ، ورحمة الله وبركاته ، وعلى من

ئل المرابطية)

بالجهل والاضطرار ، ولا يتصف بالعجز
عزة والكمال، وله العلم والاختيار ، وله
وله الأسماء الحسنى ، واحد فى أزليته ،
، لا أرض ولا سماء ولا ماء ولا هواء ،
ولا ليل ولا نهار ، ولا أنيس ولا حسيس ،
، انفرد فى الأزل بالوحدانية ، والملك
لا شريك فى الملك ، له الحكم والقضاء ،
، ولا مانع لما أعطى ، يفعل فى ملكه
جو ثواباً ، ولا يخاف عقاباً ، ليس فوقه
حق ، ولا عليه حكم ، فكل منة منه فضل ،
، وهم يسألون .

الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الذى بعدله
وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة
ا المرقوم ، والرضا عن الإمام المعصوم،
ن ، ينيلهم به الروح والنعيم ، ويريهم

رأفة ورحمة ، وسوغكم من اليمن والأمن
لدارقراره ونعمته – من الحضرة العلية
من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين
وجناح الرحمة منضوض، وطرف المكاره
ر مستفيض ، وشأن الظلم – بإذن الله
لاكناية ولاتعريض .
اركة زيارة قبر المكرم المهدى، رضى الله
اء شوق إليه لزم ولازم ، والنظر فى بناء
ن تضاعف الأمر بكل لبنة من لبناته ،
ق وقسمه ، ويعلو فى الملأ الأعلى ذكره

ملوماً ، « ومن يكسب إثما فإنما يكسبه
ه سبحانه يهب الرحمة للمسترحمين ، ويحب
ض على ذلك يقول وهو أصدق القائلين
ن » وبرحمته سبحانه بسط لعباده النعماء ،
صلى الله عليه وسلم : إنما يرحم الله من

ـ أن من لايتقى الله ولا يخشاه ، ولا يراقبه
م الحساب فيما أذاعه من المنكر وأفشاه ،
ار ، وينتشرون بالقتل بأعراض الدنيا
ين من غير حلها ، ويسارعون إلى نقض
والغلظة بطراً ورياءً فى غير محلها ،
شواهق الجبال عن حملها ، ويستنبطون
لمؤمنين لأجلها ، ويتسببون إلى قتل
راضهم بتلبسات يسيئونها ، ومزورات
لى اهتضام حق الله تعالى فيهم بأباطيل

لله جرأة عليه وإقداماً ، وأعمت الشهوات
وإعداماً ، وتالله لو تعين لنا فاعل ذلك
لاتخاص ، ولسارع إليه من أسرع عقابنا
ا قدمتا من الحنا . ولقد ذكر لنا من تلك
لأهاها حين يقرع سن الندم النادم ، أن
المثيرين لأسباب منكرها ، الصارمين
ون أيديهم إلى ضرب الناس بالسياط ،
سببون بذلك إلى أخذ أموال الناس إيغالا
لله أن يرضى به مؤمن بالله ، أو يتجه
العدل — أصلحكم الله تعالى — عن

الضرب أو يستحقه ، ممن يظلم الأمر
إفحاش ولا انتهاك ، ومواقف مرسومة
.

س والقبالات ، وتحجير المراسى وغيرها

المكر فى تصرفاتهم القبيحة ، فيقولون
كيت ، وإن للمخزن جميع ما به أتيت ،
د ، ما يرضى له المذكور بالخروج عن
غاصب أعظم منالة ، وإنها لداهية عاقرة ،
شر الطلبة والشيوخ وكافة الموحدين ،
نتم على حق ، كيف تتكيف هذه الكبائر
رى هذه الظلمات وقد قام للحق أود ،
تسفك والحرمات تنتهك ، ولا يمتعض
ن ، وليظهرن ما قصد القاصد وما عنى ،
، ويمحص ، ونظراً يفرق بين المشكل

ب تلك المنكرات ، ودواعى تغير تلك
كم وبين الناس ، ويقولون ما لا يفعلون
يجعلون النفير بالظلم والعدوان بدلا من
لغيب المباشرة ومباينتها ، وبعدكم عن

م لكم فيه رسما ، فليس كل مجتهد مصيباً
اً فى سعيه ، وبين طرفى الأحوال واسطة
ر الأمور ــ قال عليه الصلاة والسلام ــ

أولئك المسببين لتلك القبائح ، الساعين فى
تعرفونا بهم بعد تثقيفهم ، لنشرد بهم من
وصنفهم ، وقد استخرنا الله ، فى سد
ة ، فرأينا أن ترفعوا إلينا أحكام المذنبين
توجب القتل بفعله الخاسر ، دون أن تقيموا
ولاسبيل لكم إلى قتل أحد من كل من هو
و منهم وداخل فى مضمارهم ، وكل من
المكر فى أمر الله تعالى والختل ، فعرفونا
ره ومشروحه ، لينفذ فيه من قبلنا مايوجه
ذه الشرع ويمضيه ، فإياكم من مخالفة أمرنا
ان ، كبر ذنبه عندكم أو هان ، ولتبادروا

دّم النظر فى أمرها، فهو من أهم الأمور،
والفجور ، وهى رابطة أهل الجرم ،
له تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم:
طن المهتمة بشأنها ، واجتهدوا فى إراقتها
ى يؤدى إلى التمكن منها ، فارعوه ،
فظوه ، وقدموا أمناء متخيرين للتطوف
ى ذلك محل المكالىء الرقيب ، ولا يكن
يعرف ما يجوز شربه ، وما لا يجوز ،
اره ، وخذوهم بتوقف جدهم على ذلك
غير ذلك قطعوه أصلا وفرعاً وأراقوه،
الشرع نظام . قال رسول الله صلى الله
سكر كثيره فالجرعة منه حرام » .
ساد ، ويستصحب الأضرار بالمسلمين
ن يردون بالكتب ويصدرون، ويمشون
أنهم يأخذون الناس بالنظر فى كلفهم ،

أموال الناس ما تقدم ذكره ، وشرح
، فيعيثون فيها ، ويتحكمون ، ويجرؤون
لمون ، فاتقوا الله تعالى فيها ، فإنها أمواله
ل معتد وقبضه ، ولاسبيل لكم أن تنفذوا
تعريفنا بالدقيق والجليل مما هنالك ، وهذا
كتابنا هذا من الطلبة والشيوخ والموحدين
مستظلة ، وصحته بفضل الله لاتدخلها تعله .
جميع الطلبة الموحدين ، وكافة البلاد التى
الإيمان مشرقة منيرة ، فأمرنا بجميع فصول
فى كافة أقطار الموحدين نافذ عامل ، فمن
تبين عناده وساء فى العاجل والآجل مآله
متثال ، ويكف يده عما رسمناه فى كافة
، وأوحاه ، واستقبل من ارتكاب النهى
فاستصحبوا حدنا هذا استصحابا مؤيداً ،

الاشتغال بمعانيه ، وبما أمركم به على
م فى تلقيه ، واتباع ما ينهيه إليكم ويلقيه ،
ستحضروا له وفود القبائل من البوادى
وأشربوه قلوب الناس جماعات ووحدانا ،
لله تعالى يجزى الإحسان إحساناً .

وبلغتم صحته بواجب التبليغ والتقرير ،
بائل ذلك النظر ، وكل كورة من تلك
فيه من تقديم العمل فيه على كل الوجوه ،
تضيه ، وحذروهم من التعرض لمخالفته ،
ونحن بمرصد التطلع والتسمع لما يكون
عنكم وعنهم .

لمسلمين إشفاق وحنان ، وجانبنا لهم دعة
والرفق بجانبهم ، شأن لا يفارقه من فضل
اختبرتموه ، وجربتموه على مر الزمان

ى تكون نفوسكم متآلفة عليه متساعدة ،
ع فى الصلاح آراؤكم ، ويضمن التجمع
رة، والمناصرة والمؤازرة ، فهى سواعد
لحافظين للعهد ، وبها يعمر محل الرضا
هديه .

، قصدت فى ذات الله تعالى قصدها ،
ما رشدها ، ونبهناكم تنبيهاً بالغاً وللحال
أمره المطاع بخالص نيته ، وأفرغ الرحمة
ه تعالى ، فكل راع مسئول عن رعيته .
على تنبيهكم وإذكاركم ، وإيقاظكم للنظر فى
ة مراكش — حرسها الله تعالى — من بعض
الابتداع ، كنوع القبالة ، وما يجرى مجراها
نا لانبحث عن ذلك ، لتخيلنا أنه لايجرؤ
ه الله تعالى تلك المسالك ، فلما كان الحث

الثانى

بن تومرت

بطين والموحدين

وحدية بالمغرب

ب الرابع

وخواص العهد المرابطى

ـ الخامس

بانية النصرانية

وأوائل العصر الموحدى